أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج

بقلم

د. عبد العظيم رمضان

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

الإخراج الفنى والتنفيذ

صبرى عبد الواحد

تقديم

يحتوى هذا الكتاب على اثنين وعشرين مقالا كتبتها فى الرد على كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل : «حرب الخليج، أوهام القوة والنصر »، الذى أصدرته جريدة الأهرام في أوائل عام ١٩٩٢ . وقد نُشرت هذا المقالات فى كل من مجلة «أكتوبر» وجريدة الأهرام» القاهرية ، على مدى اثنين وعشرين اسبوعا فيما بين ١٢ ابريل ١٩٩٢ و ٦ سبتمبر ١٩٩٢ . وأحدثت صدى واسعا فى الرأى العام المصرى والعربى المتعطش إلى معرفة الحقيقة ، بقدر ما أحدث كتاب هيكل من اهتمام .

فعندما صدر كتاب هيكل ، كانت قد سبقته دعاية اعلامية واسعة النطاق قادتها جريدة «الأهرام» القاهرية ، التى لم تكتف بنشره فى كتاب ، بل أخذت فى نشر أجزائه تباعا ! وأخذت الجماهير المصرية تقبل على قراءته بحسن نية تشوقا إلى معرفة خفايا وأسرار الغزو العراقى للكويت ، الذى شق وحدة الأمة العربية بعد أن كانت تتجه بتنظيماتها الاقليمية إلى شكل من أشكال الوحدة الاقتصادية ، وضرب فكرة القومية العربية فى الصميم بعد أن وحدت جهود الأمة العربية ضد أعدائها الخارجيين على مدى نصف قرن ، وأبرز من داخل الأمة العربية خطرا لم تكن تتوقعه .. خطرا يفوق كل خطر خارجى، هو خطر النظام العراقى الذى كانت الأمة العربية تدخر قوته العسكرية لاسرائيل فإذا به على حين غرة يوجه هذه القوة إلى جارته الكويت المسالمة ، استعداداً لبناء امبراطورية عباسية جديدة تحتل شبه الجزيرة العربية وتسيطر على بترولها، وتفرض نفوذها على جيرانها .

نعم لقد أخذت الجماهير العربية تقرأ كتاب هيكل على أمل أن يشبع فضولها إلى معرفة أسرار

هذه الكارثة التى ألمت بالأمة العربية ، ويهديها إلى الوقوف على حقائق حرب الخليج ، خصوصا وقد عُرف الأستاذ هيكل بالرجوع إلى الوثائق الرسمية وغير الرسمية ، والتنقيب فيها بحاسته الصحفية ، والتغلغل إلى الخفايا والأسرار .

صحيح أن الأستاذ هيكل يقدم عادة رؤيته الخاصة لما يقوم بدراسته من الأحداث التاريخية ، ويقدم تفسيراته المصطبغة بفكره ومواقفه السياسية، ولكن من قال إن الكاتب يفعل شيئا غير ذلك ؟ فحتى فى الكتابة العلمية التاريخية فإن التاريخ لاينفصل عن المؤرخ ، والكتابة التاريخية لا تعدو أن تكون رؤية المؤرخ للحدث التاريخى من واقع فكره ، ومن خلال نافذته الأيديولوجية والجغرافية والقومية وغيرها .

وانطلاقا من هذا المفهوم أخذت فى قراءة كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج ، وإذا بى أفاجأ بأنه لايحمل رؤيته الخاصة للحرب كما توقعت ، وإنما يحمل رؤية النظام العراقى نفسه ! فكما ذكرت آنفا فإن رؤية الكاتب للأحداث يستمدها من أيديولوجيته وموقعه الجغرافى والقومى

والوطنى ، ولكن الرؤية التى قدمها للأستاذ هيكل استمدها من أيديولوجية النظام العراقى وموقعه الجغرافى والقومى والوطنى .

وقد كان من الممكن أن تمر هذه الرؤية البعثية بلا خطر ، لولا أن هذه الرؤية تتناقض تناقضا جذريا مع رؤية الشعب المصرى التى استمدها من تاريخه الحضارى الطويل ، والتى عبر عنها فى موقفه من الغزو العراقى للكويت منذ اللحظة الأولى . فقد ندد الشعب المصرى بهذا الغزو ورفضه ، لما فيه من انتهاك لميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى ومبادىء العروبة والإسلام وحسن الجوار والمصلحة المشتركة . وقد وقف الشعب المصرى هذا الموقف من الغزو العراقى بشكل تلقائى ، وبدون تعبئة اعلامية من أى نوع أملت عليه هذا الموقف ، مبرهنا على أصالته الحضارية وترسخ القيم العالية فى نفسه ، وايمانا بدوره الحضارى فى هذه المنطقة العربية .

فلقد جاءت رؤية الأستاذ هيكل فى كتابه «حرب الخليج» مناقضة تماما لرؤية الشعب المصرى ، التى عبر عنها نظامه السياسى تعبيرا أمينا فيما اتخذ من قرارات ، واتبع من سياسات .

وفى الوقت نفسه جاءت رؤية الأستاذ هيكل مناقضة لرؤية المجتمع الدولى التى عبر عنها مجلس الأمن بالقرارات التى أصدرها فى التنديد وإدانة الاحتلال العراقى للكويت ، والمطالبة بانسحابه منها بدون قيد ولا شرط ، وهى القرارات ٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٢ و٦٦٣ و٦٦٤ و٦٦٥ و٦٦٦ و٦٦٧ و٦٦٩ و٦٧٠ و٦٧٤ و٦٧٧ و٦٧٨ و٦٨٦ ، ابتداء من ١٩٩٠/٨/٢ إلى ١٩٩١/٣/٣ .

وقد جاءت هذه الرؤية للأستاذ هيكل والقضية ما زالت ساخنة، والنظام العراقى ما زال موجودا يمارس صلاحياته ، ويتربص بالكويت ، ويستعد لعدوان جديد ، (وقع بالفعل بعد شهور) ! .

وأخطر من ذلك كله أن الأستاذ هيكل لم يقدم رؤية النظام العراقى لغزو الكويت وما ترتب عليها

من أحداث جسام وحرب تحرير لمجرد تسجيل هذه الرؤية ، وإنما قدمها بشكل دفاعى على أنها تمثل الرؤية الصحيحة لوقائع هذه الأزمة الخطيرة ، الأمر الذى وضعه - بالضرورة - فى وضع تناقض مع الرؤية المصرية للأزمة - الرؤية المصرية كما عبر عنها الشعب المصرى ، وكما عبر عنها نظامه السياسى فى مصر بأمانة .

وقد كان معنى ذلك أن كتاب هيكل هو دعوة للشعب المصرى وللنظام السياسى المصرى لكى يغير رؤيته لغزو الكويت وعملية تحرير الكويت فى ضوء الرؤية العراقية ! وكان معناه أيضا اظهار اشتراك الجيش المصرى فى حرب تحرير الكويت فى صورة خطأ فادح وقع فيه النظام السياسى المصرى وباركته الجماهير المصرية ! وأنه كان اشتراكا فى حرب عدوانية ضد بلد عربى مسلم ، ولم يكن اشتراكا فى حرب تحرير عادلة شرعية ، باركها المجتمع الدولى، وتمت تنفيذا لقرارات مجلس الأمن ، وآخرها القرار ٦٧٨ الذى خول الدول الأعضاء فى مجلس الأمن «التعاون مع حكومة الكويت فى استعمال كل

الوسائل الضرورية لضمان تنفيذ القرار رقم ٦٦٠ وبقية القرارات المتصلة ، وتقديم الدعم المناسب لكل الأعمال التى يمكن القيام بها لتنفيذها ، واخطار مجلس الأمن بانتظام عن تقديم الأعمال التى تقوم بها تنفيذا للقرار الحالى» .

ومن هنا فقد وجدت من واجبى القومى أن اتصدى لهذه الرؤية الخاطئة التى قدمها الأستاذ هيكل فى كتابه ، دفاعا عن الحقيقة التاريخية ، ودفاعا عن موقف المجتمع الدولى ، ودفاعا عن الموقف الشريف الذى وقفه الشعب المصرى إلى جانب الشرعية والقانون الدولى وميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة ومبادىء العروبة والإسلام ، ودفاعا عن أرواح الشهداء من الجيش المصرى ، الذين شاركوا فى حرب تحرير الكويت وهم يؤمنون بانهم يحاربون من أجل قضية عادلة ، ودفاعا عن حق ، وازهاقا لباطل .

وقد استخدمت فى ذلك أصول النقد التاريخى العلمى ، واستندت إلى الحقائق الثابتة ، والوقائع

التاريخية المحققة ، والوثائق الرسمية التى صدرت عن مصر والعراق والأمم المتحدة - الأمر الذى يُخرج هذا الكتاب من اطار الكتب السياسية البحتة ، ويدرجه فى سلك الكتب التاريخية التى تبحث عن الحقيقة من خلال منهج البحث العلمى التاريخى ، على الرغم من أنه يعالج موضوعا سياسيا معاصرا حيا .

وقد آثرت أن أنشر المقالات التى صدرت كما هى ، دون أى تصرف ، اللهم إلا فيما يقتضيه الحال من تصويب عبارة ، أو ضبطها ، حتى لا أخل بالشكل الذى ظهرت به ونال تقدير القراء .

ولعل هذا الكتاب ، وما سبقه من كتابين لصاحب هذا القلم ، وهما «الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى» و«حرب الخليج فى الميزان التاريخى» ، اللذان صدرا عن دار الزهراء للاعلام العربى ، يمثلان أنموذجا لوضع التاريخ الصحيح فى خدمة الحاضر ، واشتراك التاريخ الصحيح فى المعركة السياسية عن طريق مقارعة التضليل

التاريخى بالحقيقة التاريخية ،وذلك بعد أن حاول النظام العراقى استخدام التاريخ فى مساندة أطماعه السياسية فى الكويت ، وألف مؤرخوه الكتب التى تتحدث زورا وتضليلا عن «الهوية العراقية للكويت» ! ضد كل الحقائق التاريخية . ومن هنا كان من الضرورى أن ينزل التاريخ الصحيح إلى المعركة السياسية فى خدمة الحق والعدل والاستنارة.

والله ولى التوفيق .

مصر الجديدة فى ١٩٩٣/٥/٩

أ . د . عبد العظيم رمضان

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

بكلية الآداب - جامعة المنوفية

((١))

أوهام هيكل
وحقائق حرب الخليج

أوهـــام هيكـــــل
وحقائق حرب الخليج

الأستاذ محمد حسنين هيكل كاتب مصرى بارز ، له وزن عربى وعالمى كبير استحقه عن جدارة ، ليس فقط لأنه كان رئيسا لتحرير الأهرام ، فكثير من رؤساء التحرير دفنهم التاريخ دون أن يحس أحد بهم ، وانما لدوره فى التعبير عن فكر الرئيس الراحل عبد الناصر من جهة ، ولثقافته العالية المتعددة الجوانب من جهة ثانية ، ولأنه كاتب ومفكر متميز ترك بصمته فى الحياة الفكرية والسياسية من جهة ثالثة .

ومن هنا حين يكتب الأستاذ هيكل كتابا عن «حرب الخليج ، أوهام القوة والنصر» ، يتوقع المرء أن يجد فيه رؤية منصفة للحقيقة أولا ، ولمصر ثانيا ، وله ثالثا .

أما إنصاف الحقيقة ، فلأنها الهدف الوحيد المشروع لأى باحث، ولأنها العنصر الوحيد تقريبا الذى يعطى لأى

---

* أكتوبر ـ ١٢ ابريل ١٩٩٢

عمل علمي قيمته . وبقدر ما يقترب أو يبتعد العمل العلمى عن الحقيقة بقدر ما تعلو أو تنخفض قيمته .

وأما إنصاف مصر ، فلأنها النافذة الوحيدة ـ فى نظرى ـ التى يجب أن يطل منها المفكر المصرى على الأحداث والسياسة ، وهذا ما نسميه فى علم التاريخ بـ «المنظور التاريخى» historical perspective. فالحقيقة متعددة الجوانب مثل نرد الطاولة، وليس مطلوبا من أى باحث أن يقدم كافة الجوانب ، لسبب بسيط هو أنه مقيد بنافذته التى ينظر منها إلى الحدث ، وهذه النافذة تعطيه جانبا واحدا من الحقيقة ، وليس كل الجوانب .

والمقصود بالنافذة هنا هى النافذة الجغرافية والتاريخية والأيديولوجية والثقافية وغيرها ، التى ينظر منها المؤرخ إلى الأحداث .

ومن هنا فلا نستطيع أن نطالب مؤرخا أوروبيا مسيحيا بأن ينظر إلى الحروب الصليبية ـ على سبيل المثال ـ نظرة شرقية إسلامية ، وإلا ظلمناه ظلما بينا ، لأنه لن يستطيع ذلك مهما فعل ، لافتقاره إلى هذه النافذة ـ وإنما نطالبه بأن يكون أمينا فى نظرته ، وأن يقدم لنا الأحداث من منظوره التاريخى بدون تزييف أو تشويه أو تزوير .

وبالتالى ، فالمنظور الوحيد المشروع لأى مفكر مصرى يجب أن يكون هو المنظور المصرى ، وليس المنظور العراقى أو الأردنى أو التونسى أو غيره ، فلكل منظور من يعبر عنه من عراقيين أو أردنيين أو تونسيين .

وليس معنى ذلك أن يكون عمل الباحث أو المفكر هو الدفاع الأعمى عن مصر أو تبرير أخطائها ، وإلا أثار السخرية من عمله ، وإنما معناه تماما هو أن يخدم الباحث أو المفكر المصرى المنظور الوطنى بالحقيقة - والحقيقة وحدها - ولا يفعل العكس ، أى يتجنى على الحقيقة .

ولم يكن مطلوبا من الأستاذ محمد حسنين هيكل أكثر من ذلك ، وهو أن يكتب كتابا عن حرب الخليج من وجهة نظر مصرية ، ويستخدم فيه كل ما يملك من مقدرة وبراعة وقدرة على التحليل واستخلاص الحقائق ، ليس فقط لإنصاف مصر ، أو لإنصاف الشرعية والحقيقة ، وإنما لإنصاف نفسه ككاتب ومفكر مصرى له وزن عربى وعالمى كبير .

فهل فعل الأستاذ هيكل ذلك ؟ هل أنصف الحقيقة وأنصف مصر وأنصف نفسه ؟ أخشى أن أقول إنه لم يفعل ذلك ، بل فعل العكس ! رغم أنه يملك كافة العناصر التى تتيح له ذلك ، بدليل أننا سوف نستخدم كثيرا من هذه

العناصر التى استخدمها فى اعادة تركيب صورة الحقيقة التى بعثرها عمدا لتضييع معالمها .

لقد كنت أتوقع أن ينصبّ كتاب عن حرب الخليج على الإجابة عن هذه الأسئلة : ما الذى دفع النظام العراقى إلى غزو الكويت ؟ وما الذى حول مساره من تحرير فلسطين إلى إحتلال الكويت ؟ وما هو المخطط الذى اتبعه لتحقيق هذا الغرض ؟ وما هى الأسباب الحقيقية التى دعته إلى تحدى جيش أكبر دولة فى العالم ، ومعها جيوش الدول الأوروبية والجيوش العربية ، والدخول معها فى مواجهة مميتة ؟ وعلى من تقع مسئولية هذه الكارثة الفظيعة التى لم تتعرض لها الأمة العربية منذ حصولها على استقلالها ، والتى أعادتها إلى عصر ما قبل الاستقلال ؟ إلى آخر هذه الأسئلة التى كان الأستاذ محمد حسنين هيكل خير من يستطيع الإجابة عنها لو كان رائده من الدراسة التى قدمها الحقيقة التاريخية وليس أية أهداف أخرى .

ولكن الأستاذ هيكل ، بدلا من ذلك ، قادنا فى رحلة «تَتْويه» واسعة ! استغرقت أكثر من ثلاثمائة صفحة من صفحات الكتاب ، أى نصفه تقريبا ! بدلا من أن يقودنا بشكل مباشر فى رحلة إرشاد واستكشاف ! وبدلا من أن يشق بنا أقصر الطرق للوصول إلى الحقيقة ، إذا به يخترق

بنا الكفور والنجوع ، ويتغلغل بنا فى أدق التفاصيل ـ التفاصيل التى تتعلق بكل شىء إلا بالإجابة عن الأسئلة السالفة الذكر !

وبطبيعة الحال فإن كاتبا كبيرا مثل الأستاذ هيكل لا يفعل ذلك عبثا ، أو لمجرد استعراض عضلاته العلمية والسياسية وقدرته على حشد المعلومات الهامة ، وإنما لغرض ذكى ، هو توسيع قاعدة المسئولية عن حرب الخليج ، واشراك أكبر عدد من الأطراف فيها ، وتقزيم مسئولية النظام العراقى عنها ، وتحميل الآخرين بكل ما رفعه عن كاهل هذا النظام من مسئولية ، وفتح الباب أمامه للافلات من عواقب جريرته ، أو حشده مع بقية الأطراف فى قفص اتهام واحد !

وتبدأ رحلة «التتويه» التى قادنا إليها الأستاذ هيكل، بمعالجته لموقف الولايات المتحدة الأمريكية . وفيها يطرح نظرية جديدة فريدة تقول إنه بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ـ عدو الولايات المتحدة الأول ـ « بدا أن ضرورات الأشياء تفرض على الولايات المتحدة أن تعثر لنفسها على عدو جديد(!) تستطيع أمام خطره الحقيقى أو الموهوم أن تواصل تعبئة شعبها وقواتها المسلحة استعدادا للمتوقع أو للمجهول، وتثبت لنفسها وللآخرين أن السيادة الأمريكية على العالم «مقادير» يصعب ردها أو دفعها» !

ثم يقول إن رغبة الإدارة الأمريكية فى العثور على خطر حقيقى أو موهوم ، إنما هو لأجل أن يكون ذريعة ممكنة ومقبولة لجعل الكونجرس الأمريكى يوافق على تخصيص الاعتمادات اللازمة للحفاظ على مستوى القوة الأمريكية بعد تراجع الخطر السوفيتى ، حتى وان اتجه هذا الاستعداد نحو أنواع أخرى من الحرب غير تلك التى كانت مجهزة من قبل لملاقاة حلف وارسو وقيادته السوفيتية .

ولا يكتفى هيكل بذلك بل ينتحل للرئيس الأمريكى بوش شخصيا دافعا آخر للحرب ، فيقول إن كل زعيم يحتاج إلى حرب عادلة ينتصر فيها ويحفر بها اسمه على تاريخ أمته ، وكان بوش ـ شأنه شأن أى زعيم آخر فى أمريكا أو خارجها ـ يأمل ، أو على الأقل لايمانع ، فى أن توافيه الظروف بحربه الخاصة التى يراها ويقنع شعبه بأن يراها عادلة !

* * *

وبعد هذه المقدمة ، التى يستهدف بها الأستاذ هيكل رفع المسئولية عن النظام العراقى وتحميلها للولايات المتحدة عن حرب الخليج ، ينتقل إلى الأمة العربية ، فيرفع عن النظام العراقى مسئولية انقسامها الذى سارت إليه بعد مصيبة الاجتياح العراقى للكويت ، ويصفها بأنها كانت قبل هذه

الأزمة «منقسمة بالفكر والفعل والدم على نفسها ، بل كان الانقسام فى أعماق كل فرد من أفرادها» . وان العالم العربى «كان مشتبكا مع نفسه فى حروب أهلية لايكاد ينجو منها بلد، وكانت بعض أوطانه تتآكل هويتها ورقعتها ، بينما بعضها الآخر يغرق فى مستنقعات طين ودم ، بل إن أوطانا عربية مضت تغيب بسرعة فى ظلام النسيان» !

ومعنى هذا الكلام أن الغزو العراقى للكويت لم يأت بجديد ، ولم يحدث أى تغيير ، ولم يهبط بالعالم العربى إلى أدنى مما كان عليه بالفعل ، وبالتالى فيجب أن نرفع عن النظام العراقى أى مسئولية عما صار إليه هذا العالم العربى بعد غزو الكويت !

وبطبيعة الحال فإن كاتبا ذكيا ، مثل الأستاذ هيكل ، لايستطيع أن يتغاضى عن مجالس التعاون الاقليمية الثلاثة التى تأسست قبل الغزو ، والتى كانت خطوة فى الطريق إلى الوحدة الشاملة ، ولكنه يقوم بتحليلها فى الشكل الذى يتفق مع منظومته . فهى ـ فى نظره ـ ليست مجالس على الطريق للوحدة الشاملة ، وإنما «قفزات فى المجهول» ! و«كل منها فى ناحية مختلفة» (ص ١٧٧) ، وهى مجرد تكريس لانقسام الأمة العربية إلى تجمعات متفرقة ، تحل محل الجامعةالعربية

وميثاقها (ص ١٦٨) ، كما أنها «خَصْم من قوة الفعل، وليست اضافة عليها» ! (ص ١٦٨) .

ويتجاهل الأستاذ هيكل بهذا الكلام عمدا هذه الحقيقةالتى يعرفها جيدا دون ريب ، وهى أنه لم تكن هناك قبل هذه التجمعات الاقليمية المذكورة وحدة تربط الدول العربية من الخليج إلى المحيط جاءت هذه التجمعات فقسمتها، حتى يمكن اعتبارها خصما من قوة الفعل ! - وإنما كان الرباط الذى يربط هذه الدول العربية هو فقط الرباط الواهى المتمثل فى جامعة الدول العربية ، التى كانت قد انتهت فاعليتها فى العصر الناصرى عندما استبدل عبد الناصر بها مؤتمرات القمة ، ثم دبت فيها هذه الفاعلية فجأة بعد مبادرة السلام المصرية وزيارة السادات للقدس فى ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ، وذلك بفضل النظام العراقى بالدرجة الأولى ونظم الرفض.

وكانت فاعلية مدمرة ، لأنها طردت مصر من الجامعة ، وحرمت نفسها من العنصر الفعال الذى كان يحفظ لها قوة الدفع .

فبعد طرد مصر لم يبق ما يربط الدول العربية ببعضها البعض غير العداء للسادات ، والغضب لتحرير سيناء بحجة

أنه كان يجب أن تنتظر مصر حتى تتحرر معها الجولان والضفة الغربية وغزة !

وبعد توالى النكبات على العالم العربى ، أخذ يتجه إلى شكل من أشكال التجمعات الاقليمية بين الدول التى يربطها رباط قوى ، أو تتعرض لخطر واحد ، أو تضمها مصلحة واحدة . وكان هذا مرغوبا فيه ، فإذا لم يكن ممكنا تجميع كل حبات العقد فى خيط واحد ، فإن تجميع الحبات المتشابهة فى عقد واحد ليتجمع فى النهاية ثلاثة عقود أفضل من ترك جميع الحبات بلا أى رابط !

فنشأ مجلس التعاون الخليجى ، ثم نشأ مجلس الوحدة المغاربية ، ونشأ بعدهما مجلس التعاون العربى.

ولكن الأخير كانت تقوده أغراض أخرى يعرفها الأستاذ هيكل جيدا ! ولكنه تغاضى عنها لصلتها بالنظامين العراقى والأردنى ، ولم يذكر سوى أسبابها الظاهرية التى يستطيع أن يكتبها أى باحث عادى فى التاريخ ، وليس محللا مرموقا مثل الأستاذ هيكل .

على هذا النحو ، وبدلا من أن يقدم الأستاذ هيكل العالم العربى قبل غزو الكويت كعالم فى طريق الوحدة ، قدمه فى صورة عالم يتكرس فيه الانقسام !

وبدلا من أن يقدم الأمة العربية كأمة فى طريقها إلى التعاون الاقتصادى الذى يمكن أن يؤدى إلى شكل من أشكال السوق الأوروبية المشتركة ، قدمها فى شكل أمة «منقسمة بالفكر والفعل والدم على نفسها ، بل ان الانقسام متغلغل فى أعماق كل فرد من أفرادها» !

وكل ذلك لتبرئة النظام العراقى من مسئولية الانقسام الكبير الذى ترتب على اجتياح النظام العراقى للكويت ، وانشقاق العالم العربى إلى قسمين لا التقاء بينهما لعدد غير معروف من السنين أو العقود .

فلن يقوم فى المستقبل أى التقاء بين الكويت والسعودية وبقية دول الخليج ، وبين العراق فى أية صورة من الصور !

وقد يعبر عن ذلك السور الذى تنوى الكويت أن تقيمه على حدودها مع العراق ، والذى يعد سورا رمزيا من ناحية الواقع ، وليس له أية قيمة من الناحية العسكرية فى عصر الصواريخ والتقدم المذهل فى السلاح ، لأن أطماع العراق ثابتة غير مرتبطة بعصر صدام ، وإنما هى قائمة من عهد فيصل .

كذلك يعبر عن هذا الانفصام أيضا رفض دول الخليج توسط الولايات المتحدة لاعادة علاقاتها مع الأردن !

ثم يواصل الأستاذ هيكل مسيرته بنا فى رحلة التيه، أو فى رحلة التتويه ! ليبعدنا عن الحقيقة فى حرب الخليج ، وليوزع المسئولية على جميع الأطراف بالعدل والقسطاس .

وفى ذلك يختار الاتحاد السوفيتى لتحميله نصيبه من المسئولية . وفى ذلك أيضا يكشف الأستاذ هيكل نفسه ـ بدون قصد ـ كمدافع عن النظام العراقى . فمسئولية الاتحاد السوفيتى تتمثل ـ فى نظره ـ فى معارضته للاحتلال العراقى للكويت ! وهى المعارضة التى يعتبرها هيكل تخليا عن مناصرة العرب (هكذا) !

وفى ذلك يقول : إن العالم العربى كان قد تعود على مواقف سوفيتية تناصره على نحو أو آخر فى أى أزمة مع الغرب . وقد ظل بعض الساسة العرب (يقصد العراقيين) يتصورون أن ما تعودوا عليه سابقا ما زال ساريا ، حتى وإن أثرت مستجدات الظروف عليه ، أى أن الاتحاد السوفيتى ما زال مستعدا للمساندة حتى وإن قلت درجة حرارتها . وحينما بدأ بعض الساسة العرب يذهبون إلى موسكو فى أعقاب الأزمة يستوثقون من توجهاتها ، كان الرئيس السوفيتى ميخائيل جورباتشوف قاطعا مع من قابلهم من العرب وقتها ، وكان قوله لأحدهم : « إن غزو الكويت مخالف لكل الأعراف والمواثيق» . وأضاف إنه يفهم وجهة نظر

الأمريكيين بأن لهم مصالح حيوية فى بترول الشرق الأوسط ، وإنهم سوف يحاربون حماية لها مهما حدث .

والسؤال الآن : إذا كان هذا هو موقف الاتحاد السوفيتى بالفعل ، فكيف يعتبره هيكل تخليا عن مناصرة العرب؟ اللهم إذا كان ينظر إلى القضية من نافذة النظام العراقى وليس من نافذة مصر ؟

إن نظرة مصر إلى غزو الكويت كانت هى نفسها نظرة الاتحاد السوفيتى ، وهى أنه مخالف لكل الأعراف والمواثيق ، بينما كان النظام العراقى يرى فى هذه النظرة تخليا عن مناصرة العرب ! فقد كان يريد من الاتحاد السوفيتى أن يساند غزوه للكويت ، ويدافع عنه ضد الشرعية الدولية .

ولم تكن مصر وحدها فى هذا الموقف ، وإنما كان العالم العربى كله . فلم تعلن دولة عربية واحدة أنها تعتبر الاحتلال العراقى للكويت شرعيا ومتفقا مع الأعراف والمواثيق .

حتى الدول التى ساندت العراق، مثل الأردن واليمن والسودان ، أو الدول التى وقفت موقفا محايدا ظاهريا مؤيدا فعليا ، مثل ليبيا ودول المغرب العربى ـ كانت إدانتها للغزو صريحة قاطعة، ولكنها كانت تعترض على تحرير الكويت

بالقوة العسكرية التى تقودها الولايات المتحدة ، تحت وهم إمكان التحرير بالطريق السلمى، الذى كان تطلق عليه ـ خداعا ـ اسم : «الحل العربى» !

فأين كان موقف مصر حكومة وشعبا ؟ لقد كانت مع التدخل العسكرى الدولى فى إطار قرارات الأمم المتحدة ، فى حالة ما إذا رفض العراق الانسحاب من الكويت ، فعندئذ لايكون مفر من استخدام القوة العسكرية لتحرير الكويت. ولم تقف مصر فى ذلك موقفا سلبيا ، ولم يكن موقفها سريا، فقد كان لها بالفعل فرقتان عسكريتان فى المملكة العربية السعودية لمحاربة القوات العراقية الغازية ، واجبارها على الانسحاب من الكويت مع قوات التحالف ــ وقد حاربت بالفعل!

فهل كان هذا الموقف من جانب مصر تخليا عن العالم العربى مثل موقف الاتحاد السوفيتى ؟ أو كان هذا الموقف وقوفا إلى جانب العالم العربى ، الذى أراده صدام حسين مجالا حيويا له يسيطر عليه ؟

أليس من الصحيح ـ من وجهة النظر المصرية ، ومن وجهة نظر الحقيقة التاريخية أيضا ــ أن استمرار احتلال النظام العراقى للكويت لم يكن يمثل فقط تهديدا حقيقيا

للمصالح الحيوية الأمريكية ، وإنما كان يمثل أيضا تهديدا حقيقيا للمصالح المصرية ، التى كان عليها فى حالة نجاح النظام العراقى فى تثبيت غزوه وتوسيع امبراطوريته ، أن تنزوى فى ظل الزعامة العراقية وتتلقى منها الفتات ؟

ولكن الأستاذ محمد حسنين هيكل لاينظر إلى حرب الخليج من النافذة المصرية ، وإنما ينظر إليها من نافذة الآخرين ! وهو يريد أن يبيع هذه النظرة للشعب المصرى والشعوب العربية فى كتابه عن حرب الخليج ، وينسى أنها نظرة وهمية لا صلة لها بحقيقة حرب الخليج ..

(٢)

التدبير الأمريكى المزعوم فى غزو الكويت

التدبير الأمريكى المزعوم فــــى غــزو الكــويت

كلما مضيت فى قراءة كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل : «حرب الخليج» ، زاد اقتناعى بأنى أمام مرافعة طويلة فى قضية خاسرة ، يلقيها محام بارع يعرف أن موكله مذنب من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، ولكنه يستخدم كل ما فى جعبته من حيل قانونية وأحابيل قضائية لإنقاذ عنقه من حبل المشنقة ، ولكن الأدلة تمسك بتلابيبه ولا تدع له مجالا للإفلات !

ومن هنا فان الأمر يقتضى وجود نائب عمومى عن الشعب، يكشف الحيل والأحابيل ، ويبرز الحقيقة وسط الغيوم . وهذا الدور الأخير هو ما أقوم به فى هذه المقالات .

أما المذنب الحقيقى فى هذه القضية ، الذى تحاصره الأدلة عربيا ودوليا ، فهو النظام العراقى لصدام حسين ،

---

* أكتوبر ـ ١٩ ابريل ١٩٩٢

الذى ارتكب من الجرائم فى حق الأمة العربية ما لم يرتكبه نظام آخر على مدى التاريخ الحديث والمعاصر .

ففى الوقت الذى كان يخدع الأمة العربية بتطرفه المصطنع فى الدفاع عن قضاياها ، خصوصا القضية الفلسطينية ، فإنه منذ قيامه لم يخض معركة واحدة لحساب العرب أو القضية الفلسطينية ، وإنما كانت معاركه كلها لحساب الهيمنة العراقية والزعامة العراقية الكاذبة .

هكذا خاض هذه المعارك ضد عبد الناصر بحجة التفريط والخيانة عندما قبل مبادرة روجرز ، وجر إليه منظمة التحرير الفلسطينية !

ثم خاضها ضد أول حكم شعبى فى ايران بعد سقوط أطول العهود الأوتوقراطية فى التاريخ ، حتى ولو كان هذا الحكم متلفعا بعباءة الدين ، وقسم العالم الإسلامى المعاصر بذلك إلى قسمين : عرب وفرس ، مستخدما اسم القومية العربية .

ثم عاد فقسم العالم العربى المعاصر إلى قسمين بغزو الخليج. مستخدما اسم الإسلام هذه المرة ! وجر إليه أيضا منظمة التحرير الفلسطينية !

واستطاع طوال حكمه المشئوم أن يبدد جزءا هائلا من ثروة الأمة العربية ، ويعيد الأساطيل الغربية إلى المنطقة العربية ، بعد خروجها منها ، مرتين :

الأولى ، فى أثناء حربه مع إيران ـ أو مع الفرس ، وفقا لتضليله .

والثانية ، بعد غزوه البربرى للكويت ، وإصراره على اعتبارها المحافظة رقم ١٩ ، ضد إرادة المجتمع العربى والدولى !

هذا النظام العراقى المشئوم ، الذى ما زال جاثما على صدر الشعب العراقى، يفرض دكتاتوريته الثقيلة عليه ، ويضرب الأكراد المسلمين فى الشمال تارة ، ثم يضرب الشيعة المسلمين فى الجنوب تارة أخرى ـ هذا النظام نفسه هو ما كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل مرافعته الطويلة التى أسماها : «حرب الخليج ، أوهام القوة والنصر» ، دفاعا عنه ، ويقوم بتوزيع مسئولية الجريمة التى ارتكبها على أكبر عدد من الأطراف ، وإلقاء الشبهة على هذا الطرف تارة وعلى الطرف الآخر تارة أخرى !

فعلى الرغم من أن الغزو العراقى للكويت كان تدبيرا عراقيا محضا ، فإن الأستاذ هيكل حاول ، منذ السطور الأولى لكتابه ، أن يوهم القارىء بأنه كان تدبيرا أمريكيا !

فكما رأينا فى مقالنا السابق ، فقد أخذ يتحدث عن حاجةالولايات المتحدة ، بعد سقوط عدوها الأول الاتحاد السوفيتى ، إلى «عدو جديد» تعبىء ضده شعبها وقواتها المسلحة ، وحاجتها إلى «خطر جديد» تستخدمه فى الحصول من الكونجرس الأمريكى على الاعتمادات اللازمة للحفاظ على مستوى القوة الأمريكية ، بل حاجة الرئيس الأمريكى بوش نفسه إلى «حرب عادلة» يحفر بها اسمه فى تاريخ أمته!

على أنه نظرا لعنصر الاصطناع فى هذه التهمة ، فإن الأستاذ هيكل لم يملك إلا أن يقوم بنفسه ـ وبدون قصد ـ بتفنيدها فى أثناء مرافعته !

ففى صفحة ٣٥ من كتابه ، يتحدث عن لقاء بين المسز تاتشر ، رئيسة الحكومة البريطانية، وجورج بوش ، بعد اجتماع «أسبن» ، تكتمت المسز تاتشر الكلام عنه حتى عودتها من الولايات المتحدة ، وشرحت أمام مجلس الوزراء البريطانى أسباب هذا التكتم ، فقالت إنها ألزمت نفسها بذلك لكى تعطى «جورج» فرصته ، خصوصا وأن الولايات المتحدة هى التى ستقوم بالمجهود الرئيسى فى أى حرب قادمة.

وأضافت إنها وجدت جورج وركبه مخلخلة ! وقد أعطته كل تأييدها وتشجيعها لكى يقوم بدوره الضرورى فى تأديب صدام حسين .

إذن فـهـذا الـ «جـورج» ذو الركب المخلخلة ، هو الذى يسوقه الأستاذ هيكل فى أول كتابه باحثا عن حرب عادلة يحفر بها اسمه فى تاريخ أمته !

ثم لايلبث الأستاذ هيكل أن يسقط باقى اتهاماته للولايات المتحدة فى الصفحات التالية ، ففى عرضه لموقف العواصم المختلفة فى الأيام السابقة للغزو العراقى للكويت ، يقول إنه عندما تلاحقت الأحداث فى منطقة الخليج ، بعد خطاب صدام حسين يوم ١٧ يوليو ، ورسالة طارق عزيز إلى أمين عام الجامعة العربية الذى آثار فيه قضية الحدود مع الكويت وأسعار النفط ـ لم تكن لدى واشنطن ، فيما تقول به الشواهد حتى تلك اللحظة ، خطة نهائية للعراق ! وإنما كانت لديها خطة لمنطقة الشرق الأوسط ، أساسها أن تتوصل الأطراف فى المنطقة إلى تسوية سلمية للصراع العربى الاسرائيلى ، تضبط حرارة التفاعلات فيها حتى لاتتجاوز سخونتها حدا معينا يؤثر على الاستقرار العام فيها ، ومن ثم على أمن اسرائيل ، أو على تدفق البترول من المنطقة وفق ترتيبات مقبولة ، من ناحية الانتاج والأسعار ، ومن ناحية المحافظة على سلامة الدول المنتجة للبترول (ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

اذن فالأستاذ هيكل يؤكد هنا أن الاستقرار فى هذه المنطقة كان هو أساس خطة الولايات المتحدة ، وليس البحث عن عدو جديد وخطر جديد !

بل يذهب هيكل إلى أبعد من ذلك فينفى عن الإدارة الأمريكية نية اسقاط النظام العراقى . فيذكر فى ذلك أنه كان هناك ظن شائع على نطاق واسع بأن الولايات المتحدة ، فى الأشهر القليلة الأولى من سنة ١٩٩٠، فيما بين خطاب صدام فى عمان فى فبراير وخطابه فى بغداد فى يوليو ، كانت تحاول إسقاط النظام فى بغداد ، ولكن استقراء الوقائع والاسترشاد بالوثائق ـ وفقا لرأيه ـ يشير إلى أن الولايات المتحدة كانت تحاول تطويع وترويض النظام فى العراق أكثر مما تحاول إسقاطه !

ثم يضيف هيكل إن واشنطن كانت ترى للعراق دورا مفيدا ، فهو ـ من ناحية ـ قادر على كبح جماح ايران إذا تغلب الجناح المتشدد فيها على الجناح المعتدل ، ومن ناحية أخرى فإن العراق يمكن أن يكون عامل تخويف محسوب لدول النفط فى الخليج يدفعها إلى التماس الطمأنينة من الولايات المتحدة، ويمكن من ناحية ثالثة أن يكون عنصر توازن إزاء سوريا التى بدت فى ذلك الوقت وكأنها العدو رقم «١» .

وإذا كان هذا كله يسوقه الأستاذ هيكل بنفسه ، وهو الذى أخذ فى بداية كتابه يسوق الأدلة على حاجة الولايات المتحدة إلى عدو ، وإلى خطر ، وإلى حرب تحفر اسم رئيسها فى تاريخ أمته ، أفلا يدل ذلك على التناقض الشديد؟ وعلى رغبة هيكل فى توزيع الشبهات والاتهامات على جميع الأطراف ، ليرفع عن النظام العراقى مسئوليته الوحيدة عن الكارثة التى ساق إليها الأمة العربية ؟

على أن هيكل يمضى إلى أبعد من ذلك فى تبرئة الولايات المتحدة ، فيقول إنه قبل إلقاء صدام حسين خطابه يوم ١٧ يوليو بيوم واحد ـ أى فى يوم ١٦ يوليو ـ لاحظت المخابرات العسكرية للشرق الأوسط تحرك ثلاث فرق كاملة الاستعداد إلى الجنوب فى اتجاه البصرة والكويت . وقد حددت تقارير الاستطلاع هذه الفرق بأنها : فرقة حامورابى ، وفرقة المدينة المنورة ، وفرقة توكلنا على الله ، وكان رأى الجنرال شوارتزكوف ، قائد القيادة المركزية المخصصة للتدخل فى الشرق الأوسط ، أن هذا الحشد العراقى أمام الكويت قد يكون حشد تخويف أو حشد ضربة عقابية محددة على أسوأ الظروف .

ويضيف إن الولايات المتحدة طلبت إلى السفيرة الأمريكية فى بغداد «ابريل جلاسبى» الاستفسار من القيادة

العراقية عن هذا الأمر ، وطلب ايضاحات عن خطاب صدام حسين يوم ١٧ يوليو ورسالة طارق عزيز فى اليوم التالى . ولم يخرج رد وكيل وزارة الخارجية العراقيةعليها عن الحدود التقليدية ، مستعرضا جذور الأزمة ومسارها والمحاولات العربية لحلها . ولكنها فوجئت بصدام حسين يستدعيها إليه ، ويثير فى حديثه معها العلاقات العراقية الأمريكية ، ومشكلته مع الكويت ، التى ذكر أنها توسع حدودها على حساب الأراضى العراقية ، وتخفض أسعار البترول بشكل مخطط ومتعمد لإذلال العراق !

وقد وردت عليه السفيرة ابريل جلاسبى بأن الولايات المتحدة لايتوافر لديها رأى حول الخلافات العربية ـ العربية ، ومنها خلافكم الحدودى مع الكويت . وأنا خدمت فى أواخر الستينات فى سفارة أمريكا بالكويت ، وكانت التوجيهات لنا فى تلك الفترة هى أننا لا ينبغى أن نبدى رأيا حول هذه القضية ، وقد وجه جيمس بيكر (تقصد وزير الخارجية)، متحدثنا الرسمى لأن يعيد التأكيد على هذا التوجيه ، ونتمنى أن تتمكنوا من حل هذه المشكلة بأى طريقة مناسبة ، عن طريق القليبى أو الرئيس مبارك» !

على هذا النحو يُسقط الأستاذ هيكل بنفسه الأدلة ـ التى أخذ يسوقها فى بداية كلامه ـ عن حاجة الولايات

المتحدة إلى عدو ، وإلى خطر ، وإلى حرب فى هذه المنطقة العربية، وهى الأدلة التى قصد بها أن يجعل من الولايات المتحدة المحرك الرئيسى للأحداث التى قادت إلى الحرب، ويجعل من العراق محور هذه العداوة والخطر والحرب التى كانت تتطلع إليها الولايات المتحدة ، ويجعل منه ضحية وشهيدا !

والغريب أن البعض ـ من الجانب الآخر ـ اتخذ كلام السفيرة ابريل جلاسبى دليلا على دور الولايات المتحدة فى دفع صدام حسين إلى الغزو والحرب ! ترى لو اتخذ السفير الأمريكى فى القاهرة نفس الموقف مع الرئيس مبارك عندما كان الخلاف محتدما بين مصر وليبيا ، هل يبادر الرئيس مبارك بعد أسبوع إلى غزو ليبيا دون أن يكون هذا المخطط معدا من قبل ؟ ومن يتحمل مسئولية الغزو : مبارك أم الولايات المتحدة ؟ .

مسئولية النظام العراقى عن غزو الكويت والحرب والمصيبة التى ألمت بالأمة العربية ، هى مسئولية ينفرد بها ، ولا يُغْنى فيها مهارة الأستاذ محمد حسنين هيكل ومحاولته توزيعها على جميع الأطراف .

فقد رأينا ، فى مقالنا السابق ، كيف حاول تحميل الاتحاد السوفيتى بنصيب منها بحجة أنه لم يتخذ موقفا

مناصرا للأمة العربية ، لأن رأى جورباتشوف فى غزو الكويت هو أنه مخالف لكل الأعراف والمواثيق ، وكيف اعتبر هذا الموقف منه تخليا من جانب الاتحاد السوفيتى عن الأمة العربية كلها !

وقد أخذ الأستاذ هيكل بعد ذلك فى تحميل الكويت نصيبها الأكبر من المسئولية ، وفى ذلك فقد تبنى وجهة النظر العراقية بالكامل ، وبدون تحفظ !

وقد بدأ بالحدود ، فالكويت ـ حسب قوله ـ كانت امتدادا لولاية البصرة تحت إدارة أسرة الصباح (ص ٢٦٦) ـ وهى نفس فكرة النظام العراقى الخاطئة ـ وهو لايذكر من أمرائها إلا الشيخ مبارك ، الذى قتل أخويه ، بسبب الخلاف على ارث أبيهم ، وهو الشيخ السادس .

ولا ينسى الأستاذ هيكل أن يقدم هذا الصراع فى صورة تراجيدية ، ليحيط هذه الأسرة بهالة سوداء ، ويقتبس فى ذلك تفصيلات لايحتملها كتاب عن حرب الخليج التى وقعت بعد تسعين عاما من هذا الصراع ! ويبين كيف استحكم الخلاف على قائمة حساب تحتوى على عشرين ليرة عثمانية ! وسيف يتكلف اصلاحه ٩ ليرات ! وكل ذلك ليضع القارىء أمام مقارنة بين ما كانت عليه هذه الأسرة وما أصبحت عليه الآن !

ويتحدث عن الاغتيال بأسلوب الاثارة المعهود فى الأفلام الروائية ، فيروى كيف صعد مبارك إلى أخيه محمد ، فأيقظه من نومه ، وأطلق عليه البندقية ، ولكنها لم تجهز عليه ، «فاستغاث الأخ بأخيه ، وذكره بما له من الحق والحرمة ، فما وجد ذلك الصوت المحزن ، ولا ذلك الاستعطاف الحار ، سبيلا إلى قلب مبارك الذى امتلأ حقدا وغضبا ، فصوب إليه البندقية ثانية متصامما عن سماع النداء ، حتى تركه لا حراك به ، يتخبط بدمه ، ويجود بنفسه العزيزة !» إلى آخره !

كذلك يروى كيف ذهب جابر إلى عمه ليقتله ، وسقط هذا صريعا ، «ووقفت زوجته عليه تبكى وتنوح وتندب» !

وبطبيعة الحال فإن كاتبا ألمعيا مثل الأستاذ هيكل لايكتب هذه التراجيديا المؤثرة اعتباطا ، وليس هو ممن يفتقرون إلى المادة فيلجأ إلى تسويد صفحات كتابه بمثل هذه التفصيلات المأساوية ـ وإنما هو مهندس قدير يعرف كيف يضيف هذه اللمسة هنا أو هناك لخدمة هدف نهائى رسمه مسبقا بعناية . وهذا الهدف هنا هو تشويه صورة الأسرة الحاكمة فى الكويت ، لحساب وجهة نظر النظام العراقى كاملة فى حقوقه الشرعية المزعومة فى الكويت .

ومن سوء حظ الأستاذ هيكل أن التاريخ يتخلى عنه فى هذه القضية ، وأنه فى ذلك قد سقط فى شرك المؤرخين

العراقيين الذين يزيفون التاريخ لحساب صدام ، فلو أنه قرأ اتفاقية ٢٩ يوليو ١٩١٣ بين بريطانيا والدولة العثمانية التى تحدد وضع الكويت ، والوثائق البريطانية عن أصول الحرب العالمية الأولى B.D.W والوثائق التى أوردها «هيرويتز» Hure-witz فى كتابه : «الدبلوماسية فى الشرقين الأدنى والأوسط»، ودراستنا عن «الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى» ــ لعرف أن الكويت لم تكن فى يوم من الأيام تحت السيادة العراقية ، وأن السيادة العثمانية على الكويت ـ وهى الأصل ـ (وهى التى كانت على العراق فى الوقت نفسه) لم تكن سيادة فعلية وإنما سيادة إسمية ، ولم تفرضها الدولة العثمانية بقوة السلاح وإنما اختارتها الكويت طواعية لأسباب دينية وأسباب أمنية فى وجه التدخل الأجنبى ،

كذلك لم يكن أمير الكويت فى يوم من الأيام أميرا عثمانيا كما هو الحال فى العراق ، وانما كان أميرا كويتيا منذ أن نشأت الامارة كإمارة مستقلة فى عام ١٧٥٦، ولم يكن فى وسع السلطان العثمانى خلعه لأن الحكم كان وراثيا فى أسرة الصباح .

ولم تصطبغ الكويت فى يوم ما بالصبغة العثمانية كما هو الحال بالنسبة للعراق ، ولم تدخلها نظم الإدارة العثمانية، ولم تعسكر فيها حامية عثمانية ، ولم يكن للدولة العثمانية

موظفون فى الكويت كما هو الحال فى جميع ولايات الدولة العثمانية بما فيها العراق نفسه .

وعندما أبرمت اتفاقية ٢٩ يوليو سنة ١٩١٣ بين بريطانيا والدولة العثمانية ، لم تقبل بريطانيا مطلب العثمانيين فى أن تعترف بالكويت كجزء من ولاية البصرة وسريان القوانين العثمانية فيها ، وإنما نصت على أن تكون الكويت «قضاء» مستقلا ذاتيا ، وتتعهد الحكومة العثمانية بعدم التدخل فى شئونه الداخلية أو شئون الوراثة ، وإنما تصدر فقط الفرمانات الخاصة بالتنصيب ، كما لايجوز لها أن تحتل عسكريا جزءا من أرض الكويت المحددة ، وأن تعترف بالاتفاقات المعقودة بين الكويت وبريطانيا .

وفى تحليل ساطع الحصرى لهذه الاتفاقية ، فى كتابه «البلاد العربية والدولة العثمانية» ، الطبعة الثالثة ص ٢٠٥ و ٢٠٦ ، أوضح أنه وان كانت الاتفاقية قد سلمت ببقاء الكويت تحت سيادة الدولة العثمانية ، إلا أن بقية المواد قد جعلت من هذه السيادة مجرد سيادة رمزية أو اسمية ! فهى تحظر على الدولة العثمانية التدخل فى شئون الكويت الداخلية والخارجية ، الأمر الذى لايترك للسيادة العثمانية أى

معنى . ثم يختم ساطع الحصرى تحليله لهذه الاتفاقية بقوله: « إنها لم تترك فى الكويت أى أثر للسيادة العثمانية ، سوى كلمة «السيادة» !

وبعد كل هذا التوضيح التاريخى ، فهل بقى أثر من صحة لما أورده الأستاذ هيكل فى كتابه «حرب الخليج ، أوهام القوة والنصر» ، من أن الكويت كانت امتدادا لولاية البصرة تحت إدارة أسرة الصباح ؟

وألا يحق لنا أن نطالبه بأن يعجب معنا من احتلال النظام العراقى للكويت تحت دعاوى الحقوق التاريخية - التى ينتحلها بالتبعية من الدولة العثمانية - برغم أن الدولة العثمانية نفسها لم يكن من حقها أن تحتل عسكريا أى جزء من أرض الكويت !

ولكن أوهام العراق انتقلت - فيما يبدو - إلى الأستاذ هيكل ، حتى أصبح من العسير التمييز بين أوهام النظام العراقى وأوهام هيكل ، ولكن الحقيقة التاريخية كفيلة بتبديد كل الأوهام .

(٣)

الصورة المقلوبة في كتاب هيكل

الصورة المقلوبة
فى كتاب هيكل

ربما كان خطأ الأستاذ محمد حسنين هيكل القاتل فى كتاب «حرب الخليج ، أوهام القوة والنصر» ، هو أنه حدد منذ البداية موقفه إلى جانب الغاصب ضد من وقع عليه الاغتصاب ، ونصب نفسه منذ أول وهلة مدافعا عن اللص ضد الضحية ـ ومن هنا اختلطت الأمور فى عمله ، وقادته إلى الأخطاء التى وقع فيها .

لقد كانت القضية ـ فى منتهى البساطة ـ هى أن النظام العراقى انتهك الشرعية الدولية وميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى وميثاق جامعة الدول العربية وروابط العروبة والإسلام، عندما قام بغزوه للكويت . وكان من الطبيعى أن يستفز هذا الغزو الدول العربية المعرضة لخطر الغزو من جانب النظام العراقى ، فتسعى لحماية نفسها بكل الوسائل.

---

* أكتوبر ـ ٢٦ ابريل ١٩٩٢

كما كان من الطبيعى أيضا أن يستفز هذا الغزو الدول الكبرى التى لها مصالح كبرى استراتيجية فى المنطقة العربية ، فتسعى بدورها لحماية هذه المصالح .

ومن هنا فإن الموقف برمته كان فى يد النظام العراقى ، فإذا انسحب من الكويت ، وأعاد إليها حكومتها الشرعية ، انتهى الاستفزاز الذى أحدثه احتلاله للكويت وقضاؤه على حكومتها الشرعية، وانتهى كل ما ترتب على هذا الاستفزاز من استعدادات عسكرية لحماية المصالح الاقليمية والدولية ، وإذا استمر النظام العراقى فى احتلاله للكويت ، وتهديده للدول العربية المجاورة ، وللمصالح الدولية ، استمرت الاستعدادات العسكرية حتى يتم تحرير الكويت وإنهاء الخطر .

ومن هنا لو أن الأستاذ هيكل نظر إلى القضية فى صورتها الصحيحة لصدر كتابه على نحو مختلف كل الاختلاف ، ولكنه نظر إلى القضية فى صورتها المقلوبة ، أى الصورة التى كان النظام العراقى ينظر به إليها ، وهى نفس الصورة التى ينظر بها اللص إلى تحركات البوليس التى تستهدف استعادة المسروقات منه ، فهى فى نظره تحركات عدوانية أثيمة ! .

هكذا أخذ يصور تحركات المملكة العربية السعودية للدفاع عن نفسها ، وهكذا أخذ يصور تحركات الولايات المتحدة الأمريكية للدفاع عن مصالحها ، وهكذا أخذ يصور تحركات مصر لإجبار اللص (النظام العراقى) على رد ما اغتصبه ظلما وعدوانا ـ إن كل هذه التحركات يصورها هيكل فى كتابه فى صورة تحمل الإدانة والتشكيك والتلويث ، بينما يصور تحركات اللص والمتعاطفين معه فى صورة التقدير والتبرير !

والغريب حقا أن الأستاذ هيكل يذكر فى مقدمته للكتاب أنه يأمل فى أن يكون موقفه فى عرض القصة هو موقف المستقل ، وليس موقف الحياد ، لأن موقف المتجرد ـ فى رأيه ـ غير إنسانى ، بل هو مستحيل ، فكل إنسان له فى النهاية رؤيته ، وهى محكومة بموقعه محكومة أيضا بمنظوره الفكرى والثقافى.

وإذا كان الأمر كذلك ، فأى موقع يبيح للأستاذ هيكل اتخاذ جانب المغتصب ضد الضحية ، والمعتدى ضد المعتدى عليه ؟ وأى منظور فكرى وثقافى يخفى عن عينيه رؤية الجانى الحقيقى ، وهو النظام العراقى ، ويجعله يصور الاستعدادات والتحركات التى تستهدف إجبار الجانى على رد ما سلب ،

فى صورة تحركات عدوانية ضد بلد عربى بل ضد الأمة العربية ؟ .

لقد كان فى وسع النظام العراقى أن ينهى الأزمة ، ويتفادى معها الحرب ، فى ساعات يسحب فيها قواته بنفس السرعة التى دخل بها الكويت ، وفى هذه الحالة ينزع الفتيل الذى كانت الولايات المتحدة تريد أن تشعله ـ إذا افترضنا جدلا أنها كانت تسعى لإشعال أى فتيل ! ـ ويعيد قواتها إلى مواقعها التى كانت فيها قبل الغزو ، ويجهض خطة العمليات التى تحدث عنها ، وهى خطة ١٠٠٢ ـ ٩٠ ، قبل أن تدخل فى مرحلة التنفيذ ؟ .

نعم ، لو فعل النظام العراقى ذلك ، هل كانت تبقى ـ عندئذ ـ حاجة لإرسال قوات مصرية إلى المملكة العربية السعودية ، أو قوات مغربية ، أو قوات بقية الدول التى تقاطرت عليها ؟

ألم يكن فى إنهاء احتلال الكويت وعودة حكومتها الشرعية إليها ، إخماد للفتنة التى أشعلها الغزو ، وسحب كل مبرر للتدخل الأجنبى من جانب الولايات المتحدة وغيرها؟

ولقد رأينا فى مقالاتنا السابقة كيف أخذ الأستاذ هيكل يمهد لرؤيته لحرب الخليج ، بتقزيم مسئولية النظام العراقى ،

واشراك كل الأطراف الأخرى معه فى المسئولية ، فأسند إلى الولايات المتحدة أنها كانت في حاجة إلى عدو جديد بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ، وإلى خطر جديد ، وإلى حرب جديدة ! واتهم الاتحاد السوفيتى بعدم مناصرة الأمة العربية، لأنه اتخذ موقف الإدانة للغزو العراقى للكويت ، ثم صور الكويت فى الصورة التى تؤكد ادعاءات العراق التاريخية فيها، فزعم أنها كانت ولاية تابعة للبصرة تحت إدارة كويتية- إلى آخر هذا التمهيد الطويل الذى استغرق نصف صفحات الكتاب !

وكان من الطبيعى أن يواصل مسيرته وهو يتعرض لرد فعل الغزو العراقى فى السعودية ومصر والولايات المتحدة ، فيصور رد الفعل هذا فى الصورة التى تدين هذه الأطراف ، وتبرىء ساحة صدام حسين أمام التاريخ .

لقد صور الأستاذ هيكل التنسيق بين هذه الأطراف الثلاثة فى صورة التآمر على العراق ، وصور العراق فى صورة المجنى عليه ، وارتكب بذلك مغالطة كبرى ، فالعراق هو المعتدى ، وكل تنسيق بين الأطراف الثلاثة هو تنسيق مشروع هدفه إزالة العدوان .

وكان من الطبيعى أن يتخبط فى عرضه تخبطا كبيرا . لقد صور الرئيس الأمريكى بوش أولا فى صورة المتلهف على

الحرب منذ اللحظة الأولى (ص ٣٧١) ، وأنه منذ اليوم التالى للغزو استقر رأيه على التدخل العسكرى الشامل طبقا للخطة «١٠٠٢ ـ ٩٠» ، وأن المناقشات بينه وبين مجلس الأمن القومى خلصت إلى ضرورة الاتصال بالملك فهد لتأمين وجود القاعدة الوحيدة الممكنة لتنفيذ الخطة .

ولكنه يناقض نفسه فى المواضع الأخرى ، فينقل عن الرئيس الأمريكى فى نفس اليوم أنه صرح للصحفيين بأن معلوماته تشير إلى أنه ليس هناك بلد آخر مهدد بالغزو غير الكويت (ومعنى ذلك أن السعودية غير مهددة !)

ثم ينقل عن المسز تاتشر التى اجتمعت بجورج بوش فى نفس اليوم قولها لمجلس الوزراء البريطانى بعد عودتها : إنها وجدت جورج وركبه مخلخلة ، وإنها أعطته كل تأييدها وتشجيعها لكى يقوم بدوره الضرورى فى تأديب صدام حسين ! (ص ٣٥) ـ ثم يعود فيحرف هذا الكلام الذى قالته تاتشر فى موضع آخر ، فيقول إنها قالت لمجلس الوزراء «إنها قوت من عزيمة جورج» ، فقد خافت أن تصطك ركبه من الفزع من جراء نصائح بعض الخبراء الأمريكيين الذين يلحون عليه بضبط النفس» ! ـ وواضح أن النص الأول هو الأصح ، إذ ليس معقولا أن تصطك ركب الرئيس الأمريكى من جراء نصيحة له بضبط النفس، وإنما تصطك ركبه من جراء نصيحة له بالحرب .

ثم يقع هيكل فى تناقض آخر ، فبعد أن يذكر أن الرئيس بوش ، فى اجتماع ٢ أغسطس (وهو اليوم الثاني للأزمة وفقا لتوقيت واشنطن) اختار التدخل العسكرى الشامل طبقا لخطة ١٠٠٢ ـ ٩٠ ، (ص ٣٧٨) يعود فيذكر أنه فى اجتماع اليوم التالى (٣ أغسطس) مع مجلس الأمن القومى سأل قائلا :

«عندما نتفق على حجم مصالحنا الحيوية فى المنطقة ، فإننا يجب أن نتوصل على الفور إلى أن الغزو للكويت غير مقبول، وإذا كان ذلك قرارنا ، فالنقطة التالية هى : ماذا يجب أن نفعل ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ »

ومعنى هذا الكلام هو أن الرئيس لم يكن قد اختار بعد التدخل العسكرى ! .

وفى ذلك كله يتحدث هيكل عن القرار بالتدخل العسكرى كما لو كان منوطا بإرادة الرئيس بوش وليس منوطا بإرادة صدام حسين ! ويرتب على هذا القرار ما وقع من تدخل عسكرى بالفعل !

وينسى هيكل أن القرار ، حتى لو اتخذ فعلا ، فإن انسحاب العراق من الكويت ، وإعادته حكومتها الشرعية إليها ، كان يجعله غير ذى موضوع !

ولكن هيكل ــ كما ذكرنا ـ ينظر إلى القرار من المنظور العراقى ، وهو منظور يدين أى تحرك يرغمه على الانسحاب من الكويت وعودة أسرة الصباح ، ويعتبره قرارا اتخذ لينفذ، إذ لم يكن فى نية النظام العراقى الانسحاب وإعادة الأسرة الحاكمة .

وفى هذا الصدد أذكر أنه فى أثناء أزمة الخليج ، وتزايد احتشاد جيوش التحالف فى المنطقة ، كان أنصار النظام العراقى فى مصر ، والراغبون فى تمكينه من ابتلاع الكويت، يتهمون أنصار تحرير الكويت ، بأنهم أنصار الحل العسكرى، وأنصار التدخل الأمريكى ! وقد كتبت وقتذاك أكشف هذه المغالطة ، وأبين أن أنصار الحل العسكرى الحقيقيين ، وأنصار التدخل الأمريكى ، هم الذين يشجعون النظام العراقى على استدامة احتلاله للكويت ، ويقفلون بذلك باب الحل السلمى ، ويفرضون الخيار العسكرى فرضا !.

وقد ساق الأستاذ هيكل كتابه كله انطلاقا من هذه المغالطة ، وقدم رواية الطيب والشرير معكوسة ! فالطيب هو صدام حسين والملك حسين ، اللذان يبذلان المستحيل لتفادى الحرب، والشرير هو بوش وفهد ومبارك ، الذين يدقون طبول الحرب !

وفي ذلك يورد أن بوش قال للملك حسين : إن الكونجرس والرأى العام ووسائل الاعلام الأمريكى كلها ، تطالبه ـ أى تطالب بوش ـ بالفعل العسكرى ، وليس بقرارات الإدانة !

وينسى هيكل أن الكونجرس والرأى العام ووسائل الاعلام الأمريكى كانت تحذر من الفعل العسكرى ، لأنها لاتريد من الولايات المتحدة أن تزج بنفسها فى حرب دفاعا عن مشايخ الخليج ، ولم تكن تريد أن يُقتل الجندى الأمريكى ليحيا الكويتى !

كما ينسى أن الكونجرس ألزم الرئيس الأمريكى بالرجوع إليه قبل اتخاذ قرار الحرب ، فقد كانت الدعاية العراقية عن الأسلحة غير التقليدية التى يملكها من كيماوية وذرية وغيرها ، تملأ المجتمع الأمريكى بالرعب ! ولم يحصل بوش على موافقة الكونجرس الأمريكى على الحرب إلا بصعوبة بالغة .

بل لقد كان النظام العراقى يراهن فى ذلك الحين على معارضة الرأى العام الأمريكى والكونجرس ووسائل الاعلام الأمريكية للحرب ، التى كانت تنشر كل ما ينفر من التدخل العسكرى .

وقد حضرت مؤتمرا علميا فى شيكاغو أثناء الأزمة ، ولم أقابل متحمسا واحدا للحرب ! وقد خاطبنى أحد الأساتذة الأمريكيين متبرما قائلا : لماذا تريد أن يموت ابنى من أجل الكويتـــيين ؟ هل تحب أن يموت ابنك من أجل الكويتيين ؟

وقد رددت عليه بقولى إن ابنه إذا مات لن يموت من أجل الكويتيين، وإنما من أجل البترول وحتى لا يقع ثلثا مخزون البترول فى هذه المنطقة فى يد صدام حسين !

وفى ذلك الحين كانت المظاهرات المعادية للحرب فى الولايات المتحدة تتوالى دون انقطاع .

وحتى يبيع هيكل هذه المغالطة للرأى العام المصرى والعربى ، صور زعماء المنطقة العربية فى صورة الدمى التى يحركها اللاعب الأمريكى ، مسلوبى الإرادة وفى حالة عجز كامل عن الفعل !

وعمدة هيكل فى هذا التصوير الملك حسين نفسه ، الذى أمضى معه ست ساعات فى عمان يوم ٢٨ ابريل ١٩٩١.

فطبقا لرواية الملك حسين ، فإن بوش أبدى له دهشته من أن الملك فهد لم يبادر إلى طلب مساعدة الولايات المتحدة كما طلبتها الكويت بعد نصف ساعة من وقوع الغزو! وأضاف إنه

قال للملك فهد إنه إذا لم يتحرك الآخرون لحماية مصالحهم ، فلن يكون هذا ذنب الولايات المتحدة ، وعليهم فى هذه الحالة أن يلوموا أنفسهم ، وإن الولايات المتحدة سوف تتصرف وحدها !.

ثم يقول الملك حسين إنه طلب وقتذاك من بوش أن «يعطى فرصة معقولة لحل الأزمة فى إطار عربى يناقشه الآن مع الأخ الرئيس مبارك» ، ولكن بوش لم يقتنع ! فقال له الملك حسين : « ألا تريد أن تعطينا فرصة ساعات ، فقد نستطيع خلالها عمل شىء ؟». ولكن بوش أصر على أنه لافائدة ! وعندئذ قال له الملك ، «أعطنى ٤٨ ساعة» ! ثم كررها الملك : « ٤٨ ساعة أرجوك يا سيادة الرئيس» !

وواضح التزييف فى هذه الرواية الملكية ! فمن يقرؤها يتصور أن القوات الأمريكية كانت قد أكملت احتشادها ووقفت على أهبة الاستعداد للهجوم على العراق جوا وبرا وبحرا ، وأن الملك حسين أخذ يحاول عبثا إيقاف هجومها ولو لمدة ٤٨ ساعة !

ولكن الحقيقة التاريخية تقول إن الولايات المتحدة فى ذلك الوقت ـ أى فى اليوم الثانى للغزو ـ لم تكن بحال فى أى وضع حربى يتيح لها الهجوم على العراق ، وأكثر من ذلك

أنها ظلت فى هذا الوضع مدة تزيد على أربعة أشهر ! ولم تتمكن من القيام بأولى غاراتها الجوية على العراق إلا فى يوم ١٧ يناير ١٩٩٢ . وبالتالى فإن قصة الملك حسين عن إلحاحه على الرئيس بوش بالانتظار مدة ٤٨ ساعة تبدو قصة مسلية ومضحكة ! ذلك أن السؤال الذى يطرح نفسه هو :

ــ الانتظار على ماذا ؟

نعم لم يكن هناك خطر أمريكى يستوجب إرجاءه ٤٨ ساعة ، وإنما كان الخطر الحقيقى قادما من العراق نفسه ، الذى كان فى ذلك الحين قد احتل الكويت ، وأخذ يقوم بأكبر عملية سلب ونهب فى التاريخ ، بل يقوم بسلب الكويتيين هويتهم الوطنية التى لم ينتزعها منهم أحد على مدى ٢٥٠ عاما ، وتحويلهم إلى مواطنين عراقيين من الدرجة الثانية !

وفى الوقت نفسه فإن الصورة على الجانب السعودى ــ وفقا لقول هيكل نفسه ــ لم تكن بصورة التخاذل التى صورها بوش للملك حسين وفق رواية الأخير .

فعندما وقع الغزو ، وسمع به الأمير بندر بن سلطان ، سفير المملكة العربية فى واشنطن ، وكان فى لندن ، عاد على الفور

إلى واشنطن ، واتصل بالملك فهد تليفونيا يسأل عن التعليمات . وكانت تعليمات الملك إليه : « إن الجماعة عندك (يقصد الحكومة الأمريكية) لابد لهم أن يكونوا حازمين» ! وقد رد الأمير بأنه «لم ير أحدا من المسئولين الكبار بعد ، ولكنه ـ من كل ما سمع ورأى ـ يشعر أن الأمريكان ثائرون ، وأنه قصد أن يتصل بالملك قبل أن يقابل أحدا ، حتى يكون على بينة» (ص ٣٨٦) .

وهذا يوضح أن الملك فهد ، منذ اللحظة الأولى ، كان يرى ضرورة استخدام الحزم مع صدام حسين ، وهذه كانت تعليماته إلى سفيره قبل أن يقابل أى أحد من المسئولين .

وقد عاد فشدد على ضرورة ذلك عندما اتصل به الرئيس الأمريكى فى نفس اليوم ، فقد وجده الرئيس الأمريكى ــ كما يقول ــ غاضبا وفى حالة صدمة ، «وطالب بضرورة إجبار صدام حسين على الخروج من الكويت» (ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠) .

وبطبيعة الحال فإن «إجبار» صدام على الخروج من الكويت ، لايكون عن طريق الشفاعة والقبلات وإنما يكون عن طريق القوة ! .

ومعنى ذلك أن طلب استخدام القوة جاء من الجانب السعودى . وهو أمر طبيعى ، لأن الخطر على المملكة العربية السعودية من غزو العراق للكويت هو أكبر من الخطر على الولايات المتحدة ، فالخطر على الأخيرة مجرد خطر على المصالح ، ولكنه على المملكة العربية السعودية خطر على الوجود والبقاء .

وأكثر من ذلك أن مجرد احتلال صدام حسين للكويت دون رادع سوف يجعل التعامل معه مهينا لكل القبائل والأسر الحاكمة فى شبه الجزيرة العربية (ص ٣٩٧) . كما أن الغزو جعل المملكة «تحس بحالة بعرى كامل إزاء الموقف الذى واجهته، فالأسرة والدولة فى حالة انكشاف» (ص٣٩٦).

وهذا كله يوضح أن المملكة العربية السعودية لم تكن فى هذه الأزمة مجرد دمية يحركها الرئيس بوش فى سعيه وراء حرب يحفر بها اسمه فى تاريخ بلده ، بل كانت فاعلا أصيلا، ومحركا رئيسيا فى الأحداث .

ولكنها فى الوقت نفسه ، وفى اليوم الأول من الغزو ، لم تكن فى وضع يدعوها إلى استدعاء القوات الأمريكية ، لأن العراق كان عضوا فى مجلس التعاون العربى الذى يضم مصر والأردن ، وكان الملك فهد فى حاجة إلى أن يعرف أن العمل العراقى لم يجر بالتشاور مع البلدين .

وقد عرف الملك فهد حقيقة موقف الرئيس مبارك مبكرا ، ولكنه لم يتحقق من موقف الملك حسين إلا متأخرا ، وعندما تم ذلك كانت حركة فرز هائلة تقسم المنطقة العربية إلى قسمين : قسم يضم الرئيس مبارك والملك فهد والشيخ جابر الصباح وبقية أمراء دول الخليج ، والقسم الثانى يتزعمه صدام والملك حسين ، ويضم ـ بدرجات متفاوتة ـ بقية الدول العربية .

((٤))

هيكل وضباب القمة العربية الطارئة

هيكل وضباب
القمة العربية الطارئة

لم يأت الأستاذ هيكل بجديد عندما أخذ يصور حرب الخليج فى كتابه : «حرب الخليج ، أوهام القوة والنصر» ، على أنها حرب بين الولايات المتحدة الأمريكية والأمة العربية ، وليست حربا بين صدام حسين والأمة العربية !

فقد كانت هذه الفكرة هى محور المعركة الدعائية التى أدارها البعض فى مصر بعد الغزو لتمكين النظام العراقى من ابتلاع الكويت، وكانت هذه الفكرة هى التى خدعت الجماهير العربية فى دول المغرب العربى والسودان ودفعتها إلى التظاهر ضد الولايات المتحدة الأمريكية ، بدلا من التظاهر ضد صدام حسين !

نعم ليس فى هذه الفكرة جديد ، وإنما الجديد تأصيلها، ومحاولة التدليل عليها فى كتاب يبلغ عدد صفحاته ٦٣٥

* أكتوبر ـ ٣ مايو ١٩٩٢

صفحة ! ومن هنا تأتى أهمية التصدى لما ورد فى هذا الكتاب ، حتى لاتنقلب الأكذوبة إلى حقيقة ، وينقلب الوهم إلى واقع - ليس فقط دفاعا عن السياسة المصرية التى وقفت أعظم المواقف فى تاريخها ، وأنقذت الوطن من كارثة أدبية ومادية ، وسقطة خلقية كانت جديرة بأن تلوث سمعة مصر إلى الأبد ، وإنما لأن هذه السياسة كانت تحظى بأغلبية شعبية قل أن تتوافر فى أى زمن من الأزمنة أو عصر من العصور .

وبالتالى فلا نستطيع أن نقبل أن يأتى إلينا من يوهمنا بأننا كنا معصوبى الأعين نعيش فى الخديعة والضلال ، وأننا كنا أدوات تحركها الولايات المتحدة كما تشاء ، وأن صدام حسين والملك حسين كانا على طريق الحق والعدل .

وهذا هو ما يفعله هيكل فى كتابه، فهو يدمغنا بهذه الخديعة والضلال ، خصوصا فى الفصل الذى خصصه لاجتماع القمة الطارئة يوم ١٠ أغسطس ١٩٩٠ ، وقد اختار له بعناية عنوانا ذا مغزى ، وهو : «ضباب حول القمة» !

ونحن نعرف جميعا أن الرئيس مبارك كان قد دعا فى مؤتمر صحفى عالمى يوم ٨ أغسطس ١٩٩٠ إلى عقد قمة عربية طارئة فى القاهرة تأخذ فى يدها زمام الموقف ، حتى

لايقع هذا الزمام فى يد الولايات المتحدة الأمريكية ، محذرا بصراحة من انه إذا لم يسارع العرب بتقديم حل عربى يؤدى إلى سحب العراق قواته من الكويت ، فسوف يكون هناك عدوان قادم ، وقد يكون مفزعا .

على أن السيد هيكل قلب الغرض من هذه القمة رأسا على عقب ، وأخذ يصورها فى كتابه عن حرب الخليج فى صورة قمة دعا إليها مبارك لتنفيذ مخطط رسمته الولايات المتحدة !

فيقول إنه من قبل عقد القمة ، وصلت إلى قصر المؤتمرات أصداء تصريح أدلى به الرئيس بوش يوم ٩ اغسطس أيضا ، أثناء مؤتمر صحفى عقده فى الصباح الباكر فى واشنطن ، وقال فيه عبارته التى ذاعت واشتهرت فيما بعد ، وهى قوله : «إننى رسمت خطا على الرمال» ، وقد سبب هذا التصريح حيرة كبيرة ، فهل هو خريطة جديدة للمنطقة أو ماذا ؟

ويستطرد فيقول إنه عُرف فى أروقة المؤتمر أن وزير الخارجية الأمريكى ظهر فجأة فى أنقرة ، وأنه مجتمع بالرئيس التركى تورجوت أوزال ، يبحث معه فى وقف خط البترول العراقى واحتمالات تعاون تركيا فى أية ترتيبات عسكرية تجرى فى المنطقة .

ومعنى ذلك ـ كما يقول ـ أن الولايات المتحدة تحكم الطوق حول العراق ! ولم يخف بيكر ـ بالفعل ـ أن هذا هو هدف رحلته إلى تركيا ، وأن هذا البلد بموقعه الاستراتيجى حلقة هامة فى حصار العراق . وقد أوضح بيكر فى تصريح له يوم ٩ أغسطس أيضا أن الولايات المتحدة تبحث مع تركيا وسيلة لتعزيز فاعلية وكفاءة القوات الأمريكية على أراضيها ، وكأن خط بوش على الرمال فى الصحراء ، يستكمل مسيرته على الجبال فى الأناضول !

ويعلق هيكل على ذلك قائلا بالحرف الواحد : «ولقد أعطت هذه التصريحات انطباعا لبعض الوفود(!) بأن القمة العربية مجتمعة فى اطار هذا الخط الذى رسمه بوش على الرمال ، ومده بيكر إلى الجبال ، وهو خط لايعرف عنه أحد ما فيه الكفاية» !

اذن فدعوة مبارك للقمة العربية الطارئة ـ فى رأيه ـ لم تكن للخروج بالأمة العربية من القبضة الأمريكية ، وانما للدخول فى القبضة الأمريكية !

وطبعا لايحدثنا هيكل عن هذه الوفود العربية التى نظرت إلى القمة فى إطار الخط الذى رسمه بوش على الرمال ومده بيكر على الجبال، ولا يحدد لنا جنسيتها ، ولا يعنيه ذلك !

كما أنه أيضا لايعنى نفسه بمناقشة هذا الرأى ، بل يأخذه على علاته ، ويتبناه ، ويزرعه فى كتابه ، فهو رأيه ولايستطيع التنصل منه ، وهو استنتاجه ولا يستطيع انكاره.

ولا يكتفى هيكل بذلك ، بل يعرض لنا مؤتمر القمة ويصوره فى هذه الصورة بالذات ! وهى أنه مؤتمر عربى يجتمع لتنفيذ مخطط أمريكى !

وللتدليل على ذلك يروى لنا فى أسلوب روائى شائق قصة القرار الذى اتخذه المؤتمر فى النهاية ، ويختار له أحد مصطلحات الروايات البوليسية ، وهو «سر مشروع القرار»!.

فيقول إن أجواء المؤتمرات العربية على مستوى القمة أو دونها غير قادرة على الاحتفاظ بسر ، وهكذا لم يلبث سر مشروع القرار الذى قدمه وزير الخارجية السعودى إلى الأمين العام أن ذا ع فى أروقة المؤتمر ، وتناقلته الروايات . ثم لم تمض غير برهة وجيزة حتى كان أحد أعضاء الوفود (دائما بدون أسماء!) قد تمكن من تصوير الورقة ، ثم دارت آلات تصوير المستندات أسرع ، وإذا صور الورقة موجودة بالفعل فى أيدى كثيرين !

ويمضى هيكل فيقول إنه كان عند ذلك أن «تكهرب جو المؤتمر ، وارتفعت درجة حرارته ! وأقبل السيد طارق عزيز

على الأمين العام للجامعة العربية يسأله عن مصدر هذا المشروع الذى وجده فى أيدى أعضاء الوفود ؟ وقال الأمين العام : إنه لايعرف ، ولكنه يظن أنه وُضِع كمشروع بالتشاور بين مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج . وسأله طارق عزيز بغضب : « وهل يمكن أن يعرض على القمة مشروع لاتشارك فى وضعه إلا مجموعة قليلة من الدول ؟ وكان رأى الأمين العام أنه ليس مسئولا عن ترتيب المؤتمر . ورد طارق عزيز بأن العراق يطلب منه رسميا إجراء تحقيق فى وقائع ما حدث ! وكان تعليق الأمين العام إن الأمر ليس فى يده ، ومن الأفضل أن تتفاهم الوفود مع بعضها مباشرة ، دون داع لتوريط الأمانة فيما لا تملك سلطة عليه» .

ثم يصل هيكل بعد ذلك إلى هدفه بدون مواربة ، فيقول : إن أحد كبار مستشارى الملك حسين (فى الطبعة الإنجليزية أنه الملك حسين!) عندما اطلع على المشروع قال : إنه يشعر بأنه ترجمة إلى اللغة العربية ، وليس كتابة أصلية باللغة العربية !

ومعنى هذا التلميح أن العرب لم يضعوه ، وإنما وضعته لهم الولايات المتحدة ! وفى ذلك تاكيد لمقولة أن المؤتمر انما هو مؤتمر عربى بتخطيط أمريكى رسمه بوش بخط على

الرمال ومده بيكر على الجبال، وأنه حتى مشروع قرارات المؤتمر وضعته الولايات المتحدة باللغة الانجليزية وترجم إلى العربية!

وبعد ذلك قد يتصور القارئ أن مشروع القرار الذى كشف هيكل سره كان يدعو أمريكا إلى احتلال البلاد العربية، وتنفيذ المخطط الأمريكى الاستعمارى، ثم يكتشف أن مشروع القرار كان فقط مشروعا يدعو العراق إلى الانسحاب من الكويت !

فقد تضمن المشروع تأكيد قرار مجلس جامعة الدول العربية الصادر فى ١٩٩٠/٨/٣ ، وبيان منظمة المؤتمر الإسلامى الصادر فى ١٩٩٠/٨/٤ ، وتأكيد الالتزام بقرارات مجلس الأمن رقم ٦٦٠ ورقم ٦٦١ ورقم ٦٦٢ بوصفها تعبيرا عن الشرعية .

كما تضمن المشروع إدانة العدوان العراقى على دولة الكويت الشقيقة ، وعدم الاعتراف بقرار العراق ضم الكويت إليه ، ولا بأى نتائج أخرى مترتبة على غزو القوات العراقية للأراضى الكويتية . ومطالبة العراق بسحب قواته منها فورا، وإعادتها إلى مواقعها السابقة على تاريخ ١٩٩٠/٨/١.

كذلك أكد المشروع على سيادة الكويت واستقلاله وسلامته الاقليمية باعتباره دولة عضوا فى جامعة الدول

العربية وفى الأمم المتحدة ، والتمسك بعودة نظام الحكم الشرعى الذى كان قائما فى الكويت قبل الغزو العراقى ، وتأييده فى كل ما يتخذه من اجراءات لتحرير أرضه وتحقيق سيادته .

وتضمن المشروع شجب التهديدات العراقية ، واستنكار حشد العراق لقواته المسلحة على حدود المملكة العربية السعودية ، وتأكيد التضامن العربى الكامل معها ومع دول الخليج العربية الأخرى .

كذلك أيد المشروع الاجراءات التى تتخذها المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى ، إعمالا لحق الدفاع الشرعى وفقا لأحكام المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول جامعة الدول العربية والمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة ، ولقرار مجلس الأمن رقم ٦٦١ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٦ ، على أن يتم وقف هذه الاجراءات فور الانسحاب الكامل للقوات العراقية من الكويت ، وعودة السلطة الشرعية للكويت . وقد أعلن مشروع قرارات المؤتمر الاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ، ودول الخليج العربية الأخرى ، لنقل قوات عربية لمساندة قواتها المسلحة، دفاعا عن أراضيها وسلامتها الاقليمية ضد أى عدوان خارجى .

وكلف المشروع الأمين العام لجامعة الدول العربية بمتابعة تنفيذ هذا القرار ، ورفع تقرير عنه خلال خمسة عشر يوما إلى مجلس الجامعة لاتخاذ ما يراه فى هذا الشأن.

هذا هو ـ إذن ـ نص مشروع القرار الذى قدم له هيكل بمقدمة روائية ، وحاكه فى شكل بوليسى ، وأحاطه بالغموض والمغامرات ! (وهو منقول من كتابه بالنص (ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨).

وللقارىء أن يعجب ، ويأسف فى الوقت نفسه : ماذا فى هذا القرار يدعو إلى إحاطته بكل هذه الشبهات والشكوك والتلويث ، والزعم بأنه مترجم من لغة أجنبية إلى العربية ؟

والأشد مدعاة للعجب أن هذا القرار هو نفسه الذى أصدره المؤتمر فيما عدا عبارة واحدة ذكرها هيكل ، تتصل بطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج قوات عربية لمساندة قواتها المسلحة . ففى أصل المشروع : «لتنضم إلى القوات المسلحة الموجودة فيها » .

وربما يجيب عن هذه الأسئلة ، تلك الثورة التى أحدثها طارق عزيز عند قراءته ورقة المشروع ، وطلبه من الأمين العام للجامعة العربية «رسميا» إجراء تحقيق فى وقائع ما حدث ! فالمشروع قد أدان العراق إدانة بالغة ، وتبنى قرارات مجلس

الأمن ، واستجاب لطلب ارسال قوات عربية إلى السعودية ودول الخليج ، وطالب العراق بسحب قواته من الكويت ، وأكد سيادة الكويت ونظام حكمه الشرعي .

فهل تبرر هذه الأسباب اندفاع الأستاذ هيكل إلى تصوير المؤتمر ومشروع قراره ، في الشكل الذي صوره به ؟ وهو أنه مؤتمر دعت إليه مصر لتنفيذ مخطط أمريكي في اطار الخط الذي رسمه الرئيس بوش على الرمال ومده بيكر على الجبال، ولكي يصدر قرارا كتبت الولايات المتحدة مشروعه باللغة الانجليزية وترجم إلى العربية !

ويضيف هيكل إلى ذلك ، في مقام التدليل على أمريكية المشروع ، أنه نص في الأصل على عودة القوات العراقية إلى مواقعها السابقة على تاريخ ١٩٩٠/٨/١ ! أى أن المشروع استخدم التوقيت الأمريكي ، لأن الغزو وقع في تاريخ ١٩٩٠/٨/١ ، طبقا لتوقيت الولايات المتحدة !

على أنه كان من الذكاء بحيث رد على هذا القول بأن القوات العراقية تحركت بالفعل في الساعة الحادية عشرة مساء من يوم ١٩٩٠/٨/١، ومعنى ذلك أن التعبير صحيح ، ولكن ماذا يجدى ذلك بعد أن وضع بذرة الشك وتركها تنمو داخل كل قارىء !

ثم يمضي السيد هيكل قدما في مهمته في تشويه صورة المؤتمر ، فيقول إن العقيد القذافي كان من أكثر الحاضرين هياجا ، وقد أمسك بيده بنسخة من المشروع ـ وكانت الأمانة قد وزعته رسميا ـ ووقف يقول في جمع من المشاهدين ما مؤداه : «إذن فهذا هو ما يريدون منا أن نختم بأصابعنا عليه» ؟ ثم توقف أمام الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، رئيس دولة الإمارات العربية ، وقال له وهو يلوح بالورقة أمامه : «لماذا تلجئون للأمريكان لحمايتكم ؟ لماذا لاتختصرون الطريق وتطلبون ذلك من اسرائيل مباشرة» ؟

وإذا تذكرنا أن المشروع لايتضمن طلب حماية الأمريكان، أو نقل قوات أمريكية ، وإنما ينص على نقل قوات عربية ، فإن حملة التلويث التي شنها هيكل على المؤتمر تكون قد بلغت منطقة حرجة .

على أنه لايلبث أن يمضي بحملة التلويث إلى قمتها عندما يتم التصويت على القرار ، إذ يورد أن ياسر عرفات صاح قائلا :إن هذا التصويت غير قانوني ! وخاطب الدكتور مفيد شهاب قائلا : إنكم جميعا عملاء ! وقد رد عليه الدكتور مفيد شهاب بقوله : إذا كنت تبحث عن العملاء فابحث عنهم عندكم وليس عندنا» .

على هذا النحو عرض الأستاذ هيكل قصة قمة قصر المؤتمرات يوم ١٠ أغسطس ١٩٩٠! ، فقد ساق كافة الأدلة التى تثبت أنها كانت خطة أمريكية ، ولكن على لسان غيره! : «بعض الوفود رأت» ! «أحد أعضاء الوفود قال» ! «تكهرب جو المؤتمر ! وارتفعت حرارته» ! «هناك وجهة نظر تقول» !

وبطبيعة الحال فإن هذا الأسلوب لايخدع أحدا ! ذلك أن مجرد إبراز وجهة النظر التى ترى فى المؤتمر خطة أمريكية ، بدون مواجهتها بوجهة النظر التى تعتبر المؤتمر محاولة لمنع الأمريكان من التدخل وتولى مقاليد الأمور ـ هو فى حد ذاته وجهة نظر ! فالكاتب يسوق الحوادث من منظوره ونافذته التى يرى منها الأشياء . ولم ير هيكل من نافذته غير ما قدمه بالفعل .

والطريف فى هذا الصدد أنه عندما حاول أن يظهر بمظهر الانصاف ، إذا به يدلل على العكس ! فقد كتب يقول : «لقد خطر ببال البعض فى العالم العربى أن المؤتمر كان جزءا من خطة لفتح الطريق أمام عمل تقوم به الولايات المتحدة ، ومثل هذا القول يحمل اسرافا كبيرا فى سوء الظن» ـ ولكنه عندما أخذ يدلل على أن هذا القول يحمل اسرافا فى سوء الظن ، إذا به يسوق الأدلة التى تؤكد هذا الظن! !

فقد كان من هذه الأدلة أن الولايات المتحدة الأمريكية بدت في ذلك الوقت وكأنها المدبر الوحيد للأزمة ، والممسك بزمامها ، والموزع للأدوار فيها بطريقة لم تظهر من قبل في أي أزمة عالمية سابقة ! وأنه من اللحظة الأولى للغزو العراقي للكويت كان جيمس بيكر قد استطاع أن يأخذ الاتحاد السوفيتي بالكامل إلى جانبه ! وأنه منذ اليوم الأول كانت الولايات المتحدة هي التي حركت مجلس الأمن إلى القرارين ٦٦٠ و ٦٦١ ! وفي الأيام الأولى للأزمة كانت قد أخذت أوروبا الغربية واليابان في صفها ! وقبل أن يمر أسبوع كانت قد حصلت على أغلبية في العالم العربي تغطي موقفها! وكانت طول الوقت تؤيد تحركاتها بمقولة نظام عالمي جديد يفرض أحكامه على الجميع ، وقد تصرفت وكأنها المسئول عن هذا النظام العالمي الجديد !

وبذلك انضم هيكل إلى الفريق الذي يرى في المؤتمر خطة أمريكية ، إذ لم يقدم دليلا واحدا يبرهن به على العكس!

وهذا غريب ! لأن جميع الأدلة التي ساقها كانت أدلة واهية ومصطنعة ، فقد نسي تماما أن الاحتلال العراقي للكويت كان من شأنه أن يعبىء العالم كله ضده ، دون حاجة إلى توجيه من الولايات المتحدة ، ودون خطة أمريكية !

فلم تكن الولايات المتحدة فى حاجة إلى جهد لاقناع الاتحاد السوفيتى ، أو أوروبا الغربية ، أو اليابان ، أو أغلبية العالم العربى ، بأن هذا الغزو انتهاك صارخ لكل الأعراف الدولية وميثاق الأمم المتحدة ! لأنه كان بالفعل انتهاكا صارخا للميثاق والأعراف الدولية .

وفى الحقيقة أنه لم يكن فى كل تحركات الولايات المتحدة فى ذلك الوقت ما يدفع أحدا إلى اساءة الظن بها ، اللهم إلا صدام حسين ، والملك حسين ، والأستاذ هيكل شخصيا !

(٥)

الشماعة المصرية لحرب الخليج

الشماعة المصرية
لحــرب الخليــج *

ريما كانت أبرز الفروق بين المؤرخ والكاتب السياسى . أن المؤرخ غير متورط فى الأحداث ، أما الكاتب السياسى فهو متورط ، وأن المؤرخ لايستطيع تغيير الماضى ، لأن ما مضى قد مضى ، أما الكاتب السياسى فيستطيع تغيير الحاضر ، لأن الحاضر لم ينته بعد . كذلك فإن المؤرخ مقيد بمنهج علمى محدد لايستطيع تخطيه وإلا فقد علميته ، أما الكاتب السياسى فهو حر طليق فى خدمة الموقف السياسى الذى يدافع عنه.

ومن هنا فإننا نظلم كتاب الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج كثيرا إذا تعاملنا معه على أنه كتاب تاريخ وليس كتاب سياسة ! ولكن من سوء الحظ أن القارىء يخلط عادة بين كتب التاريخ وكتب السياسة ، وهذا ما أعلمه

---

* أكتوبر ـ ١٠ مايو ١٩٩٢

جيدا من رسائل القراء التى تصل إلى وتزعم وجود روايات مختلفة متناقضة للحدث التاريخى ، لا لسبب إلا لظهور مذكرات سياسية وكتب لكتاب صحفيين عالجت هذه الأحداث، وقدمت فيها روايات متناقضة .

وينسى هؤلاء القراء أن الكتابة التاريخية شيء ، والكتابة السياسية شيء آخر ، فمن حق السياسى أن يقدم رؤيته للحدث التاريخى ، ولكنها ليست تاريخا ، وليس معنى ذلك أن المؤرخ ليست له رؤية ، ولكن رؤيته لاتكون على حساب الحقائق التاريخية ، ولا تكون تبريرا بل تفسيرا .

والفرق بين التبرير والتفسير هو أن التبرير يسوق الأحداث فى شكل يشد القارىء إلى جانب الطرف الذى يجرى لصالحه التبرير ، أما التفسير فهو مجرد إضاءة جوانب الحدث التاريخى بالحقائق المستندة إلى الوثائق .

وقد ساق الأستاذ محمد حسنين هيكل كتابه عن حرب الخليج فى شكل تبريرى لصالح الطرف الذى وقع منه العدوان ، وهو الطرف العراقى ، وفى شكل يشكك فى الطرف الذى وقف ضد العدوان ، وهو ـ من جانب ـ الطرف العربى المهدد وجوده أو مكانته ، ومن جانب ثان ، الطرف الأمريكى والغربى المهدد مصالحه ، ومن جانب ثالث ، الطرف العالمى الذى وقف دفاعا عن الشرعية الدولية

والقانون الدولى والمواثيق الدولية وعن كل ما حققته البشرية من تقدم حتى الثلث الأخير من القرن العشرين ، قبل أن يعيدها الغزو العراقى للكويت إلى قيم ومفاهيم وأساليب القرن السابع عشر !

وقد رأينا كيف صور القضية فى صورة صراع بين الولايات المتحدة والأمة العربية ، تسعى فيه الولايات المتحدة إلى إحكام سيطرتها على المنطقة العربية عن طريق حرب عادلة تنتصر فيها ، وصور الطرف العربى المهدد من جانب النظام العراقى فى وجوده وكيانه ومصالحه ، فى صورة الطرف الهزيل العميل الذى يتحرك على مسرح العرائس بخيوط تحركها الولايات المتحدة من أعلى !

وكانت قمة هذا التصوير تلك اللوحة البليغة ـ والمزيفة أيضا ـ التى قدمها للقمة العربية الطارئة التى دعا إليها الرئيس مبارك يوم ٨ أغسطس ١٩٩٠، بمبادرة شخصية ومصرية لانتزاع الموقف من يد الولايات المتحدة ووضعه فى يد الأمة العربية ، حيث صور هذه المبادرة فى صورة مؤامرة أمريكية أعدت كل شىء ، حتى بيان المؤتمر الختامى الذى كُتب ـ كما أورد ـ باللغة الانجليزية وترجم إلى العربية !

وكان من الطبيعى أن ينتقل هيكل إلى الطرف العراقى ليرسمه فى صورة الطرف الذى يجاهد لمنع وقوع الحرب ثم

الكارثة ، ولكن دون جدوى لأن مواقف الأطراف الأمريكية والعربية العميلة كانت تجره جرا إلى الحرب !

فتناول أولا مسئولية مصر عن تصلب موقف الرئيس العراقى ، الذى كان ـ كما يقول ـ قد لان تحت وساطة الملك حسين ، وأبدى استعداده للانسحاب من الكويت !

فأورد رواية الرئيس محمد حسنى مبارك عن وساطة الملك حسين ، التى ذكر فيها أنه أثناء اجتماعه بالملك حسين فى قصر رأس التين يوم الخميس ٢ أغسطس ، اقترح عقد قمة عربية مصغرة فى جدة لعمل سيناريو يُخرج العراق من المأزق الذى وقع فيه مع حفظ ماء وجهه ، على أساس نقطتين يصرح بهما الرئيس صدام للرئيس مبارك دون اعلان ، وهما انسحاب العراق من الكويت ، وعودة الشرعية إليها . وسافر الملك حسين إلى بغداد ليعرض هذا الاقتراح على صدام حسين بنفسه .

ثم أورد هيكل رواية الملك حسين التى يقول فيها ان الرئيس مبارك أشار بالفعل إلى ضرورة انسحاب العراق من الكويت وعودة الشرعية ، ولكنه «لم يضع شروطا مسبقة لعقد الاجتماع» ! وإنه ـ لهذا السبب ـ لم يكن ذاهبا إلى بغداد كمجرد رسول، لأنه «إذا كانت المسألة مسألة حمل رسائل ، فغيرى يمكن أن يحملها» .

وقد وقف الأستاذ هيكل موقف الحياد بين الروايتين ! ليس بسبب افتقاره إلى الأدوات التي يدير بها هذه المناقشة ، وإنما لأن موقف الحياد هنا يناسب الخط الذى يقوده !

وهنا يفترق موقف كاتب سياسى مثل الأستاذ هيكل عن موقف المؤرخ ، الذى يطالبه منهج البحث العلمى التاريخى باجراء هذه المناقشة ، خصوصا أن أدواتها متوافرة ، وتتمثل فى نقطتين :

النقطة الأولى ، الحكمة من الاقتراح الذى اقترحه مبارك،

والنقطة الثانية الموقف الذى انكشف للملك حسين مع تطور الأحداث .

وبالنسبة للنقطة الأولى ، فما هو الأقرب للمنطق بالنسبة لاقتراح قدمه مبارك يستهدف نزع فتيل انفجار عاجل أحدثه الغزو العراقى للكويت ، وأثار غضبا عالميا وتحركا عسكريا أمريكيا ؟

هل يكون هذا الاقتراح مجرد عقد قمة مصغرة فى جدة فى غضون أيام قلائل ، يتم فيها مناقشة الغزو والانسحاب ، وقد تسفر هذه المناقشة عن نتيجة أو لا تسفر ، بينما العالم كله يتحرك وقرارات مجلس الأمن تتوالى ، واحتمال إقدام النظام العراقى على غزو عسكرى آخر وارد؟ ـ أو أن نزع

الفتيل يكون بإعلان النظام العراقى فورا انسحابه من الكويت وعودة الشرعية إليها ؟

هذا هو السؤال ! وفى ضوئه يتبين أن الرئيس محمد حسنى مبارك لم يكن ليقترح عقد قمة مصغرة بدون إعلان مسبق من جانب صدام حسين بالانسحاب من الكويت وعودة الشرعية إليها ، اللهم إلا إذا كان يقصد بهذه القمة ما يقصده النظام العراقى والملك حسين بالفعل ! وهو تمييع القضية ، والدخول فى مناقشات بيزنطية لاقيمة لها ، بينما العالم يتخذ قراراته ، ويقوم بتحركاته العسكرية !

أما الوسيلة الثانية للتحقق من صحة احدى الروايتين ، فهى ـ كما ذكرنا ـ الموقف الذى انتهجه الملك حسين إزاء هذا الغزو فيما تلا ذلك من أحداث ، والذى لا يدع مجالا للشك فى تورطه مع الرئيس العراقى ـ وهو حقيقة أصبحت ثابتة الآن وليست فى حاجة إلى مزيد من التدليل .

ان هذا الموقف الذى وقفه الملك حسين يوضح إلى أبعد مدى أى الروايتين كانت صحيحة ، وأيهما كانت مزيفة ؟

وفى هذا الضوء تنكشف لنا شماعة الادانة التى علق عليها الملك حسين مسئولية تعنت الرئيس صدام حسين، والتى ألقاها على الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك .

وتتمثل شجاعة الادانة هذه فيما ذكره الملك حسين من أنه اتفق مع الرئيس العراقى صدام حسين على الانسحاب من الكويت ، بشرط الا يتخذ وزراء الخارجية العرب المجتمعون فى القاهرة قرارا بإدانة العراق ، ولكنه لم يكد يغادر العراق ويصل إلى مطار عمان حتى تلقى مفاجأة يصفها بأنها «صدمة من أقسى الصدمات فى حياته» ! فقد عرف أن مصر أصدرت بيانا منفردا بإدانة العراق فى الساعة الرابعة والنصف ، أى أنها لم تنتظر حتى اجتماع وزراء الخارجية العرب فى الساعة السادسة ، وتصرفت بمفردها، كما انها أيضا لم تنتظر أن يبلغها بنتائج مهمته !

هكذا ـ بكل بساطة ـ أصبحت مصر ، بفضل شجاعة الادانة هذه ، مسئولة عن تدهور الموقف وتعنت صدام ! ومسئولة أيضا عن كل ما ترتب على ذلك من الغارات الجوية لقوات التحالف التى أخرجت العراق من القرن العشرين ، وحشد قوات ٣٠ دولة لتحرير الكويت !

فهل هذا معقول ؟ وهل بلغت الاستهانة بالعقل العربى إلى هذا الحد ؟ هل يمكن أن يؤدى قرار الادانة الذى أصدرته مصر لعمل أدانه العالم بالفعل منذ الوهلة الأولى ـ وهو غزو دولة عربية شقيقة لدولة عربية شقيقة أخرى ـ إلى غضب

الرئيس العراقى إلى حد الانتحار والدخول فى حرب مع المجتمع الدولى كله ؟

ألسنا أمام تناقض من نوع فريد ؟ لأن السؤال الذى يطرح نفسه : ما هو الموقف الذى يدفع أية دولة إلى التريث ومراجعة قراراتها الخاطئة ؟ هل يكون هذا الموقف أن يلقى عملها السكوت والإغضاء ، أو يلقى الادانة ؟

إننا إذا افترضنا أن الرئيس العراقى صدام حسين قد قام بالغزو وفى حساباته أن عمله لن يلقى غضب مصر ، بكل تأثير ذلك على الموافقة العربية والعالمية ، فما الذى يحمله على العدول عن الاستمرار فى خطئه ؟ هل يكون سكوت مصر عن الغزو ، أو إدانتها له على الملأ ؟

أليست الادانة إحدى الوسائل المشروعة للتعبير عن الاستياء والاعتراض على الأعمال المخالفة للقانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة ؟ تُرى إذا أحجمت الدول عن الادانة ، التى هى أبسط وسيلة للتعبير عن الاعتراض على الأعمال الخاطئة ، فهل تعدل أية دولة ارتكبت خطأ عن هذا الخطأ ؟

ولكن هكذا يراد تعليق مسئولية حرب الخليج على شماعة الادانة المصرية الشريرة التى أجبرت صدام حسين الطيب البار بأمته على التمسك باحتلاله للكويت ، وليكن ما يكون !

ومن حسن الحظ أنه ما زالت لنا فى هذا العالم العربى المجنون بقية من عقل تدرك الزيف من الصحيح ، والخبيث من الطيب ، وها نحن أولاء نسقط شماعة الادانة المصرية إلى غير رجعة !

فصدام حسين لم يغز الكويت ليخرج منها ، وإنما ليحقق غرضا قوميا مزيفا موجودا فى الضمير القومى العراقى منذ أيام الملك فيصل ، بنى على أساس تاريخى فاسد ، وهو أن الكويت كانت فى يوم من الأيام أرضا عراقية، مع أنها لم تكن كذلك طوال تاريخها ! وفى الوقت نفسه يحقق صدام بهذا الغزو مجدا شخصيا خالدا عبر التاريخ العراقى، ويحقق السيطرة على ثلث إنتاج الخليج وثلثى احتياطى العالم من البترول ، فهل مثل هذه الأهداف الكبيرة يغير منها امتناع مصر عن الادانة ؟ اللهم إلا إذا أريد منا إلغاء عقولنا؟

وإذا كان من حق الملك حسين أن يطالبنا بإلغاء عقولنا ، أفلا يكون من واجب كاتب مصرى له شهرة عربية ودولية مدوية ، مثل الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل ، أن يكشف زيف هذا الكلام ، لا أن يقف موقف الحياد !

فلا حياد بين الحق والباطل ، خصوصا أن الأستاذ هيكل كان من أعمدة النظام الناصرى الذى رفع شعارات

الحياد الايجابى بالمعنى الذى أوردته تماما ، فلا يستطيع أن يقف موقف الحياد بين الفلسطينيين والاسرائيليين ، أو بين الجزائريين والفرنسيين ، أو بين الغزاة المعتدين والضحايا الذين وقع عليهم الاعتداء والغزو .

ولكن الأستاذ هيكل اتخذ فى كتابه عن حرب الخليج موقف المعتدين ضد المعتدى عليهم ! فقد تبنى موقف النظام العراقى، وأدان مواقف كل الأطراف العربية التى عارضت وأدانت الغزو العراقى للكويت : أدان الملك فهد ، والشيخ جابر الصباح ، ومبارك ، وصورهم فى صورة المنقادين للولايات المتحدة ، العاجزين عن اتخاذ موقف خاص ينبع عن المصلحة الخاصة ، كما رأينا فى عرضه للقمة العربية الطارئة يوم ١٠ أغسطس ١٩٩٠ !

بل إنه فى محاولته الظهور فى مظهر الحياد بين الفريقين العربيين لم يملك إلا الانحياز للفريق الذى كان يقوده العراق! ففى حديثه عن الانقسام الذى وقع فى العالم العربى يقول :

لم يكن هناك خلاف بين الجميع على أن الغزو العراقى للكويت غير مقبول ، ولا كان هناك خلاف حول ضرورة الانسحاب العراقى من الكويت ، ولكن الخلاف وقع حول اللغة : فريق يرى أن تكون الإدانة كاملة ، فالمسألة مسألة مبدأ ، وفريق آخر يرى أن التحوط ضرورى ، لأن التحركات

العسكرية الأمريكية التى بدأت فعلا ، لاتترك لأحد مجالا للشك فى نواياها ، ولا يحق للعرب أن يعطوا للولايات المتحدة حجة فى التدخل !

فالأستاذ هيكل فى هذا الجزء يصور موقف ادانة العراق فى صورة الموقف الذى يعطى للولايات المتحدة حجة فى التدخل ، ويتبنى بذلك الموقف العراقى تماما ! ، وهو الموقف المتمسك باحتلال الكويت !

مع أن الصورة كانت مختلفة تماما ، فموقف الامتناع عن الادانة هو الذى يعطى الولايات المتحدة حجة التدخل منفردة ، ويستبعد الطرف العربى تماما من أى عمل سياسى أو عسكرى ، بل يصوره فى صورة الطرف الهزيل العاجز عن اتخاذ أى عمل يدافع به عن كيانه ومصالحه ، وفى الوقت نفسه يعطى الطرف العراقى المبرر الكافى لاستمرار احتلاله للكويت ، بحجة أن هذا الاحتلال لم يثر ادانة الدول العربية !

بل إن الأستاذ هيكل فى هذا التحليل ينسى تماما أن التدخل الأمريكى كان مطلبا عربيا أكثر منه مطلبا أمريكيا ! وربما كان الرئيس حافظ الأسد هو خير من عبر عن هذا المفهوم بقوله إن التدخل الأمريكى أنقذ العرب من حرب أهلية!

وهذا صحيح مائة فى المائة ، لأن اخراج القوات العراقية من الكويت ، كان مستحيلا بدون أن تخوض ضدها كل الجيوش العربية مجتمعة حربا ضروسا تستمر عدة سنوات!

وهذا ثابت الآن بعد ما تكشف من أن النظام العراقى كان يملك قوات عسكرية مكنته من محاربة الغالبية العظمى من قوات الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة . وقد رأينا كيف ساقت هذه الدول أساطيلها البحرية والجوية وأحدث ما فى ترساناتها العسكرية من عتاد متقدم لكسب الحرب ضد العراق فى ستة أسابيع !

ترى كم كانت تستغرق حرب تخوضها القوات العربية المعارضة لغزو الكويت ضد الجيش العراقى لتحرير الكويت؟ ألا تفقد فى هذه الحرب كل ما أعدته من معدات وأسلحة متقدمة ، وتكون الأمة العربية قد انتحرت انتحارا جماعيا ، أو تنتحر انتحارا أدبيا بسكوتها على احتلال العراق للكويت لتتفادى الدخول فى حرب أهلية ؟

قضية الخوف من أن تعطى الادانة العربية الولايات المتحدة فرصة التدخل العسكرى ، هى قضية وهمية ساقها صدام حسين بالاشتراك مع الملك حسين ، لتصوير القضية فى صورة صراع بين الولايات المتحدة والأمة العربية ، مع

أنها كانت ـ فى جوهرها ـ قضية صراع بين النظام العراقى والأمة العربية ! بعد أن كشف هذا النظام الدموى عن أهدافه الحقيقية ، التى لم تكن أبدا أهدافا موجهة لإسرائيل وأعداء الأمة العربية ، بل كانت أهداف توسعية موجهة للأمة العربية ذاتها !

(٦)

أوهـــام هيكل وتضليل حسين

والمواثيق الدولية ، وأصبح يشكل مصدر خطر على هذه المنطقة .. خطر على دول الخليج والسعودية لأنه يهدد وجودها ، وخطر على مصر لأنه يهدد بتحويلها إلى ولاية عباسية عن طريق اقامة امبراطورية عراقية على جانبها الشرقى المتاخم للبحر الأحمر ، وخطر على سوريا بسبب الصراع القديم بين جناحى البعث فى البلدين .

وفى مثل هذا النوع من الصراع يكون من حق كل طرف أن يستعين بالقوة الدولية التى تعينه على الطرف الآخر . وهذا ما سبق أن فعلته مصر ابان الصراع العربى الاسرائيلى ، فقد سافر عبد الناصر إلى موسكو ليطلب منها ارسال قوات سوفيتية إلى مصر ، واقامة نظام دفاعى جوى ضد طائرات الفانتوم الاسرائيلية . وقامت الطائرات السوفيتية ـ بالفعل ـ بحماية سماء مصر !

وقد حاول صدام حسين الاستعانة بالاتحاد السوفيتى ، ولكنه كان فى حالة احتضار ، فوق أن الاتحاد السوفييتى على مدى تاريخه كان يؤيد فقط الحروب العادلة ـ أى حروب التحرر الوطنى ـ ولا يؤيد حروب التوسع والعدوان ، ومن هنا كان الموقف الذى اتخذه من الغزو العراقى للكويت ، والذى أدان فيه هذا الغزو ، متفقا مائة فى المائة مع مبادئه

(٦)

أوهام هيكل وتضليل حسين

والمواثيق الدولية ، وأصبح يشكل مصدر خطر على هذه المنطقة .. خطر على دول الخليج والسعودية لأنه يهدد وجودها ، وخطر على مصر لأنه يهدد بتحويلها إلى ولاية عباسية عن طريق اقامة امبراطورية عراقية على جانبها الشرقى المتاخم للبحر الأحمر ، وخطر على سوريا بسبب الصراع القديم بين جناحى البعث فى البلدين .

وفى مثل هذا النوع من الصراع يكون من حق كل طرف أن يستعين بالقوة الدولية التى تعينه على الطرف الآخر . وهذا ما سبق أن فعلته مصر ابان الصراع العربى الاسرائيلى ، فقد سافر عبد الناصر إلى موسكو ليطلب منها ارسال قوات سوفيتية إلى مصر ، واقامة نظام دفاعى جوى ضد طائرات الفانتوم الاسرائيلية . وقامت الطائرات السوفيتية ـ بالفعل ـ بحماية سماء مصر !

وقد حاول صدام حسين الاستعانة بالاتحاد السوفيتى ، ولكنه كان فى حالة احتضار ، فوق أن الاتحاد السوفييتى على مدى تاريخه كان يؤيد فقط الحروب العادلة ـ أى حروب التحرر الوطنى ـ ولا يؤيد حروب التوسع والعدوان ، ومن هنا كان الموقف الذى اتخذه من الغزو العراقى للكويت ، والذى أدان فيه هذا الغزو ، متفقا مائة فى المائة مع مبادئه

وتاريخه، ولم يكن كما أراد الأستاذ هيكل تصويره ، منطلقا من الرغبة فى مجاراة الولايات المتحدة إلى آخر الشوط ! (ص ٤٤٠) .

وقد نجحت المملكة العربية السعودية ودول الخليج مع الولايات المتحدة فيما فشل فيه صدام حسين مع الاتحاد السوفيتى ، لسبب بسيط هو أن الولايات المتحدة كان لديها من المصالح فى المنطقة العربية ما يدفعها إلى الاستجابة .

ومن هنا فإن أية محاولة لتصوير الولايات المتحدة فى صورة المحرك للأحداث ، وأنها الطرف الأصلى فى الصراع الذى جرى فى هذه المنطقة العربية ، هو تصوير يتجاهل حقائق الموقف تجاهلا تاما ، وينساق كلية مع التحليل العراقى .

لقد كانت الولايات المتحدة تتحرك مع الأحداث ، ولكنها لم تكن تحرك الأحداث إلا عندما قبلت مهمة التدخل العسكرى لحماية المملكة العربية السعودية وبقية دول الخليج من النظام العراقى ، وقبلت تحرير الكويت .

لقد كان التدخل الأمريكى العسكرى مطلوبا ، ولم يكن مفروضا ، بدليل لا يقبل الجدل ، وهو أن التدخل العسكرى لم يكن مجانا أو على حساب الولايات المتحدة بل كان على حساب الأطراف العربية التى طلبت هذا التدخل !

فعندما سأل الرئيس العراقى عن الوقت الذى يعتقد أن قواته سوف تنسحب فيه من الكويت ، أجابه صدام سريعا : فى أسابيع قليلة ! ورد الملك حسين : «ليست لدينا أسابيع ولا حتى أيام : أمامنا ساعات فقط» ! ، وسافر الملك حسين ليتلقى وهو فى الطائرة اشارة من صدام تقول : «إن مجلس قيادة الثورة وافق على وجهة نظرك فى اجتماع عقد على عجل ، وسوف يحضر العراق اجتماع جدة ، وسوف يعلن انسحابه من الكويت ، ولكن هناك شرطا واحدا هو ألا يتخذ وزراء الخارجية العرب المجتمعون فى القاهرة قرارا مسيئا ، أو عنيفا ضد العراق» !

هذا ـ إذن ـ هو نوع الانسحاب الذى توصل إليه الملك حسين مع صدام حسين ! والآن هل فهم الأستاذ هيكل نفسه شيئا؟ أو أنه فهم وسكت ؟

لقد قرن صدام حسين فى حديثه مع الملك حسين الانسحاب بترك الأمر فى يد حكومة كويتية وطنية اسما عراقية فعلا ، فهل تضمنت برقيته إلى الملك فى الطائرة اقتران الانسحاب بعودة أسرة الصباح ؟ ان البرقية لم يرد فيها أى شىء عن عودة أسرة الصباح ، وفى هذه الحالة ، فما هى قيمة هذا الانسحاب والأمور استقرت فى يد العراقيين ؟

وتاريخه، ولم يكن كما أراد الأستاذ هيكل تصويره ، منطلقا من الرغبة فى مجاراة الولايات المتحدة إلى آخر الشوط ! (ص ٤٤٠) .

وقد نجحت المملكة العربية السعودية ودول الخليج مع الولايات المتحدة فيما فشل فيه صدام حسين مع الاتحاد السوفيتى ، لسبب بسيط هو أن الولايات المتحدة كان لديها من المصالح فى المنطقة العربية ما يدفعها إلى الاستجابة .

ومن هنا فإن أية محاولة لتصوير الولايات المتحدة فى صورة المحرك للأحداث ، وأنها الطرف الأصلى فى الصراع الذى جرى فى هذه المنطقة العربية ، هو تصوير يتجاهل حقائق الموقف تجاهلا تاما ، وينساق كلية مع التحليل العراقى .

لقد كانت الولايات المتحدة تتحرك مع الأحداث ، ولكنها لم تكن تحرك الأحداث إلا عندما قبلت مهمة التدخل العسكرى لحماية المملكة العربية السعودية وبقية دول الخليج من النظام العراقى ، وقبلت تحرير الكويت .

لقد كان التدخل الأمريكى العسكرى مطلوبا ، ولم يكن مفروضا ، بدليل لا يقبل الجدل ، وهو أن التدخل العسكرى لم يكن مجانا أو على حساب الولايات المتحدة بل كان على حساب الأطراف العربية التى طلبت هذا التدخل !

فعندما سأل الرئيس العراقى عن الوقت الذى يعتقد أن قواته سوف تنسحب فيه من الكويت ، أجابه صدام سريعا : فى أسابيع قليلة ! ورد الملك حسين : «ليست لدينا أسابيع ولا حتى أيام : أمامنا ساعات فقط» ! ، وسافر الملك حسين ليتلقى وهو فى الطائرة اشارة من صدام تقول : «إن مجلس قيادة الثورة وافق على وجهة نظرك فى اجتماع عقد على عجل ، وسوف يحضر العراق اجتماع جدة ، وسوف يعلن انسحابه من الكويت ، ولكن هناك شرطا واحدا هو ألا يتخذ وزراء الخارجية العرب المجتمعون فى القاهرة قرارا مسيئا ، أو عنيفا ضد العراق» !

هذا ـ إذن ـ هو نوع الانسحاب الذى توصل إليه الملك حسين مع صدام حسين ! والآن هل فهم الأستاذ هيكل نفسه شيئا؟ أو أنه فهم وسكت ؟

لقد قرن صدام حسين فى حديثه مع الملك حسين الانسحاب بترك الأمر فى يد حكومة كويتية وطنية اسما عراقية فعلا ، فهل تضمنت برقيته إلى الملك فى الطائرة اقتران الانسحاب بعودة أسرة الصباح ؟ ان البرقية لم يرد فيها أى شىء عن عودة أسرة الصباح ، وفى هذه الحالة ، فما هى قيمة هذا الانسحاب والأمور استقرت فى يد العراقيين ؟

وإذا كان الأمر كذلك ، فأى نجاح حققه الملك حسين يبيح له القول بأنه تلقى فى مطار عمان «صدمة من أقصى الصدمات فى حياته» عندما عرف أن مصر أصدرت بيانا منفردا بإدانة العراق فى الساعة الرابعة والنصف ؟

ألا يكون هذا البيان المصرى بالادانة قد صدر فى وقته تماما ، بعد أن فشلت مهمة الملك حسين فى اقناع صدام بالانسحاب وعودة أسرة الصباح ؟

وما هو معنى هذا التضليل الذى ساقه الملك حسين للرأى العام العربى عندما قال : إن موافقة صدام حسين على الانسحاب كانت معه ، ولكن مصر تسرعت وأصدرت البيان؟

وما هو معنى القائه المسئولية على الرئيس مبارك لصدور البيان قبل معرفته بنتائج مهمته ، وقوله إن الرئيس مبارك اعتذر بأنه «كانت تحت ضغط شديد من الرأى العام» ؟

ما هى قيمة مثل هذا الوعد بالانسحاب الذى حصل عليه الملك حسين من صدام حسين ، ما دام لاينص على عودة الحكومة الشرعية إلى الكويت ؟

ألا يشير ذلك كله ـ فى وضوح ـ إلى حجم اللعبة الخطرة التى كان يلعبها الملك حسين فى تبرئة النظام العراقى وإلقاء المسئولية على الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك ؟

مع أنه كان يعرف جيدا ان الانسحاب من الكويت بلا قيد أو شرط هو السبيل الوحيد لمنع التدخل العسكرى ، وأنه بدون التدخل العسكرى فإن الكويت لن تتحرر إلى نهاية الدهر . وكان فى ذلك يلعب دور «صوت سيدهُ» ، وهذا السيد هو صدام حسين .

نعم لقد كان الملك حسين فى كل هذه المحاولات يلعب دور «صوت سيدهُ» ، وعمدتنا فى ذلك الأستاذ هيكل شخصيا !

ففى يوم ١٢ أغسطس طار الملك حسين إلى بغداد ، وفى اليوم التالى مباشرة استأذن الرئيس بوش فى أن يطير إليه لمقابلته ، وأجابه الرئيس الأمريكى إلى طلبه بعد لأى . وفى هذا اللقاء مع بوش لم يورد الملك حسين ذكر الانسحاب العراقى غير المشروط من الكويت أبدا ، وإنما كان كلامه يدور حول الانسحاب بشروط النظام العراقى ، فى مقابل امتناع الولايات المتحدة عن التدخل العسكرى ! وهو أمر كان مرفوضا تماما ، ليس فقط من الجانب الأمريكى بل من المجتمع الدولى كله الذى كان يرفض تحقيق مكاسب للنظام العراقى عن طريق غزوه للكويت .

ومن يتابع حديث الملك حسين مع بوش يعرف جيدا إلى أى حد وضع الملك حسين نفسه فى موقف مهين لانقاذ النظام العراقى وتحقيق أهدافه كاملة فى الكويت .

وإذا كان الأمر كذلك ، فأى نجاح حققه الملك حسين يبيح له القول بأنه تلقى فى مطار عمان «صدمة من أقصى الصدمات فى حياته» عندما عرف أن مصر أصدرت بيانا منفردا بإدانة العراق فى الساعة الرابعة والنصف ؟

الا يكون هذا البيان المصرى بالادانة قد صدر فى وقته تماما، بعد أن فشلت مهمة الملك حسين فى اقناع صدام بالانسحاب وعودة أسرة الصباح ؟

وما هو معنى هذا التضليل الذى ساقه الملك حسين للرأى العام العربى عندما قال : إن موافقة صدام حسين على الانسحاب كانت معه ، ولكن مصر تسرعت وأصدرت البيان؟

وما هو معنى القائه المسئولية على الرئيس مبارك لصدور البيان قبل معرفته بنتائج مهمته ، وقوله إن الرئيس مبارك اعتذر بأنه «كانت تحت ضغط شديد من الرأى العام» ؟

ما هى قيمة مثل هذا الوعد بالانسحاب الذى حصل عليه الملك حسين من صدام حسين ، ما دام لاينص على عودة الحكومة الشرعية إلى الكويت ؟

ألا يشير ذلك كله ـ فى وضوح ـ إلى حجم اللعبة الخطرة التى كان يلعبها الملك حسين فى تبرئة النظام العراقى وإلقاء المسئولية على الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك ؟

مع أنه كان يعرف جيدا ان الانسحاب من الكويت بلا قيد أو شرط هو السبيل الوحيد لمنع التدخل العسكرى ، وأنه بدون التدخل العسكرى فإن الكويت لن تتحرر إلى نهاية الدهر . وكان فى ذلك يلعب دور «صوت سيدُه» ، وهذا السيد هو صدام حسين .

نعم لقد كان الملك حسين فى كل هذه المحاولات يلعب دور «صوت سيدُه» ، وعمدتنا فى ذلك الأستاذ هيكل شخصيا !

ففى يوم ١٢ أغسطس طار الملك حسين إلى بغداد ، وفى اليوم التالى مباشرة استأذن الرئيس بوش فى أن يطير إليه لمقابلته ، وأجابه الرئيس الأمريكى إلى طلبه بعد لأى . وفى هذا اللقاء مع بوش لم يورد الملك حسين ذكر الانسحاب العراقى غير المشروط من الكويت أبدا ، وإنما كان كلامه يدور حول الانسحاب بشروط النظام العراقى ، فى مقابل امتناع الولايات المتحدة عن التدخل العسكرى ! وهو أمر كان مرفوضا تماما ، ليس فقط من الجانب الأمريكى بل من المجتمع الدولى كله الذى كان يرفض تحقيق مكاسب للنظام العراقى عن طريق غزوه للكويت .

ومن يتابع حديث الملك حسين مع بوش يعرف جيدا إلى أى حد وضع الملك حسين نفسه فى موقف مهين لانقاذ النظام العراقى وتحقيق أهدافه كاملة فى الكويت .

فقد اتهم الحشود الأمريكية فى الشرق الأوسط بأنها رفعت درجة التوتر فى المنطقة إلى حد كبير ! وقد رد عليه بوش بحدة ، وبحق : « لم نكن نحن الطرف الذى رفع حدة التوتر فى المنطقة ! وحشودنا العسكرية التى تتحدث عنها كانت ردا على احتلال عسكرى عراقى للكويت سبقها» . ثم يقول له : «إننى ترددت قبل أن أوافق على مقابلتك ، فأنت كنت فى بغداد قبل أربع وعشرين ساعة من اتصالك التليفونى بى، وكان ترددى فى تحديد موعد لك هو خشيتى من أن تَظهر زيارتك كأن بينى وبين هذا الرجل (صدام) وساطة ، وأنا لا أريد ذلك ، ولا الكونجرس ، ولا الرأى العام الأمريكى يسمحان به» .

ويحاول الملك محاولة أخرى ، فيقول : إن الرئيس العراقى على استعداد للانسحاب ! ويرد عليه بوش بقوله : الانسحاب بشروط ؟ جاءتنا هذه الشروط ، ونحن نرفض كل شرط فيها: أن ينسحب طبق جدول يضعه هو ، وأن ينسحب إلى المواقع المختلف عليها .. حقل البترول المتنازع عليه والجزر . فات أوان هذا الكلام . إذا كان يريد أن ينسحب فنحن لا نمسك به لنمنعه ، ينسحب فورا وبلا قيد أو شرط ، وتعود أسرة الصباح إلى الكويت ، ثم نرى بعد ذلك ما يلزم عمله .

الأستاذ هيكل انه دور فى خدمة السلام ! (السلام العراقى طبعا !) فيقول :

كان احساس الملك ، بعد أن عاد من قمة القاهرة ، هو أنه حاول أداء دوره قدر ما يستطيع (أى دور؟) ولم تمكنه الظروف . وكان فى حل من أن يجلس فى ركنه فى الساحة الهائجة فى الشرق الأوسط ، ويتفرج على ما يستجد، ولكنه أحس بأن التطورات المحتملة فى المنطقة قد تجرف الكل أمامها ، بما فيهم الممثلون والمتفرجون على السواء ، فكان عليه أن يتحرك ! ولكن تحركه كان فى بغداد أولا ، ليستطلع تقدير الرئيس صدام حسين للموقف وتصوراته ورؤاه ، ثم قام برحلاته إلى الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا !

فأى شىء فى هذه الرحلات ـــ التى قدمناها من نفس كتاب الأستاذ هيكل ـــ كان يخدم السلام فى هذه المنطقة ؟

لقد كانت هذه الرحلات لخدمة النظام العراقى وأهداف النظام العراقى ، وهى أهداف عدوانية مضادة للسلام ، فكيف يصورها هيكل فى شكل محاولات لخدمة السلام ؟ أليس هذا غريبا ؟

ولكن كتاب الأستاذ هيكل حافل بكثير من الغرائب !

فقد اتهم الحشود الأمريكية فى الشرق الأوسط بأنها رفعت درجة التوتر فى المنطقة إلى حد كبير ! وقد رد عليه بوش بحدة ، وبحق : « لم نكن نحن الطرف الذى رفع حدة التوتر فى المنطقة ! وحشودنا العسكرية التى تتحدث عنها كانت ردا على احتلال عسكرى عراقى للكويت سبقها » . ثم يقول له : «إننى ترددت قبل أن أوافق على مقابلتك ، فأنت كنت فى بغداد قبل أربع وعشرين ساعة من اتصالك التليفونى بى، وكان ترددى فى تحديد موعد لك هو خشيتى من أن تَظهر زيارتك كأن بينى وبين هذا الرجل (صدام) وساطة ، وأنا لا أريد ذلك ، ولا الكونجرس ، ولا الرأى العام الأمريكى يسمحان به» .

ويحاول الملك محاولة أخرى ، فيقول : إن الرئيس العراقى على استعداد للانسحاب ! ويرد عليه بوش بقوله : الانسحاب بشروط ؟ جاءتنا هذه الشروط ، ونحن نرفض كل شرط فيها: أن ينسحب طبق جدول يضعه هو ، وأن ينسحب إلى المواقع المختلف عليها .. حقل البترول المتنازع عليه والجزر . فات أوان هذا الكلام . إذا كان يريد أن ينسحب فنحن لا نمسك به لنمنعه ، ينسحب فورا وبلا قيد أو شرط ، وتعود أسرة الصباح إلى الكويت ، ثم نرى بعد ذلك ما يلزم عمله .

الأستاذ هيكل انه دور في خدمة السلام ! (السلام العراقي طبعا !) فيقول :

كان احساس الملك ، بعد أن عاد من قمة القاهرة ، هو أنه حاول أداء دوره قدر ما يستطيع (أي دور؟) ولم تمكنه الظروف . وكان في حل من أن يجلس في ركنه في الساحة الهائجة في الشرق الأوسط ، ويتفرج على ما يستجد، ولكنه أحس بأن التطورات المحتملة في المنطقة قد تجرف الكل أمامها ، بما فيهم الممثلون والمتفرجون على السواء ، فكان عليه أن يتحرك ! ولكن تحركه كان في بغداد أولا ، ليستطلع تقدير الرئيس صدام حسين للموقف وتصوراته ورؤاه ، ثم قام برحلاته إلى الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا !

فأي شيء في هذه الرحلات ـــ التي قدمناها من نفس كتاب الأستاذ هيكل ـــ كان يخدم السلام في هذه المنطقة ؟

لقد كانت هذه الرحلات لخدمة النظام العراقي وأهداف النظام العراقي ، وهي أهداف عدوانية مضادة للسلام ، فكيف يصورها هيكل في شكل محاولات لخدمة السلام ؟ أليس هذا غريبا ؟

ولكن كتاب الأستاذ هيكل حافل بكثير من الغرائب !

(٧)

هل كان قرار ضم الكويت تحولا نحو السلام؟

هل كان قرار ضم الكويت
تحولا نحو السلام؟ *

عندما تكتب قصة حرب الخليج فى المستقبل ، سوف يكتشف المؤرخون أن هذه الحرب كانت لحظة فاصلة فى تاريخ الأمة العربية فى العصر الحديث ، وأنها شقت الأمة العربية إلى نصفين ، وأقامت برزخا بينهما لعدة عقود قادمة من السنين !

وهذا ما جرؤت أن أقوله فى مؤتمر عقد فى نيويورك فى ٢٤ من شهر ابريل الماضى ، دعيت لأن أتحدث فيه . ففى هذا المؤتمر الذى عقده «مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية بنيويورك Council on Foreign Relations ، ودعا إليه عددا من العلماء والسياسيين والمفكرين، ليعرضوا أفكارهم فى يوم واحد ، قلت :

---

* اكتوبر ـ ٢٤ مايو ١٩٩٢

إن الغزو العراقى للكويت ، بما فجره من مشاعر الخوف والفزع فى نفوس دول الخليج ، وما أطلقه من صيحة إعادة توزيع الثروة العربية ، قد نسف النظام العربى القديم نسفا ، وهو النظام الذى قام على مبادلة الأمن العسكرى لدول الخليج بالأمن الاقتصادى لبقية الدول العربية ، وزرع من الشك وعدم الثقة وانعدام الأمن فى دول البترول الثرية ما سوف يقف على الدوام حائلا دون قيام نظام عربى آخر يحل محل النظام القديم إلى أمد غير محدود من السنين ، وربما إلى الأبد ! .

ومن هنا أهمية مناقشة كتاب مثل كتاب الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج ، فالأمر يتعلق بمسئولية جسيمة يتحملها الطرف الذى كان سببا فى انهيار النظام العربى الذى ظهر بعد حرب أكتوبر ، ومنع قيام نظام عربى آخر على مستواه ، فهل يكون هذا الطرف المسئول هو العراق أو مصر ؟

لقد تركزت مجهودات النظام العراقى ، منذ فشل فى جر مصر إلى تأييد موقفه المخزى فى غزو الكويت ، على تحميلها المسئولية عن استمرار احتلاله للكويت ، وعن الحشد العسكرى الأمريكى ضد العراق ، وعن الحرب ! فأخرج الملك

حسين من جعبته لعبة الانسحاب المزعوم الذى حصل على وعد به من صدام حسين وأوقفته الادانة المصرية للعراق !

ولتثبيت هذا الزعم وتأكيده ، أصدر الملك حسين كتابه الأبيض الشهير ، الذى كان لنا دور مع بعض الأقلام فى كشف زيفه وافتراءاته . ومن هنا لم يعد هذا الكتاب الأبيض يحظى بين الكتب الرسمية الملونة باحترام من المؤرخين .

وقد جاء الأستاذ محمد حسنين هيكل ليبيع لنا نفس البضاعة فى كتابه عن حرب الخليج ! وليضيف إليها جهوده الذاتية فى تصوير مؤتمر القمة العربية الطارىء ، الذى دعا إليه الرئيس محمد حسنى مبارك فى يوم ٨ أغسطس ١٩٩٠، فى صورة مؤامرة أمريكية ، أعدت لها الولايات المتحدة كل شىء حتى البيان الختامى لرؤساء الدول العربية ، الذى كتب باللغة الانجليزية وترجم إلى العربية ! ـ حسبما أورد ، ثم تصويره الجهود التى بذلها الملك حسين لدى الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا ، فى صورة جهود من أجل السلام ، رغم أنها كانت ـ كما أثبتنا ـ جهوداً لخدمة النظام العراقى ولتمكينه من تحقيق أهدافه العدوانية فى الكويت .

وهكذا فإن العالم الذى يصوره لنا الأستاذ هيكل فى كتابه فى أثناء أزمة الخليج ، هو عالم ينقسم إلى قسمين :

عالم سلام ، ويمثله صدام حسين والملك الأردنى وثالثهما ياسر عرفات ، وعالم حرب ، ويمثله الرئيس الأمريكى بوش والمسز تاتشر وميتران ومبارك وفهد وجابر الصباح .

ويذهب الأستاذ هيكل فى ذلك إلى حد غير معقول ! إذ يزعم (فى صفحة ٤٤٠) بأنه كانت هناك إشارات إلى بداية تحولات فى التفكير العراقى نحو السلام منذ يوم ٥ أغسطس، عندما بدأ يشعر بأنه يواجه خطرا داهما ، وبأن ردة الفعل التى وجدها أمامه بعد غزو الكويت كانت أخطر بكثير مما حسب وقدر !

وقد توقعنا أن يسند هذا الزعم بأن يقدم لنا تنازلات فعلية قدمها النظام العراقى ، وتراجعا عن موقفه يعبر عن هذه التحولات التى استخلصها من دراسة الوثائق ، وإذا بنا نفاجأ بالعكس ، فقد قدم لنا مظاهر تصعيد خطير فى الموقف العراقى تجاوز فيه مواقفه السابقة !

ولم يجد هيكل ما يبرر به هذا التناقض إلا القول بأن التصرفات العراقية بدت وكأنها تسير على خط يتعارض مع هذه التحولات ! وإذا كانت تسير فى خط يتعارض مع هذه التحولات المزعومة ، فلماذا يصفها بأنها تحولات فى التفكير العراقى ؟ هل لمجرد الايهام بوجود هذه التحولات ، التى يعلم جيدا أنها غير موجودة فى ذهن القيادة العراقية ؟

أمـا هذه التـصـرفـات التى صـورها هيكل على أنهـا تحولات فى التفكير العراقى نحو السلام ، فهى إعلان ضمه للكويت !

كيف؟ يقـول هيكل إنه من الجـائز أن يكون هذا الإعـلان بضـم الكويت ، تصـعـيدا فى بعض أسـاليب إدارة الأزمـات لتـعـزيز الموقف التـفـاوضـى للأطراف ! فـعندمـا يصـعـد أحـد الأطراف مـوقفه ، فـإنه بذلك قـد يستطيع تحـريك نـقطة الحل الوسط، الذى يمكن التـراضـى عليـه بالمفـاوضـات ، إلى مـوقـع أكثر مـلاءمة له ، ومن ناحـية أخرى يعطى الإشـارة للأطراف الأخـرى بأنه على اسـتـعـداد لأن يمشى فـى المخـاطـرة إلى نهايتها مهما كانت النتائج ، فتعيد حساباتها ! .

وقد نلتمس العذر للأسـتاذ هيكل فى هذا التـحليل لو أن النظام العـراقى اسـتـخدم بالفـعل هذا الضـم وسـيلة لتـعـزيز موقفه التفـاوضـى ، ولكن من الثابت تاريخيا أنه تمسك بالضـم وعدم الانسـحـاب إلى حـد الانتـحـار ! أى حـتى وقـع التـدخل العـسكرى بالـفـعل ! فـأى مـهـارة فى إدارة الأزمـات أراد الأستاذ هيكل إيهامنا بها من قبل النظام العراقى ؟

ثم يمضـى هيكل فى عرض مظاهر التـحولات المزعومة فى التـفكير الـعراقى ، فـيضـيف إلى إعـلان صـدام حـسـين ضـم الكويت إعـلانه بعد أيام قليلة مبادرته الهزيلة التى يربط فـيها

بين انسحابه من الكويت وحل جميع القضايا العربية المعلقة : من فلسطين والانتفاضة ، إلى لبنان والاحتلال السورى والاسرائيلى ، إلى توزيع الثروة العربية توزيعا عادلا !

فهل هذه الاجراءات مظاهر تحولات فى التفكير العراقى نحو السلام ؟ أو أنها مظاهر تأكيد وتصعيد ؟

ولكن الأستاذ هيكل ـ أكثر من ذلك ـ يتوهم أن هذه المظاهر إنما اتخذها النظام العراقى لتفادى الحرب وليس سعيا للحرب ! فيقول بالحرف الواحد : «ربما مبادرة ربط القضايا العربية كلها بعضها ببعض ، مثل التصعيد بضم الكويت قبلها ، كانت تحضيرا لموقف تفاوضى يريد تفادى نشوب الحرب أكثر مما يسعى إليها» !

وحتى يستكمل الأستاذ هيكل تحليله العجيب ، يقول إن العراق ، لكى يحضر لهذا الموقف التفاوضى المزعوم ، «كان عليه ألا تظهر منه بادرة توحى بتحول فى موقفه ! ذلك أنه إذا كان يلوح بالتصعيد وباستعداده للمخاطرة إلى آخر المدى مستنداً إلى تأييد كتل عربية وإسلامية شدها خطابه ، فإن ظهور إشارات مختلفة قد يفسد الحركة كلها» !

وهكذا يقدم لنا الأستاذ هيكل هذا اللغز العجيب الذى لا أظن مفكرا سياسيا أو محللا يستطيع حله : فتحولات النظام

العراقى نحو السلام تتبدى مظاهرها فى ضمه للكويت ! وفى ربطه كل القضايا العربية بقضية احتلاله للكويت ، ودعوته إلى توزيع الثروة العربية توزيعا عادلا !

وهذه المظاهر كلها تعد تحضيرا لموقف تفاوضى يريد تفادى نشوب الحرب ! ولكن هذا التحضير للموقف التفاوضى يقتضى الا يظهر النظام العراقى بادرة توحى بتحول فى موقفه !

فهل فهم القارىء شيئا ؟ وهل اقتنع بأن النظام العراقى كان يسعى للسلام عندما ضم الكويت ؟ أو أنه كان يعد لموقف تفاوضى عندما ربط القضايا العربية بقضية احتلاله للكويت ؟ أو أنه كان يريد تفادى نشوب الحرب عن طريق الا تظهر منه بادرة توحى بأنه يريد تفادى نشوب الحرب ؟

انى لا أريد أن أشكك فى قدرة الأستاذ هيكل على التحليل السياسى ، فقدرته فوق كل شك ، ولكن السؤال المحير هو كيف عجز الأستاذ هيكل عن إدراك أن ربط النظام العراقى كل القضايا العربية بقضية احتلاله للكويت وإعادة توزيع الثروة العربية ، لم يكن من أجل تفادى نشوب الحرب ، وإنما من أجل خديعة الرأى العام العربى ، ولإيجاد مبرر

إضافى للاستمرار فى ضم الكويت واحتلالها؟ وكل ذلك يؤدى بالضرورة إلى نشوب الحرب ! .

ان رجل الشارع العادى فى مصر أدرك هذه الخدعة منذ أن أطلقها صدام حسين ، وكان رد رجل الشارع المصرى : وما ذنب الكويتيين حتى يظلوا تحت الاحتلال العراقى حتى تحل القضية الفلسطينية أو غيرها من القضايا؟ وقد تعجب البعض : كيف يكون تحرير الفلسطينيين من الاحتلال الاسرائيلى ، عن طريق غزو الكويتيين واخضاعهم للاحتلال العراقى ؟

لقد ازدرى رجل الشارع المصرى هذا الربط منذ الوهلة الأولى ، ورفض أن يشترى من صدام حسين هذه البضاعة الفاسدة ، ولكن الأستاذ هيكل يأتى ليبيع للشعب المصرى هذه البضاعة نفسها بعد أن ازدادت فسادا وفاحت رائحتها، ويحاول اقناع الشعب المصرى بأن هذا الربط من جانب النظام العراقى كان من أجل التحضير لموقف تفاوضى يريد تفادى نشوب الحرب . فهل هذا معقول ؟

والطريف أن الأستاذ هيكل لم يقدم لنا فيما تلاذلك من وقائع ما يدعم به تحليله الفريد ، بل قدم العكس !

ففى عرضه للمقابلة التى جرت بين صدام حسين والقائم بالأعمال الأمريكى يوم ٦ أغسطس ١٩٩٠ ، لا يظهر صدام حسين أية بادرة على أنه يريد تفادى نشوب الحرب،بل يظهر تصميما لا مثيل له على استمرار احتلاله للكويت ، ففى حديثه عنها يردد دعاواه الكاذبة بشأنها ، ويصفها بأنها دولة بلا حدود ! وأن العراقيين يعرفون جيدا أن الكويت عراقية ! وأن حاكم الكويت كان قائم مقام فعلا ، وكان يستلم راتبه من حاكم البصرة ! وهذا الحال استمر حتى ١٩١٢ ثم جاءت بعد ذلك الحرب العالمية التى أدت لظروف جديدة !

ثم يعلنها فى وجه القائم بالأعمال الأمريكى فى تحد سافر ، فيقول : «لن نترك الكويت لقمة سائغة لأحد ولو قاتلنا الكون كله ! ولو ازداد التهديد على الكويت سنضاعف القوات هناك! وكلما كان التهديد بحجم معين ، تغير حجم القوات العراقية» !

أما الانسحاب من الكويت فهو بشروط العراق ، وبعد أن تكون الأغراض العراقية قد تحققت كاملة من الغزو ، وهو ما جرى التعبير عنه «بشرط توفير مناخ مناسب» ! ولكن «ليس من المصلحة أن ينسحب الجيش العراقى بسرعة ، وأن نترك الكويت للأطراف المتصارعة» !

ثم يوجه صدام حسين تحذيرا صريحا للولايات المتحدة قائلا : «على أمريكا ألا تندفع ـ تحت استشارات مخطئة ـ إلى عمل تجد نفسها معه موضع الاحراج» ! «أنتم دولة عظمى ونعرف أنكم قادرون على ايذائنا ، ولكنكم ستخسرون المنطقة بعدها، ولن تستطيعوا إركاعنا لو استخدمتم كل أسلحتكم . تستطيعون أن تدمروا الحلقات العلمية والاقتصادية والنفطية، ولكن كلما دمرتم أكثر أصبح العبء عليكم أكبر» !

والمحزن أن تنبؤات الدكتاتور العراقى كلها حدث عكسها تماما ، فقد سقطت المنطقة فى يد الولايات المتحدة بعد الحرب، وتم تركيع النظام العراقى إلى حد أن أصبحت للولايات المتحدة مصلحة أكيدة فى الإبقاء عليه ! إذ لن تجد نظاما سياسيا آخر بديلا يحقق لها ما يحققه النظام الحالى من خضوع لكل المطالب ، وفى الوقت نفسه فان حجم التدمير الذى لحق بالعراق كان من الفداحة بحيث أخرجه من القرن العشرين .

ولكن صدام حسين فى ذلك الحين كان فى قمة عنجهيته وثقته بالنفس ، وهو يتصرف كلص صفيق يعلن أنه لن يرد ما سرقه «ولو قاتل الكون كله» ! بل إنه فى هذا اللقاء يهدد

بضرب مدن اسرائيل بالصواريخ ، ويقول : إن بغداد تتحمل صواريخ كثيرة ، لكن مدن اسرائيل لا تتحمل ! .

ثم يحاول اغراء الولايات المتحدة على الصداقة معه ، فيقول : «انكم قادرون على تدبير مصالحكم مع العناصر القوية القومية الواقعية أكثر مما أنتم قادرون على ضمان مصالحكم مع الضعفاء» ! ان العراق يريد صداقة الولايات المتحدة ويتفهم ويقدر حجم مصالحها» ! «أنتم تعرفون أن نفط العراق يباع لكم منذ جئنا للحكم برغم أن العلاقات كانت مقطوعة آنذاك ، وقد ازداد حجم التعامل بعد إعادة العلاقات فى ١٩٨٤ إلى أن اتخذتم قراركم بمقاطعة النفط العراقى ، انكم تستوردون بحدود ثلث الكمية التى نسوّقها للخارج» !

ولكى يطمئن الولايات المتحدة على أن أطماعه مقصورة على الكويت وحدها ، أبدى صدام حسين استعداده للتعهد الكامل بعدم التعرض للسعودية ، وأنه ليس فى نيته أى عمل عسكرى ضدها .

على هذا النحو كان صدام حسين يسقط من حساباته موقف البلاد العربية من الغزو ، خصوصا موقف المملكة العربية السعودية ودول الخليج ومصر وسوريا ، وكان يتجه إلى عقد صفقته مع الولايات المتحدة لتسمح له بابتلاع غنيمته!

ففى ذلك الحين كانت القيادة العراقية قد توصلت ، منذ وقت مبكر من الأزمة ــ كما يقول هيكل ـ إلى أن الأمور خرجت من يد الدول العربية ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية أمسكت بكل خيوط الأزمة ، وراحت تغزل فيها وفق رسم خططت له ! (ص ٤٦٤).

فهل كان فى هذا الموقف ما يبرر حديث هيكل عن التحولات المزعومة فى التفكير العراقى نحو السلام ، أو كان يمثل انتهازية نظام يسعى لعقد صفقة مع الولايات المتحدة من وراء ظهر الدول العربية تتيح له الاحتفاظ بمكاسبه ؟

والغريب أن كتاب هيكل يحوى المزيد من الأمثلة التى تتناقض مع ما ذهب إليه من تحليل ! ففى تعرضه للقاء الذى جرى بين الملك حسين وصدام حسين بعد عودة الأول من رحلته الأوربية الفاشلة ، يذكر انه عندما رأى الأخير اصرار الملك حسين على الانسحاب العراقى من الكويت (الانسحاب وليس عودة الحكومة الشرعية !) استدعى إليه مساعد رئيس أركان حرب الجيش العراقى ، وسأله فى حضور الملك : «ماذا يكون رأى القوات لو أننا أعلنا الانسحاب من الكويت ؟ وكان رد الضابط العراقى على الفور : «أعوذ بالله ، رجاء سيدى لا تقل هذه الكلمات» ! وهنا التفت صدام إلى الملك

حسين يقول له : لقد سمعت بأذنيك !.. يا أبا عبد الله ، إنهم يريدون ما هو أكثر من الكويت» !

وإذا كانوا يريدون ما هو أكثر من الكويت ، فأين - إذن - هذه التحولات فى التفكير العراقى نحو السلام التى تحدث عنها هيكل ؟ ومن أين استنتجها إذا كان كل ما لديه من مادة يقود إلى العكس ؟

وعلى أى أساس بنى الكلام الذى كتبه عن تحضير القيادة العراقية لموقف تفاوضى يريد تفادى نشوب الحرب ، إذا كان النص الذى استقيناه من كتابه يوضح أن جنرالات الجيش العراقى فى ذلك الحين كانوا «يريدون ما هو أكثر من الكويت» !

لقد وضع الأستاذ هيكل نفسه فى موضع دقيق عندما تصدى للدفاع عن نظام دموى عدوانى ، تاجر بالقومية العربية وبالتطرف فى الدفاع عن مصالحها ، وحارب مصر فى كل محفل دولى ، وأصر على طردها من جامعة الدول العربية ، وعلى نقل مقر جامعة الدول العربية من القاهرة ، واستلم الحكم فى العراق وهى دولة ثرية عزيزة ، وانتهى بها بعد أن حطم قوتها الاقتصادية والعسكرية والبشرية .

أما كان أجدر بالأستاذ هيكل أن يحسن اختيار الجانب الذى يدافع عنه بقلمه الشريف ؟

(٨)

قصة حرب الخليج بين القراءة البعثية والقراءة المصرية!

قصة حرب الخليج
بين القراءة البعثية
والقراءة المصرية *

في كل مرة مضيت فيها في قراءة كتاب الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج ، شعرت بأنني أقرأ كتابا كتبه طارق عزيز أو طه ياسين رمضان أو سعدون حمادي ! مع فارق كبير يتصل بالأسلوب الساحر الشائق الذي تميزت به كتابة الأستاذ هيكل ، والحرفية الممتازة التي اشتهر بها ، وكلها مما لايملكه الآخرون .

وحتى أعيد صياغة العبارة السابقة بأسلوب تاريخي ، وأوضح ما قلت للقارئ بشكل أفضل ، فإني أستعير من صدام حسين حديثا قديما يرجع تاريخه إلى عام ١٩٧٧ ، عندما دعا إلى عقد اجتماعين موسعين لمكتب الاعلام العراقي في ١٩ سبتمبر وأول ديسمبر ١٩٧٧ ، رسم فيهما للمؤرخين والباحثين طريقة كتابة التاريخ العراقي .

* أكتوبر ـ ٣١ مايو ١٩٩٢

فقد دعا إلى إعادة كتابة التاريخ العربى «بحيث تأخذ هذه الكتابة ذات الخصوصية لطريقنا البعثى الخاص»! وبمعنى آخر ـ كما قال ـ «كتابة التاريخ العربى من وجهة نظرنا ، والتركيز على الكتابة التحليلية وليس السردية الوقائعية ، على أن يأخذ هذا التحليل لحركة التاريخ ذات الخصوصية التى أخذت بها نظرية حزب البعث العربى الاشتراكى» !

ثم فسر كلامه قائلا : «نحن لسنا فى حاجة إلى تزوير التاريخ أو اصطناعه من أجل أن نقرأه قراءة بعثية ، وإنما نحن بحاجة إلى أن نفهمه فهما بعثيا ليس غير ، وإن ذلك ليضفى عليه من الحقيقة مالم يكن ظاهرا منه» ! .

ثم مضى خطوة أخرى فى تفسير كلامه ، فندد بالمؤرخين والباحثين الذين يسمون أنفسهم موضوعيين ، قائلا: «انهم يعرضون وجهات نظر مختلفة ، واحتمالات عديدة لتفسير حادثة واحدة مستقاة من تفسيرات مطروحة أو مستنتجة ، ويتركون للقارئ أن يستنتج ما يشاء ، ويتبنى من التفسيرات ما يتوافق مع هواه ، ولكن فى كل الأحوال يجب ألا يتعامل البعثى مع التاريخ وعموم المسائل الفكرية والاجتماعية بمثل هذا التعامل !» .

هذا النص الذى أوردته عن صدام حسين ربما يفيد فى توضيح العبارة التى صدرت بها هذا المقال ، وبما أعنيه منها. فلم يفعل الأستاذ هيكل فى كتابه عن حرب الخليج أكثر من ذلك ، لقد قرأ حرب الخليج قراءة بعثية ، وكتبها كتابة بعثية ، وقدمها للقارىء المصرى والعربى والعالمى من منظور بعثى عراقى !

وبمعنى آخر ـ على حسب التعبير الانجليزى ـ فإن الأستاذ هيكل وضع قدميه فى الحذاء العراقى ، ووقف يتفرج على حرب الخليج ويكتب وقائعها كما لو كان عراقيا !

وهذا هو الخطأ الأكبر فى الكتاب ، بل هو خطيئة الكتاب الرئيسية، فلم يكن مطلوبا من الأستاذ هيكل ، الكاتب المصرى المرموق، أكثر من أن يضع قدميه فى حذائه المصرى، الذى يملكه بالفعل منذ نعومة أظفاره ، ويقرأ حرب الخليج قراءة مصرية، ويكتبها كتابة مصرية ، ثم يدع للعراقيين أن يكتبوا تاريخ حرب الخليج كتابة بعثية عراقية كما يشاءون !

ولو فعل الأستاذ هيكل ذلك لجنب كتابه أخطاء كثيرة وقع فيها بحكم الرؤية البعثية ، ولساق نصوصه وفسر وثائقه على النحو الصحيح الذى يتفق مع واقع الأشياء .

ذلك أنه فى أزمة الخليج كان هناك طرفان : الطرف العراقى ، وبقية العالم ! وكان الطرف العراقى ، واقفا على رأسه، والعالم واقفا على قدميه ، ولكن الطرف العراقى ، كان يتصور أنه وحده يقف على قدميه ، بينما العالم يقف على رأسه !

وقد قدم الأستاذ هيكل كتابه من المنظور العراقى ، أى من منظور أن العالم يقف على رأسه ، بينما النظام العراقى يقف على قدميه !

ومن هنا فإننا فى هذه المقالات لا نفعل شيئا أكثر من أننا نقرأ كتاب هيكل قراءة مصرية ! ونستخدم مادته العلمية، التى ساقها فى شكل بعثى ، لنسوقها فى شكل مصرى ، أى أننا نعدل الصورة ، أو نعدل المنظور !

لقد ساق هيكل كتابه على أساس أن حرب الخليج هى حرب خاصة بين الولايات المتحدة والعراق ، أو بين الولايات المتحدة والأمة العربية ! وهذا هو المنظور العراقى تماما لهذه الحرب ، وهذه هى القراءة البعثية العراقية تماما .

وعمدتنا فى ذلك الأستاذ هيكل نفسه . ففى ص ٤٦٣ من كتابه ، وفى حديثه عن القيادة العراقية يقول بالحرف الواحد: «والحقيقة أن القيادة العراقية قد توصلت ، منذ وقت

مبكر من الأزمة ، إلى أن الأمور خرجت من يد الدول العربية، وأن الولايات المتحدة أمسكت بكل خيوط الأزمة» !

وفى ص ٤٧٢ يتحدث عن مجمل ما توصلت إليه اجتماعات مجلس قيادة الثورة العراقى وقيادة حزب البعث من قناعات بخصوص الأزمة ، فيقول :إن من أهم هذه القناعات «أن الدول العربية فى الوقت الحاضر ليست هى التى تملك زمام الموقف ، وبالتالى فإن البحث عن حل عربى لا فائدة فيه الآن ، لأسباب كثيرة ، أولها وآخرها أن الأمر خرج من أيديهم منذ ساعات الأزمة الأولى» !

وفى حديثه عن اجتماعات مجلس قيادة الثورة فى بغداد، يقول إن مناقشات المجلس كانت قد توصلت إلى قناعات مؤداها : أن الأزمة لم تعد الآن قضية بين العراق والكويت ، وأن الطرف الآخر فى المواجهة أمام العراق قد أصبح الولايات المتحدة الأمريكية بكل ما تريده وتطلبه من العراق نفسه !

هذا ــ إذن ــ هو الحذاء العراقى الذى وضع هيكل قدميه فيه منذ اللحظات الأولى وهو يكتب عن حرب الخليج ، فلم يفعل شيئا أكثر من أنه قدم هذا الحرب من هذا الموضع تماما ! ومن هنا خرج بنظريته التى تقول إن الولايات المتحدة

كانت فى حاجة إلى عدو جديد تستطيع أمام خطره الحقيقى، أو الموهوم ، أن تواصل تعبئة شعبها وقواتها المسلحة ، وإنها كانت فى حاجة إلى خطر جديد لجعل الكونجرس الأمريكى يوافق على اعتمادات التسليح ، وكان رئيسها بوش فى حاجة إلى حرب عادلة ينتصر فيها ويحفر بها اسمه على تاريخ أمته ....

وحين كتب وقائع مؤتمر القمة العربية الطارئة ، الذى دعا إليه الرئيس مبارك فى ٨ أغسطس ، كان يرتدى أيضا نفس الحذاء العراقى ، وينظر إلى المؤتمر من هذا الموقع ! ولم تخرج رؤيته وتحليله له عن رؤية أو تحليل يكتبه طارق عزيز !

فقد مهد له بالخط الذى رسمه بوش على الرمال لمناطق النفوذ الجديدة للولايات المتحدة ، وتحدث عن الانطباع الذى تولد لدى «بعض الوفود» بأن القمة العربية مجتمعة فى إطار هذا الخط الذى رسمه بوش على الرمال ومده بيكر إلى الجبال !

وحشد كافة الشكوك حول هذا المؤتمر ، ابتداء من «سر مشروع القرار» الذى كتبته أمريكا بالإنجليزية وترجم إلى العربية ! وهياج القذافى لما يراد منه من أن يختم بأصابعه على هذا البيان ! ثم اتهام طارق عزيز للشيخ صباح الأحمد

الصباح بأنه عميل للاستعمار ! ثم انفعال ياسر عرفات واتهامه للمصريين الموجودين بأنهم «جميعا عملاء» !، إلى آخر هذه الرؤية البعثية الخالصة للمؤتمر .

ومن هنا لم يستطع الأستاذ هيكل أن يرى المؤتمر بعين مصرية ، أو ينظر إليه من منظور مصرى ، فيكتب لنا ـ بالتالى ـ أسرار الاتصالات التى سبقت المؤتمر بين الأطراف العربية المتواطئة مع العراق ، والتى حضرت المؤتمر بقصد واحد هو : تمكين العراق من الكويت ، ومنع صدور أى قرار بادانة الغزو ، وتمزيق الوحدة العربية ، ومنع صدور قرار اجماعي بإرسال قوات عربية فى هذه القضية الخطيرة التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ جامعة الدول العربية .. غزو دولة عربية لدولة عربية أخرى . لقد كان كل ما قدمه هيكل عن هذا المؤتمر هو الرؤية البعثية العراقية وحدها ، ولم ينس أن يسوقها تحت عنوان : «ضباب حول القمة» !

ولأن الأستاذ هيكل يرتدى الحذاء العراقى ، فإنه قدم لنا الرئيس الأمريكى بوش من ذات الرؤية العراقية ، التى تتصور الرئيس الأمريكى فى شكل صدام حسين آخر ! يملك في يده كل المفاتيح ، ويسيطر على كل الأمور ، وتكفى كلمة منه لسوق الشعب الأمريكى إلى الحرب كما ساق صدام الشعب

العراقى إلى الحرب ! وقد وصفه بأنه يتصرف «كما يتصرف فنان فرغ من رسم لوحته ثم وقف يتأملها ويضيف إليها لمسة ضوء أو ظل» !

وفى ذلك ألغى الأستاذ هيكل كل ما تعلمه وعرفه عن النظام الأمريكى لصالح الرؤية العراقية ! فالرئيس بوش - فى نظره - هو العنصر المحرك للأحداث في طول الكتاب وعرضه ، وهو الذى يريد الحرب لينتصر فيها ويحفر اسمه فى التاريخ الأمريكى !

ولكن هيكل لايستطيع أن يستمر طويلا فى اسباغ كل هذا النفوذ على الرئيس الأمريكى ، فتطورات الأحداث تجبره على سحب كل ما ساقه من كلام حول حاجة الولايات المتحدة إلى عدو جديد وخطر جديد وحرب جديدة ، وإذا به يبرهن على العكس ، ويعرض لنا الكونجرس الأمريكى فى حالة هلع من الحرب !

ففى عرضه لجلسات الاستماع المفتوحة للمناقشة حول قضية السلام والحرب ، يورد كيف أخذت مجموعة من الشيوخ والنواب تبدى خوفها من أن تتكرر تجربة فيتنام ، وتصر على ضرورة أن يذهب الرئيس الأمريكى إلى

الكونجرس ، ويطلب منه طبقا للقواعد الدستورية تفويضا صريحا باعلان حالة الحرب ، ويقف أحد النواب ، وهو أندى جاكوبس ، ليقول إنه حصل على تقرير من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية يقدر أن خسائر الولايات المتحدة فى الحرب قد تصل إلى ٣٠ ألف قتيل ! وأنه فى اللحظة التى ينشب فيها القتال فإن سعر البترول سوف يقفز إلى مائة دولار للبرميل !

ويعترف هيكل بأن الرئيس بوش أخذ يحس ، بسبب جلسات الاستماع هذه التى تذاع على الهواء مباشرة، بأن التأييد الكاسح الذى حظى به فى بداية الأزمة قد يضعف بسبب تأرجح اتجاهات الرأى العام ومشاعره !

ثم يتحدث عن الصور المؤثرة التى أخذت الصحف الأمريكية ترسمها للجنود الأمريكيين من الشباب والرجال ، الذين انتزعتهم التعبئة من وسط زوجاتهم وأطفالهم لتقذف بهم فى بلاد بعيدة ، «لايعرفون عنها شيئا سوى أن سكانها يركبون الجمال ، ويسكنون الخيام ، ويملكون بترولا يتقاسمون أرباحه مع شركات كبرى هى دائما موضع شك فى نظر المواطن الأمريكى العادى»! ويقول إن العناوين المثيرة التى رافقت هذه الصور المؤثرة كانت تقول ما معناه : «لماذا يموت رجالنا وشبابنا لكى يحيا بعض الشيوخ فى بذخ ،

ولكى تتراكم الأرصدة فى حسابات بعض الشركات بغير حساب» ؟ !»

ثم يمضى الأستاذ هيكل فيناقض نفسه فيما ذكره عن الرئيس الأمريكى المتعطش للحرب ، والإدارة الأمريكية ، التى صورها على طول صفحات كتابه دون أن يدرى بأنها إدارة عدوانية تتربص بالعراق وتتلمس الذرائع لشن الحرب عليه ، فيقول إن الرئيس بوش كان يشعر فى أعماقه أن هناك اتجاها قويا داخل إدارته ، يرى أن العقوبات الاقتصادية والحصار الحديدى حول العراق ، يمكن أن يؤدى إلى تحقيق هدف الحرب دون تكبد تضحياتها ! وأن كلا من جيمس بيكر وزير الخارجية ، والجنرال كولين باول رئيس هيئة أركان الحرب ، كانا ــ فى حساب بوش ـ ضمن هؤلاء الذين كانوا يريدون للعقوبات والحصار الاقتصادى أن تحقق الهدف النهائى دون داع لتجربة النار ، وكان لكل منهما أسبابه : كان بيكر يرى أن تجربة النار قد تعرض خطته لتحقيق تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط إلى مخاطر لا داعى لها . وكان كولين باول من ناحيته يرى أن تجربة النار لا داعى لها ما دام هناك بديل يضمن تحقيق أهدافها على البارد .

إذن فإن الصورة فى الولايات المتحدة بالنسبة للبرلمان والإدارة الأمريكية ، كانت تختلف عن الصورة فى العراق ،

سواء بالنسبة للمجلس الوطنى العراقى ، الذى رأيناه فى التليفزيون يصوت بالإجماع على الانتحار ! أو بالنسبة للجيش العراقى الذى كان «يريد ما هو أكثر من الكويت» ! - كما صوره هيكل بنفسه (ص ٤٦٤) ، ولكن المنظور العراقى حجب عن عين الأستاذ هيكل هذا الفارق ، فساق كتابه كما لو كانت الولايات المتحدة صفا واحدا مع الحرب وراء بوش !

ثم يواصل الأستاذ هيكل مناقضته لنفسه فى هذا التصوير الذى قدمه ، فيعترف (ص ٥٣٢) بأن الكونجرس لم يصوت لصالح بوش إلا بفارق صوتى طفيف فى مجلس الشيوخ (٥٢ - ٤٧) أى بفارق خمسة أصوات فقط ! - أى أنه كان يمكن أن يكون العكس فينهار كل شىء !

وفى إطار هذا المنظور البعثى العراقى الذى قدم هيكل منه حرب الخليج ، فإن كل شىء فى الكون يسير - فى رأيه - وفق المشيئة الأمريكية ، ومجلس الأمن يتكون من إمعات وبصامين بأصابعهم على ما تقدمه لهم الولايات المتحدة من قرارات ! فيقول (ص ٤٦٥)

«لم يكن العراق يتوقع أن يجد ريحا مواتية من الأمم المتحدة ، ولكنه كان يظن أن الآراء سوف تتوزع بما لا يسمح بصدور قرارات حاسمة . وكانت المفاجأة أن الولايات المتحدة

سيطرت بالكامل على أجواء الأمم المتحدة وضبطتها ، بل تمكنت من تكييفها على درجة الحرارة والضغط وسرعة الريح التى تريدها (!) .

«وتلاحقت القرارات وكلها تدين العراق أو تحاصره على نحو لم يسبق له مثيل فى تاريخ الأمم المتحدة . ولم يكن ذلك مثار دهشة العراق وحده ، وإنما كان مثار دهشة لدى السكرتير العام للأمم المتحدة الذى كان يقول : إنه وجد الأعضاء الخمسة الدائمين أثناء أزمة الخليج ، يتصرفون كأنهم أعضاء فى «ناد خاص يجمعهم فيه ود حميم» ! وقد أضاف الأعضاء الخمسة الدائمون فى ذلك الوقت إلى سلسلة قراراتهم السابقة قرارا جديدا بفرض الحصار الجوى على العراق ، بما فى ذلك الطلب إلى الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة إغلاق فضائها الجوى أمام الطيران العراقى من أى نوع ولأى سبب» .

وهذا يدل على أن المنظور العراقى لحرب الخليج لم يسمح للأستاذ هيكل بأن يعرف هذه الحقيقة البسيطة ، التى كان من السهل عليه رؤيتها بسهولة لو كان يرى الأمور بالمنظور المصرى ، أو حتى بالمنظور الذى كان يراها به العالم أجمع ! وهى أن الجريمة التى ارتكبها النظام العراقى ، بتسوية مشاكل الحدود بينه وبين جارته العربية الكويت عن طريق الاحتكام إلى السلاح وغزو الكويت ، قد أغضبت

العالم كله ، شرقه وغربه ، وشماله وجنوبه ، ولم تترك له من معين سوى حفنة الدول العربية التى اشترى صدام حكامها !

فهو لايرى فى وقوف الدول إلى جانب ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى إلا مظهرا من مظاهر التبعية للولايات المتحدة والخضوع لإرادتها !

بل انه حتى يتناسى أن تاريخ الأمم المتحدة لم يشهد قضية مثل احتلال العراق للكويت ، فهو يعجب ـ باسم النظام العراقى ـ لأن الآراء لم تتوزع فى مجلس الأمن بما لايسمح بصدور قرارات حاسمة ! مع أن عدم صدور مثل هذه القرارات الحاسمة هو الذى يستوجب العجب ؟ !

(٩)

تاريخ حرب الخليج على الطريقة البعثية!

تاريخ حرب الخليج
على الطريقة البعثية! *

في مقالنا السابق استشهدنا بصدام حسين عندما دعا المؤرخين والباحثين في عام ١٩٧٧ إلى قراءة التاريخ قراءة بعثية ، وفهمه فهما بعثيا ، بحيث تأخذ الكتابة ذات الخصوصية التي أخذت بها نظرية حزب البعث العربي الاشتراكي . وقلنا إن الأستاذ محمد حسنين هيكل لم يفعل في كتابه حرب الخليج أكثر من أنه قرأ وفهم وكتب حرب الخليج من منظور بعثي عراقي .

وضربنا أمثلة عديدة لهذه الرؤية البعثية التي نأت كثيرا عن الرؤية المصرية ، وأبعدت هيكل عن الحقيقة التاريخية بعدا تاما . ونواصل في هذا المقال كشف هذه الرؤية البعثية لحرب الخليج في كتاب هيكل.

---

* أكتوبر ـ ٧ يونيو ١٩٩٢

لقد قدم لنا الأستاذ هيكل عملا اجراميا قام به النظام العراقى ، انتهك فيه القانون الدولى والمواثيق الدولية وحقوق الإنسان ، مثل احتجاز الرعايا الغربيين والأمريكيين ، سواء فى العراق أو فى الكويت ، دون كلمة إدانة واحدة ! وأكثر من ذلك أنه ساقه فى شكل تبريرى ، واعتبره ردا على تصعيد قامت به الولايات المتحدة ! .

كيف ؟ يقول : «أحست بغداد أن رد بوش على رسائلها إليه هو مزيد من التصعيد ، فكان قرارها هو التصعيد فى مواجهة التصعيد ! وتنبهت أن لديها وسيلة أخرى للتصعيد بقصد الضغط سبق أن استعملتها ايران ، وهى احتجاز الرعايا الغربيين والأمريكيين بالذات ، فلم تتردد فى ذلك .

وحين نبحث عن هذا التصعيد الأمريكى الذى اتخذته بغداد ذريعة لاحتجاز الرعايا الغربيين ، لانرى أكثر من تمسك الولايات المتحدة بتنفيذ النظام العراقى قرارات مجلس الأمن ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ التى تطالب العراق بأن يسحب فورا وبلا شروط جميع قواته إلى المواقع التى كانت عليها فى أول أغسطس ١٩٩٠ ، وتؤكد على الحق الطبيعى فى الدفاع عن النفس فرديا أو جماعيا ردا على الهجوم المسلح الذى قام به العراق ضد الكويت ، وفرض الحصار الاقتصادى على العراق إذا لم يسحب قواته ، ثم استجابة الولايات

المتحدة لطلب السعودية وضع حجم من القوات كاف لمنع تعرضها لعمل عسكرى يقوم به العراق ضدها .

والغريب أن الأستاذ هيكل فى الوقت الذى اعتبر فيه ذلك الاجراءات الأمريكية لردع العدوان العراقى تصعيدا يبرر مواجهته من جانب النظام العراقى بحجز الرعايا الغربيين ، اعتبر القرارات العراقية بضم الكويت وربط القضايا العربية بقضية الانسحاب من الكويت ، تحولا فى التفكير العراقى نحو السلام ! وتحضيرا لموقف تفاوضى يريد تفادى نشوب الحرب ! وهو ما عالجناه فى مقال سابق .

فأين الحقائق والأوهام فى كتاب الأستاذ هيكل ؟

ثم يتحدث هيكل عن ندم القيادة العراقية لإطلاق سراح الرهائن ، ويشرح كيف ترددت فى مجلس قيادة الثورة فى بغداد تساؤلات : هل كان اطلاق سراح الرهائن خدعة استدرج إليها العراق لكى يحرم من عنصر أمن إضافى لأهدافه ، وهو وجود رهائن أجانب فى مواقع هذه الأهداف ؟ وإذا كان ذلك هو الحال ، فما هو الدور الفرنسى بالضبط ؟ وهل كان الرئيس ميتران بريئا أو أنه كان جزءا من عملية الخداع ؟ ووصل الشك إلى حد تساؤل أحد أعضاء المجلس عن الدور الذى لعبه الملك حسين ؟ وانبرى صدام حسين للدفاع عن الملك قائلا : إنه يظن أن الملك كان ضحية للخداع مثلما كان العراقيون !

وهكذا فالإفراج عن الرهائن الغربيين يسوقه هيكل فى هذا الكتاب على أنه خدعة تعرض لها العراقيون ، تشير فيها أصابع الاتهام إلى الرئيس الفرنسى تارة وإلى الملك الأردنى تارة أخرى ! وليس للأستاذ هيكل رؤية خاصة فى هذه القضية ، فهو يضع قدميه فى الحذاء العراقى ، ولا يستطيع أن يرى إلا ما يراه البعث العراقى !

ولأن القراءة قراءة بعثية ، فالأستاذ هيكل يتصور وجود عناصر محلية فى الكويت تؤيد الاحتلال العراقى ! فينسب إلى الجنرال شوارتزكوف ، فى أسباب طلبه قوات عربية لاحتلال مدينة الكويت وتطهيرها عندما يجىء الوقت المناسب، أنه لم يكن يريد قوات غربية تقوم بهذه المهمة «لأنها تقتضى احتكاكا ، وربما صداما عن غير قصد ، مع عناصر محلية فى الكويت» !

فالوهم العراقى فى ذلك الحين كان يتصور وجود عناصر كويتية محلية تقف فى صفه ، ويمكن أن تقاوم قوات التحرير ! ولا يوجد أى دليل على أن هذا الوهم لحق بالجنرال شوارتزكوف ، فحتى لو كانت هناك عناصر كويتية قبل الاحتلال العراقى تتحمس للنظام العراقى وترى فيه قوة تحرر وطنى كبرى ، فإن معاملة قوات الاحتلال العراقية للكويتيين ، التى حفلت بالاعتداء والنهب والسلب ، قد اقتلعت

من أكثرهم تحمسا للعراق كل وهم قومى خالجهم فى يوم من الأيام !

وفى اطار هذا المنظور العراقى لحرب الخليج ، فإن حدثا جللا مثل استجابة صدام حسين لكل طلبات ايران التى خاض غمار الحرب ضدها ثمانى سنوات ، وهى الاستجابة التى سلبت من هذه الحرب كل ذرائعها ومبرراتها ، وأهدرت تضحيات الشعب العراقى المالية والبشرية والاقتصادية ــ لا تستحق من الأستاذ هيكل أى تعليق أو استنكار ، بل يقدمها من خلال المنظور العراقى فى شكل حرص من العراق على ايجاد باب مفتوح ! فيقول :

«ولقد وصل حرص بغداد على البحث عن باب مفتوح إلى حد أنها طرقت الباب الايرانى ، برغم كل ما جرى بين البلدين فى عقد الثمانينات كله . وأعلن الرئيس صدام حسين استجابته ــ من طرف واحد ــ لكل طلبات ايران ، كما بعث إلى طهران برسل على مستوى عال ، بينهم السيد طارق عزيز» !

ومن المعروف أن هذه الاستجابة من طرف واحد لطلبات ايران ، قد أثارت فى حينها ردود فعل حزينة فى العالم

العربى ، الذى رأى أن السياسة العراقية الحمقاء تُضيع ثمار حرب استمرت ثمانى سنوات ، أسهمت الأمة العربية بنصيب أوفى فى نفقاتها ، فى الوقت الذى كان معروفا أن العراق لن يستطيع الاحتفاظ بالكويت فى وجه قوات التحالف الدولية !

ومعنى ذلك أن النظام العراقى قد أهدر طاقات العراق فى مغامرات فاشلة لم يترتب عليها سوى الخراب والدمار . ولكن الأستاذ هيكل يصور هذه الجريمة التى ارتكبها صدام حسين على أنها «حرص على البحث عن باب مفتوح» !

وفى الوقت نفسه يسوق هيكل الحوادث فى شكل متعاطف مع الاحتلال العراقى للكويت ، ومبررا تعنته فى مواجهة العالم .

فالكويت يقدمها على أنها كانت امتدادا لولاية البصرة ولكنها كانت تحت إدارة أسرة الصباح ! والانجليز هم الذين وضعوا خطا فاصلا بين العراق والكويت ! والملك فيصل ، وبعده ابنه الملك غازى ، لم يقبلا خط الحدود الذى وضعته السلطات البريطانية . والصحف العراقية طلبت من الحكومة فى أيام نورى السعيد تسليح الجيش العراقى ليقوم بعد ذلك بضم الكويت ! والملك غازى لقى مصرعه بسبب مشكلة الكويت (ص ٢٦٦ و ٢٧٣ و ٢٧٤) .

والكويت ـ كما يقدمها ـ هى سبب النزاع بسبب انتاجها الزائد عن حصتها فى اتفاقيات الأوبك . فهذا الانتاج الزائد ترتب عليه أن الأسعار الحقيقية للبترول أصبحت قبل الغزو تقل عما كانت عليه قبل سنة ١٩٧٢ . والعراق خرج من الحرب مع ايران ولديه خطة لتعويض ما فاته أو ما خسره ، ولكن الكويت أفسدت هذه الخطة !

فعلى حد قوله : لقد بدأ العراق الحرب مع ايران باحتياطى يصل إلى ٣٦ بليون دولار ، وحصل على قروض ومساعدات من السعودية ودول الخليج زادت على عشرين بليون دولار ، واستدان فوق ذلك كله للخارج بقرابة أربعين بليون دولار أخرى ، وكان تقديره أنه «يحمى البوابة الشرقية للأمة العربية» (هكذا!) . ولكن السياسة الكويتية كانت «سياسة أنانية تتبعها دولة بالغة الغنى لاتعنيها مصالح الآخرين حتى وان كانوا عربا مثلها» !

فلم تكن الكويت ، كمستثمر فى السوق الصناعية العالمية ـ كما يقول ـ قلقة من بترول رخيص ، على العكس من العراق الذى كانت أسبابه للقلق ــ باعتباره مصدرًا مباشرا للبترول الخام ـ حادة .

وينقل هيكل عن بغداد (فى ص ٢٥٩) قولها : «إنهم فى الكويت نسوا أننا حاربنا ثمانى سنوات دفاعا عن الخليج» !

وينسى هيكل ، فى اطار نظرته البعثية العراقية لحرب الخليج ، أن النظام العراقى فى هذا الادعاء إنما يمارس أكبر عملية نصب وتضليل للرأى العام العربى ! بدليل استجابته أثناء أزمة الخليج لكل طلبات ايران التى حاربها من أجلها - وهو ما يوضح أكثر من أى شىء أنه انما كان يحارب من أجل نفسه وليس دفاعا عن الخليج ! وبدليل آخر هو انه لم يلبث أن أدار مدافعه من ايران ليصوبها إلى دول الخليج التى يزعم أنه كان يحارب دفاعا عنها !

والنظام العراقى يصوره هيكل فى كتابه فى صورة من كان يريد الانسحاب من الكويت بسلام منذ البداية ، لولا خيانة أصحابه ! ويقصد بذلك مصر !

فلقد رأينا فيما سبق كيف حمل مصر المسئولية عن سحب صدام وعده المزعوم للملك حسين بالانسحاب فى اليوم التالى للغزو ، بحجة اصدار مصر بيانها المنفرد بإدانة العراق ! على أنه لم يلبث أن عاد ليقدم سببا آخر ، هو موافقة مصر على عبور حاملة الطائرات الأمريكية النووية «أيزنهاور» قناة السويس !

ويروى هيكل قصة هذه الحجة الجديدة (فى النسخة الانجليزية من كتابه (ص ٢٢٤) ، فيذكر أنه بعد أن أعلنت

بغداد نيتها على الانسحاب ، وبعد أن نشرت صورا تشير فيما يفترض إلى انسحاب لواء عراقى ، أخذت فى تشكيل ما أسمته «حكومة ثورية» عينت أعضاءها يوم ٨ أغسطس ، وعلى رأسها ضابط جيش يدعى العقيد علاء حسين على . وقد جادلت بأن هذه التحركات توضح اخلاصها فى نية الانسحاب الكامل ، ولكنها لم تستطع المضى فى هذه الخطة كما كان مقدرا لها بسبب ما تلا ذلك من حوادث !

ذلك أنه حين سمع صدام بقرار القاهرة السماح لحاملة الطائرات ايزنهاور بالمرور فى قناة السويس ، دعا إلى عقد اجتماع للقيادة العليا ، التى توصلت إلى أن الهجوم الأمريكى على الكويت أصبح لا مفر منه ، وأحس العراقيون بأنهم لن يستطيعوا الانسحاب وترك الحكومة التى فرغوا من تأليفها فى موقف مستحيل ، ولذلك كان عليهم البقاء فى الكويت ومواجهة الأمريكيين !

وذرا للرماد فى العيون يصف هيكل هذه الطريقة التى يفكر بها العراقيون بأنها «خداع للنفس لم يكن أحد خارج العراق مستعدا لتصديقها» ! ولكنه ـ من الناحية التاريخية ـ أثبت مسئولية مصر عن توقف خطة انسحاب العراق من الكويت ، لأن هذا ما ارتأته القيادة العراقية ، سواء أخطأت فى ذلك أو أصابت !

ومن واقع هذه الرؤية البعثية ، لم ير الأستاذ هيكل على الاطلاق ، فى طول كتابه وعرضه ، الباب العريض الوحيد لحل أزمة الخليج ، وهو انسحاب العراق من الكويت ، وعودة حكومتها الشرعية !

فهو يتحدث عن كيف كانت بغداد تتابع ما يجرى حولها وهى تحس بأن أبواب الحل تنغلق بابا بعد باب :

الباب العربى أصبح مغلقا بالكامل ، فالدول الرئيسية فى العالم العربى اتخذت موقفها مبكرا ، ولم تكن معه ولا كانت من وجهة نظره محايدة ، فالقمة العربية ، على النحو الذى انتهت إليه ، أقامت بين العرب وبعضهم حواجز عالية .

وباب الأمم المتحدة مغلق بسبب سيطرة الولايات المتحدة بالكامل على أجواء الأمم المتحدة .

والباب السوفييتى مغلق ، فإن لهجة شيفر نادرزة كانت باردة كالصقيع ، ولم يرد أن يسمع أو يناقش إلا قضية واحدة هى قضية الانسحاب بلا شروط .

والباب الألمانى اليابانى مغلق ، لأنهما قدرتا أن مفاتيح البترول لسنوات متصلة سوف تكون فى يد الولايات المتحدة أو فى متناولها .

والباب الفرنسي موارب ، ولكن فرنسا ليست على استعداد لأن تقدم ضمانا لما بعد الانسحاب .

والباب الأمريكى كان ينغلق درجة بعد درجة !

إلى آخر هذه التحليلات التى لا يقدم لنا الأستاذ هيكل مصدرا لها ـ مطبوعا كان أو شفهيا ـ لأنه لايوجد من مصدر غير تحليله الشخصى الذى ينطلق فيه من رؤية بعثية عراقية خالصة ، وهى رؤية لا ترى أبدا الباب الوحيد للخروج، وهو باب الانسحاب غير المشروط من الكويت !

ومن خلال هذه الرؤية البعثية أيضا ، يقدم هيكل النظام العراقى فى صورة من حاول تقديم حلول للأزمة ولكنها كانت تُرفض باستمرار من قبل الولايات المتحدة ! ففى لقاء طارق عزيز مع بيكر يقول له : إن العراق حاول بكل وسيلة أن يفتح الطريق إلى حل ، ولكن الولايات المتحدة كرست جهدها لاغلاق كل باب يفتحه العراق ! ـ ولا يقدم لنا هيكل أى مشروع قدمه النظام العراقى للحل يبرر هذا القول !

وفى لقاء صدام حسين مع بيريز دى كويلار يروى هيكل كيف ذكر الرئيس العراقى أن العراق «قدم مبادرات كثيرة لحل الأزمة ، وكان على استعداد لقبول مبادرات كثيرة من

غيره ، ولكن الرئيس الأمريكي كان يرفض كل واحدة منها بعد ساعة من صدورها » ! (ص ٥٣٦) .

وهذا كذب من الرئيس العراقي ! فقد أورد الأستاذ هيكل قصة مبادرة متواضعة اقترحها كل من الملك الحسن والملك حسين والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ، تطلب من النظام العراقي الاجابة عن سؤال يقول : ما هي طلبات العراق المحددة والمعقولة والمقبولة من دولة الكويت ، سواء بالنسبة إلى حدوده معها ، أو حاجته إلى ممر حر للمياه العميقة في الخليج ، أو بالنسبة للديون والتعويضات المالية عن حقل الرميلة ، أو غير ذلك إن وجد ؟

على أن مجلس قيادة الثورة ـ كما يقول ـ كان قد توصل إلى قناعات مؤداها أن الحل العربي للأزمة لم يعد مطروحا ، وأن الطرف الآخر في المواجهة أمام العراق قد أصبح الولايات المتحدة ، ولم يعد هناك أمل للعراق غير حركة الجماهير العربية» ! (ص ٤٧١ ـ ٤٧٢) .

كما يروي هيكل مبادرة أخرى أدلى بها أبو إياد في تصريح في أوائل سبتمبر يقول فيه : إنه يعرف أن العراق اتخذ قرارا بالانسحاب بشروط (نعم بشروط !) ولكنه يذكر أنه بسبب هذا التصريح من جانب أبي إياد حدثت مشكلة

بينه وبين صدام حسين ، الذى علق على هذا القول بأن «أحداً لم يعد فى حل من أن ينقل عن العراق هذا أو ذاك ! ونحن لا نمانع فى أن يرى أصحابنا أن انسحابنا ضرورى ، وأن يدعوننا إليه ، ولكننا نمانع فى نسبة هذا إلينا ، لأنه يضعف موقفنا بغير مقابل ، وبدون أن نرى بادرة استعداد من الطرف الآخر» !

وقد أورد هيكل بعد ذلك مقابلة الملك حسين مع صدام ، التى استدعى فيها إليه مساعد أركان حرب الجيش العراقى، وسأله عن رأى القوات العسكرية العراقية لو أعلن الانسحاب من الكويت ، وكان الرد هو الرفض المطلق ! وعلق صدام على ذلك بقوله للملك حسين : «انهم الآن يريدون ما هو أكثر من الكويت» ! (وقد أشرنا إلى هذه المقابلة فى مقال سابق) .

ولكن هيكل يناقض نفسه ، ويبرر موقف النظام العراقى بأنه كان يقبل الانسحاب من الكويت ، ولكنه كان فقط يريد ضمانات !

ففى حديث صدام حسين مع بريماكوف المندوب السوفيتى يقول له: «لنفرض أننى قلت هذه الكلمة السحرية (الانسحاب) ما الذى يمكن أن تعطوه للعراق من ضمانات للعراق ولأمنه ، وللنظام ولأمنه ؟ ولتسوية إقليمية لقضايا المنطقة ، وبالذات للفلسطينيين فى الأرض المحتلة ؟

وفى حديث آخر بين صدام وبريماكوف يرد عليه صدام بقوله : «إن أى انسحاب دون ضمانات سوف يكون انتحارا(!) فالانسحاب العراقى من الكويت يجب أن يتزامن مع انسحاب القوات الأمريكية من السعودية ، ومع رفع الحصار عن العراق ، ومع اتفاق على مخرج يصل العراق بالبحر» !

وفى كل ذلك لايتدخل الأستاذ هيكل بأى تعليق أو نقد أو تصحيح أو مناقشة ! وحتى فى قصة مرور حاملة الطائرات النووية ايزنهاور ، التى يصف تفكير القيادة العراقية فيها بأنه لا يقنع أحدا ، فإنه يحرص على اثباتها فى الطبعة الانجليزية ، لمجرد اثبات وجهة النظر العراقية !

فمهمة هيكل الأساسية فى الكتاب هى شرح وجهة النظر العراقية ، وسوق الأحداث من المنظور العراقى ، تاركا للقارىء أن يتأثر أو لا يتأثر بها كما يشاء ، وأن يصدق أو لا يصدق منها ما يشاء ، وأن يتعاطف أو لا يتعاطف مع النظام العراقى كما يشاء ! ولكنك لاتقرأ له كلمة إدانة واحدة للنظام العراقى ، أو للجريمة التى ارتكبها بغزوه للكويت ، أو لتعنته وموقفه الانتحارى ، مكتفيا ـ فيما يبدو ـ بأن كلمة الإدانة هذه قد سبق أن قالها العالم أجمع !

(١٠)

عندما رفض صدام مقابلة بيكر وقابل كلاى!

عندما رفض صدام مقابلة بيكر وقابل كلاى ! *

فى معظم ما عالجه الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل من موضوعات فى كتبه فى الماضى ، كان يتناول قضايا تاريخية فقدت تأثيرها على الحاضر لحد كبير ، ولم يكن الخلاف معه حولها يمثل أهمية ملحة ، وبالتالى كان يمكن تأجيل الحوار إلى أن يأتى حينه . ولكن الأمر يختلف بالنسبة لكتاب الأستاذ هيكل الأخير حول حرب الخليج ، ففيه يتناول الحاضر ، بل يوغل فى الحاضر ! ومن خلاله يستطيع أن يغير مفاهيم ، ويؤثر على الرأى العام بالحق أو بالباطل ، ويكون اتجاهات جديدة .

وحتى أوضح ما أقول ، فإن ما يحتويه كتاب هيكل عن حرب الخليج يختلف كل الاختلاف عما عرفه شعبنا عن هذه الحرب ، بل يتناقض مع ما عرفه هذا الشعب وساند من أجله قيادته السياسية .

---

* أكتوبر ـ ١٤ يونيو ١٩٩٢

فقد عرفها شعبنا على أنها حرب تحرير عادلة خاضتها قواتنا المسلحة إلى جانب أكبر تحالف عسكرى عالمى عرفه التاريخ ، من أجل تخليص الكويت من براثن جيش احتلال غادر ، دهم شعب الكويت بليل ، وانطلق يعيث فى الأرض فسادا ، وينهب ويسرق وينقل إلى العراق كل ما يصادفه من ثروات ومنقولات ، ويحول شعب الكويت إلى شعب من اللاجئين .

ولكن ما يقدمه الأستاذ الكبير هيكل فى هذا الكتاب هو أكثر اتساقا مع ما عرفه شعب العراق عن هذه الحرب . فهى. كما يقدمها ـ حرب عدوانية شنتها الولايات المتحدة ضد العراق وشعبه ، بسبب استرداد جيش العراق جزءا عزيزا من أرض الوطن كان تابعا للبصرة وفصلته يد الانجليز عن بقية التراب الوطنى ! وفى هذه الحرب العدوانية كان اهتمام الولايات المتحدة بتدمير العراق أكبر من الاهتمام بتحرير الكويت ، حتى إذا ما انتهت الحرب «كانت ميادين القتال (فى العراق) لوحة كبيرة مخيفة من الحريق وبحيرات الدم ، وغابات من العتاد المدمر» ! (٥٦٦) .

والسؤال الآن : أى من هاتين الصورتين تتفق مع الحقيقة التاريخية ؟ وأيهما تتفق مع الأوهام ؟ لقد اختفت تماما من كتاب الأستاذ هيكل كل الفظائع والمنكرات التى ارتكبها الجيش العراقى فى الكويت ، والتى لم يكن لها أى

مبرر تجاه شعب شقيق سانده فى حربه مع ايران منذ اللحظة الأولى ، وكان يصدر لحسابه يوميا ١٢٥ ألف برميل وفاء لالتزامات متعاقد عليها فى الأسواق ، فضلا عن ٥ مليارات دولار قدمها له بعد أسابيع قليلة من الحرب كقرض لمساعدته على أغراض الحرب ، ولم يسدد العراق من هذا القرض فلسا واحدا !

كل الفظائع والمنكرات التى ارتكبها الجيش العراقى فى الكويت ، والتى اختتمها بجريمة منكرة تتمثل فى إشعال النيران فى أكثر من ٦٣٠ بئرا من آبار البترول ، لا تجد لها أى مكان فى كتاب الأستاذ هيكل عن حرب الخليج ! كأنها تنتمى لحرب البوير Boer Wars أو لحروب الوردتين فى انجلترا ، ولا تنتمى للحرب التى يعالجها فى كتاب تبلغ صفحاته ٦٣٥ صفحة !

أما الصورة التى يرسمها للولايات المتحدة ولرئيسها بوش ، كدولة تبحث عن عدو ، ورئيس يبحث عن حرب عادلة، فإنه لايملك من التدليل عليها غير الرؤية البعثية العراقية التى توصلت ـ منذ وقت مبكر من الأزمة كما يقول ـ إلى أن الطرف الآخر فى المواجهة قد أصبح الولايات المتحدة بكل ما تريده وتطلبه من العراق ! ـوهو ما أورده فى كتابه ، ولكنه لم

يستطع أن يدلل عليه من مواقف الولايات المتحدة أو من مواقف الرئيس الأمريكى بوش !

بل إن ما أورده هيكل من مواقف الولايات المتحدة ورئيسها يثبت العكس ، وهو أن الولايات المتحدة كانت تخشى من الحرب ، وكان الرئيس بوش يلتمس كل الوسائل لاقناع صدام حسين بالانصياع لقرارات مجلس الأمن ، وأن الولايات المتحدة قدمت عدة مبادرات لتفادى نشوب الحرب ، ولكن صدام قابلها بالرفض !

ويسوق هيكل ذلك بطريقته الخاصة ! ففى حديثه عن المبادرة التى قامت بها الولايات المتحدة بعد قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ فى ليلة ٣٠ نوفمبر ، الذى أعطى العراق ستة أسابيع كمهلة يقوم فيها بتنفيذ مجمل قرارات مجلس الأمن ، أو يتعرض للهجوم العسكرى ، قدم هيكل هذه المبادرة فى شكل استفزازى ! فلم يروها على لسان الرئيس بوش ، وانما رواها على نحو فريد ، من خلال حفل عشاء فى بيت المندوب الفرنسى الدائم لدى الأمم المتحدة السفير «بيير لوى بلان» حضره وزير خارجية فرنسا «روان دوما» ! وقد ساقها على النحو الآتى :

«بينما كان الجميع ما زالوا حول المائدة بعد انتهاء العشاء ، دخل المستشار الصحفى للوفد الفرنسى الدائم لدى الأمم المتحدة ، يحمل ورقة ذهب بها إلى السفير الفرنسى بيير لوى بلان ، الذى قرأها ثم ناولها عبر المائدة إلى وزير خارجيته . وقرأها الوزير الفرنسى ، واحتقن وجهه، وعلا صوته قائلا : «إن هذا تخريب» ! ثم بدأ يحكى لبقية المدعوين حول مائدة العشاء أن الرئيس «بوش» أعلن على التو مبادرة أمريكية ، تقترح أن يقوم وزير خارجية العراق ، طارق عزيز ، بزيارة واشنطن والاجتماع به ، ثم يقوم وزير خارجيته جيمس بيكر بزيارة بغداد للاجتماع بالرئيس صدام حسين . وأن الهدف من ذلك ـ طبقا لما قاله بوش فى مؤتمره الصحفى الذى عقده قبل دقائق ـ هو المشى ميلا اضافيا آخر من أجل تحقيق السلام» .

«وكان تعليق وزير الخارجية الفرنسى ان هذه مناورة يقصد بها الرئيس الأمريكى أن يواصل احتكار إدارة الأزمة، وأن يصد آخرين عن التقدم لبذل جهودهم ! ثم علق دوما بعد ذلك قائلا : «لايمكن أن يكون جادا» ! وكررها مرتين ! وكان يقصد الرئيس الأمريكى جورج بوش» ! (ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤) .

هذا ما أورده الأستاذ هيكل عن مبادرة سلام قدمها الرئيس الأمريكى ، الذى وصفه بأنه يسعى إلى حرب عادلة

يحفر بها اسمه في تاريخ بلده ، ! فقد صورها على أنها مبادرة «تخريب»، وأن الرئيس الأمريكي «لايمكن أن يكون جادا» عندما قدمها !

فهل هذا معقول ؟ وهل هذا أسلوب في الكتابة يكتبه كاتب كبير تحت ستار أنه مستقل» ؟ وإذا كان هذا هو رأي الوزير الفرنسي في بداية الأزمة ، قبل أن يتضح له ما إذا كان الرئيس الأمريكي جادا في مبادرته أو أنه كان غير جاد، فما معنى أن يختار الأستاذ هيكل هذا النص ليقوِّم به مبادرة الرئيس الأمريكي ، بعد أن انتهت الأزمة والحرب ، وبعد أن ثبت أن الرئيس الأمريكي كان جادا بالفعل ، ولم يكن يقوم بمناورة للخداع والتضليل ، بل بعد أن تمت المقابلة بالفعل بين طارق عزيز ووزير الخارجية الأمريكي بيكر ؟

إن تفسير ما فعله هيكل يكمن في مفهومه للمبادرة ، الذي يتفق كل الاتفاق مع مفهوم القيادة العراقية ، التي كانت تشك في كل مبادرة لا تتيح للنظام العراقي الاستفادة من غزوه للكويت في تحقيق مكاسب كانت قرارات مجلس الأمن تمنعه من تحقيقها ، فلما جاءت المبادرة في إطار قرارات مجلس الأمن ، قدمها هيكل بشكل «تخريب» وتشكيك في جدية الرئيس الأمريكي ، واستفاد من النص ــ الذي فقد

مدلوله بحكم تطور الأحداث ـ ليضع هذه الشكوك على لسان وزير الخارجية الفرنسى !

وكان واجبا على الأستاذ هيكل أن يبتعد كل البعد عن هذا النص ، فإن الموقف الفرنسى لم يختلف كثيرا بعد ذلك عن الموقف الأمريكى فى ضرورة تنفيذ قرارات مجلس الأمن بالكامل كشرط لعدم التدخل العسكرى .

ولم يكن هيكل يجهل هذا التطور ، بل إنه تعرض له فى كتابه، حيث ذكر أن المصالح المالية الفرنسية تحالفت مع المصالح العسكرية فى تغيير الموقف الذى اتخذته فرنسا منذ بداية الأزمة ، وأن الدبلوماسية الفرنسية بدأت تقتنع بحتمية الحرب ، وبأن الذين يحق لهم الجلوس إلى موائد التسوية فى الشرق الأوسط هم بالضبط الذين يفتحون الطريق إليها فى ميدان المعركة ، وأن الذين سيجلسون على مائدة تسوية أمور المنطقة هم المحاربون وليسوا المتفرجون ، وأن الخليج فى السنوات القادمة سوف يدخل فى جيب واشنطن ، ولا بد لفرنسا أن تظل قادرة على الوصول إلى شىء منه (ص ٥١٤ ـ ٥١٥) .

وإذا كان الأستاذ هيكل يعرف جيدا أن الموقف الفرنسى قد تغير ، فما معنى أن يصور لنا مبادرة الرئيس الأمريكى بوش من منظور فرنسى قديم تغير ولم يعد له وجود !

السبب هو أنه إذا كان الموقف الفرنسى قد تغير فى نظرته إلى مبادرة بوش ، فإن نظرة الموقف العراقى لم تتغير ! وهيكل ـ للأمانة ـ لايتبع الموقف الفرنسى وانما يتبع الموقف العراقى ! وهذا الموقف العراقى يرى فى المبادرة الأمريكية تخريبا ، ولا يعتبر الرئيس الأمريكى جادا فى مبادرته ، لأن المبادرة الجادة الوحيدة فى نظره هى المبادرة التى تتخطى قرارات مجلس الأمن ، وتسمح للنظام العراقى بالاحتفاظ بثمرة غزوه للكويت !

وهذا الكلام ليس من عندى وانما هو من عند الأستاذ هيكل ، ومن خلال رؤيته البعثية . فقد تجاهل تماما التعليق على الطريقة الاستفزازية التى استقبل بها صدام حسين المبادرة الأمريكية ، حين أظهر من العجرفة ما جعله يعتذر عن مقابلة وزير الخارجية الأمريكية بيكر مدة ١٧ يوما ثمينة ، فى وقت كانت تتأرجح فيه المنطقة بين الحرب والسلام ، وفى وقت كان موقفنا فيه بأن الولايات المتحدة تتحرش به ، ووجد من الوقت ما يستقبل فيه محمد على كلاى ، وساسة آخرين سابقين لم يعودوا فى موقع التأثير على الأحداث أو الحرب القادمة .

نعم تجاهل الأستاذ هيكل التعليق على هذا الموقف الخطير من النظام العراقى ، الذى يصور جيدا استهانة هذا

النظام بقضية الحرب والسلام ، ورفضه لأي مبادرة لاتحقق له أهدافه من غزو الكويت ، وأخذ يصور لنا لقاء بيكر وطارق عزيز الشهير فى فندق الانتركونتننتال بجنيف يوم ٩ يناير ١٩٩١، فى شكل محاولة ارهاب وتخويف من جانب وزير الخارجية الأمريكية بيكر للنظام العراقى ، قابلها طارق عزيز بصلابة ، وتحدى فيها الخطر ! وقلب هيكل بذلك الآية رأسا على عقب ، فوضع بيكر فى وضع المعتدى ، والنظام العراقى فى وضع المعتدى عليه !

فوفقا لما أورده (ص ٥١٥ ــ ٥٢٧) فإن بيكر قدَّم إلى طارق عزيز مظروفا لكى يسلمه إلى صدام حسين ، طلب إليه قراءته ، وفيه يقول بوش لصدام :

«اننا نقف اليوم على حافة حرب بين العراق وبقية العالم، وهذه الحرب بدأت بقيامكم بغزو الكويت ، وهى حرب يمكن أن تنتهى ـ فقط ـ بانسحاب عراقى كامل ، وغير مشروط ، وفق قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ . وأنا أكتب الآن مباشرة لك لأننى حريص على ألا تضيع هذه الفرصة لتجنيب شعب العراق مصاعب معينة .. وهذه ليست سياسة الولايات المتحدة وحدها ، وإنما هى موقف المجتمع الدولى كما يعبر عنه مالا يقل عن ١٢ قرارا صادرا عن مجلس الأمن .. وهذا

كله كاف ليؤكد لك أن القضية ليست العراق ضد الولايات المتحدة ، ولكنها العراق ضد العالم» .

ثم يستطرد بوش فيقول : «إن العراق بدأ فعلا يشعر بآثار العقبات التى قررتها الأمم المتحدة ، وإذا جاءت الحرب بعد العقوبات ، فستكون تلك مأساة أكبر لك ولشعبك ، ودعنى أنبهك إلى أن الولايات المتحدة لن تتسامح مع أى استخدام للأسلحة الكيماوية أو البيولوجية أو أى تدمير للمنشآت البترولية فى الكويت . وفوق ذلك فإنك سوف تعتبر مسئولا مسئولية مباشرة عن أى عمل إرهابى يوجه إلى أى دولة عضو فى التحالف .. إن قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ يحدد فرصة لاختيار حسن النوايا ، تنتهى يوم ١٥ يناير حتى تنتهى هذه الأزمة دون عنف ، واستغلال هذه الفرصة للهدف الذى أتيحت من أجله لتجنب العنف هو خيار فى يدك، وفى يدك وحدك . وانى لآمل أن تزن خياراتك ، وأن تنتقى منها بعقل ، لأن كثيرا سوف يتوقف على ذلك» .

وهنا يصور هيكل رد فعل طارق عزيز فى صورة المعتدى عليه الذى يدافع عن كرامة بلده ! فيقول انه لم يكد يقرأ الرسالة حتى طواها وأعادها إلى المظروف وقال بهدوء : «اننى لاأستطيع أن أقبل هذه الرسالة ، ولا أستطيع أن أنقلها لرئيسى ، لأن اللهجة التى كتبت بها ليست مما يمكن أن

يستعمل فى توجيه خطاب من رئيس دولة إلى رئيس دولة آخر» !

وعندئذ دار حوار أعطى فيه بيكر لطارق عزيز ـ كما يقول هيكل ـ صورة دقيقة لقوات التحالف الموجودة أمام القوات العراقية ، فتحدث عن قوات درع الصحراء ـ أو عاصفة الصحراء ـ وتناول القوات البحرية والجوية والبرية، وأضاف : وإننا نعرف أن لديكم مخزونا كبيرا من الأسلحة الكيماوية ، ونحن ننصحكم ألا تستعملوه فى أى مرحلة ، لأن ذلك سوف يستوجب من ناحيتنا ردا من نفس النوع غير التقليدى .

ويعلق هيكل على ذلك فيقول : إن بيكر عند هذا الحد «أحس ـ فيما يبدو ـ أنه تجاوز الحد فى صورة الهول الأكبر التى رسمها ، فتوقف ليصب لنفسه كوب ماء يشربه» !

وهذا التعليق غريب ! فلا يوجد مصدر تاريخى نقل عنه هيكل ما «أحس» به بيكر من أنه تجاوز الحد فى صورة «الهول الأكبر» الذى رسمه ! ولا توجد وثيقة تتحدث عن إحساس بيكر الذى خالجه فى ذلك الحين على هذا النحو ! وإنما هى أوهام الأستاذ هيكل يقحمها فى عرضه للقاء بيكر وطارق عزيز ، ليعطى الايحاء بأن اللقاء كان محاولة إرهاب

وتخويف من دولة كبيرة معتدية لدولة صغيرة معتدى عليها ! وليس محاولة من جانب الولايات المتحدة لتبصير الرئيس العراقى بما ينتظر بلده لو تشبث بغنيمته واستمر فى احتلال للكويت (وهو ما تحقق فعلا !) .

ثم يرفع هيكل طارق عزيز إلى مقام المناضلين الأفذاذ الذين يرفضون الإرهاب والتخويف ، فيقول إنه «سيطر بالكامل على أعصابه» ! وقال لبيكر : ان الصورة التى رسمتها الآن لقوات التحالف ليست جديدة علينا ، وليست فيها مفاجأة بالنسبة لنا ، فنحن نعرفها من قبل ، ونفهم ما الذى تعنيه» !

وهذا الكلام من جانب هيكل عن «سيطرة طارق عزيز على أعصابه» ، هو مثل سابقه عن «احساس» بيكر بتجاوز الحد فى رسم صورة الهول الأكبر ، فهو اجتهاد هيكل الشخصى الذى يسوقه لتصوير حرب الخليج فى صورة اعتداء من الولايات المتحدة على العراق ، وليست حربا لتحرير الكويت من عدوان غاشم شنه النظام العراقى عليها .

وبمعنى آخر أنه لاتوجد وثيقة تقول إن هذا السياسى سيطر على أعصابه أو خانته أعصابه ! ولا يوجد محضر جلسة مباحثات يتحدث عن مشاعر المتحدثين ، وانما يسجل فقط ما قالوه أو فعلوه .

ويعود الأستاذ هيكل فيكرر الموقف عند تناوله وزير الخارجية الأمريكى بيكر ، فيقول إن بيكر «لم يكن لديه مانع من أن تطول الاجتماعات ، حتى يعطى الانطباع للعالم بأنه بذل جهده فى مفاوضات جادة ، ولكن عناد العراق حال دون وصولها إلى نتيجة» ! فهو هنا يرسم أحاسيس بيكر متطوعا، وفقا للصورة التى يراها النظام العراقى ، وليس وفقا للصورة التى يراها الجانب الأمريكى .

ثم يختم روايته للمقابلة الشهيرة برسم طارق عزيز فى صورة من يتحدى أكبر دولة فى العالم ، فينقل عنه قوله لبيكر: «إننا سندافع عن بلادنا بكل قوة ، وإن الشعب العراقى شجاع ، وإن الأمة العربية لن تقبل اخضاع شعبها فى العراق وكسر إرادته ، لأن إرادته جزء من إرادتها» !

فهل هذا معقول ؟ لقد اختفت من كتاب هيكل تماما صورة النظام العراقى المعتدى الذى بطش بجارته الكويت بليل ، وأراد تحويل شعبها إلى شعب من اللاجئين ، ولم يبق سوى صورة النظام العراقى الصامد فى وجه الولايات المتحدة المعتدية ، التى تمارس عليه الإرهاب وتسعى لتخويفه، ولكنه يقاوم ببسالة ، ويعلن بإباء وشمم أنه سوف يدافع عن بلاده ، وأن الأمة العربية لن تقبل اخضاعه وكسر إرادته لأن إرادته جزء من إرادتها !

والسؤال الآن : هل هذه الصورة هى التى عرفها شعبنا المصرى وعرفها المجتمع الدولى لحرب الخليج ؟ أو أنها الصورة نفسها التى عرفها النظام العراقى لهذه الحرب ؟

ولكن هيكل يحاول فى كتابه أن يبيع هذه الصورة للشعب المصرى ، ويسوِّقها فى العالم !

(١١)

هيكل ضد هيكل

هيكل ضد هيكل ! *

ريما كانت أهم نقاط الضعف فى كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج ، هى عجزه عن التدليل على النتائج التى صدر بها كتابه ، بل وتناقض هذه الأدلة مع هذه النتائج !

وهذا أمر يصعب تفسيره إلا فى ضوء قراءته البعثية لحرب الخليج ، وهى قراءة من شأنها أن تقلب الأوضاع بالضرورة، ففى الوقت الذى كان المجتمع الدولى كله يقف ضد النظام العراقى ويدين احتلاله ، كان النظام العراقى يدين المجتمع الدولى كله ويدين تدخله لتحرير الكويت ، ويصور هذا التدخل فى صورة اعتداء على العراق !

ومن هنا جاء تصوير هيكل لهذه الحرب فى صورة حرب بين الولايات المتحدة والعراق ، سعت إليها الولايات المتحدة

* أكتوبر ـ ٢١ يونيو ١٩٩٢

منذ البداية ، بسبب حاجتها إلى عدو جديد وخطر جديد بعد اختفاء الاتحاد السوفيتى ، وحاجة رئيسها بوش إلى حرب جديدة تحفر اسمه فى تاريخ شعبه ! ومحاولته تصوير الرئيس بوش فى صورة الفنان الذى رسم صورة الحرب وكان يضيف إليها بين الفينة والفينة لمسة ضوء هنا أو لمسة ظل هناك ! (ص ٥٣٢) .

على أن الأدلة التى ساقها لدعم هذا التصوير جاءت مناقضة له ومتعارضة مع خطوطه الأساسية . فقد رأينا فى المقال السابق كيف قام الرئيس الأمريكى بمبادرة سلام بعد قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ الذى أعطى العراق مهلة ستة أسابيع لتنفيذ القرارات التى أصدرها ، أو يتعرض للهجوم العسكرى . وكيف أغضبت هذه المبادرة وزير خارجية فرنسا الذى اعتبرها محاولة من الرئيس الأمريكى لاحتكار إدارة الأزمة ! - فلو كان النظام العراقى قد قبل مبادرة بوش وانسحب من الكويت ، لجنب نفسه وبلده ويلات الحرب ، ولكنه رفض المبادرة واعتبرها اعتداء على السيادة العراقية ومحاولة ارهاب وتخويف ! ولهذا ساق هيكل هذه المبادرة على أنها «تخريب» ! واستخدم فى ذلك تعليق وزير الخارجية الفرنسى .

ولم يلبث هيكل أن ساق دليلا آخر ينقض الصورة التى رسمها لبوش . فقد أورد أنه بعد أن حصل بوش على تصديق الكونجرس على تخويله صلاحية تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ (أى شن الحرب) طلب فجأة من السكرتير العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دى كويلار ، أن يصحبه إلى كامب ديفيد ، التى كان متجها إليها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ، لكى يتناول طعام العشاء معه .

وعلى مائدة العشاء ـ كما يقول هيكل ـ «فوجىء دى كويلار ببوش يقول له إنه يريده أن يذهب إلى بغداد ، ولو لساعات ، يقابل فيها صدام حسين» ! .

وحاول دى كويلار أن يعتذر عن المهمة بحجة أن الوقت تأخر ، وأن العراقيين لن يأخذوا مهمته جدا ، وأنه إذا كان لابد أن يذهب فهو يفضل أن يكون ذهابه ممثلا لمجلس الأمن، وهذا يتطلب دعوة المجلس ، وأخيرا لأنه مقيد باجتماع فى أوربا ، ولا بد أن يكون هناك يوم الاثنين ١٤ يناير .

على أن بوش كما يقول هيكل ـ لم يقبل اعتذار دى كويلار ، واعترض على دعوة مجلس الأمن بأن المجلس أصدر قراره بالفعل ، ودعوته مرة أخرى لإصدار تحذير فى اللحظة الأخيرة لايحل شيئا وإنما قد يعطل كل شىء . كذلك

رفض ما عرضه دى كويلار من أن يبعث بممثل شخصى له ، وأصر على أن يذهب دى كويلار شخصيا «ولو ساعة واحدة»! «لأن ذهاب السكرتير العام للأمم المتحدة شخصيا ، وفى الدقيقة الأخيرة ، سوف يجعل العالم كله يحس بـ «دراما» الموقف .

والسؤال الآن : هل كان فى إصرار بوش على ذهاب السكرتير العام للأمم المتحدة فى مهمته السلامية ما يدفع هيكل إلى تصويره فى صورة المتحرق إلى الحرب ضد العراق ؟ . ترى لو أن الرئيس العراقى استجاب فى اللحظة الأخيرة لتدخل السكرتير العام للأمم المتحدة ، وأعلن استجابته لقرارات مجلس الأمن وانسحابه من الكويت ، هل كانت تقوم الحرب ؟ . وهل كانت تبقى ذريعة للرئيس الأمريكى لتنفيذ مخططه المزعوم للعدوان على العراق ؟ .

على أن المذهل أن الأستاذ هيكل يسوق هذا التصرف من الرئيس بوش فى إطار الصورة التى رسمها له وهى صورة المشتاق للحرب ! ويعتبر هذا التصرف بمثابة «لمسة ظل» فى لوحة مسرح عمليات القتال التى كان بوش قد فرغ من رسمها ! .

فهل هذا معقول ؟ ولكن الأكثر غرابة هو أنه فى الوقت الذى يصور فيه هيكل بوش فى صورة الساعى إلى الحرب ،

يصـور صـدام حسين فى صـورة السـاعى إلى السـلام لولا إصـرار الرئيس الأمـريكى بـوش على الحـرب ! بل يصـوره فى صورة محببة ، فعندما يطلب منه بيريز دى كويلار أن «يعطيه شيئا يبنى عليه موقفـا يزيل التوتر ويحرم دعاة الحرب من فـرصـة يظنونـهـا مـواتيـة» ، «يتـذكـر صـدام حـسين تقـاليـد الضيافة العربية (هكذا !) ويسـأل ضيفه : هل تريد أن تشرب فنجـان قـهوة عربى ؟ إننى لا أشـربهـا فى الليل لأنها تمنعنى من النوم !» .

ثم يورد هيكل علـى لسان صـدام حسين قوله لبيريز دى كويلار : إنه كان يخشى مجيئه إلى بغداد «فى هذه الظروف التى نسمع فيها قعقعة السلاح ، فعندما لاتحمل من عندنا ما يرضيهم ، فـإنهم قد يستعملون مـجيئك ذريعـة للحرب»! ثم يزعم (أى صدام) أنه قدم مبادرات كثيرة لحل الأزمة ، ولكن الرئيس الأمريكى «كان يرفض كل واحدة منها بعد ساعة من صدورها» ! وعندمـا يرد عليه بيريز دى كويلار بأن القـرارات التى صدرت ضد العراق انما هى قرارات مجلس الأمن ! يرد عليـه صدام بقوله : «هذه قرارات أمريكية ، ونحن فى عصـر أمـريكى ، والولايات المتـحدة تـحصل علـى مـا تريده هى وليس ما يريده مجلس الأمن !

وأخيرا يـرفض الرئيس العراقى الانسحاب بحجة أنه إذا قـال كلمـة الانسـحـاب فى هـذه اللحظة ، « بينمـا الجيـوش

الأمريكية تواجهنا ، والحرب قد تقع فى ظرف ساعات . فلابد أن يكون فى مقابله شىء عن انسحاب أمريكى» ، وإلا فإنه يكون قد أعطى الأمريكان «فرصة لخلق بلبلة نفسية تمكنهم من الانتصار علينا» !.وحين يسمع بيريز هذا الكلام يشعر بأن مهمته قد فشلت ، فينهض واقفا وهو يقول : «أننى لم آخذ منكم شيئا» ! ويرد صدام حسين قائلا : «لو أنك راجعت حديثنا ، وفكرت فيه ، لوجدت أنك أخذت أشياء كثيرة» !

وهكذا يخرج القارىء بنفس الصورة التى أراد هيكل رسمها منذ البداية ، صورة العراق الذى يسعى لتجنب الحرب ، والذى يقدم مبادرات كثيرة ، ويعطى أشياء كثيرة ، ولكن اصرار الرئيس الأمريكى على الحرب يفسد مساعيه للسلام !

وبطبيعة الحال فإن هيكل لايورد فى كتابه تعليق بيريز دى كويلار على لقائه مع صدام حسين ، عندما عاد إلى باريس واجتمع بوزير خارجية بلجيكا ممثل المجموعة الأوروبية ، فقد قال فى هذا التعليق : «ان هذا الرجل مجنون، إنه مؤمن بأنه سوف يهزم أمريكا ومن معها» ! ثم يقول :إنه لم يلمس فى صدام أية رغبة فى الانسحاب ، ولا أمل من استمرار المحاولات معه .

وقد كان ذلك هو السبب الذى دعا المجموعة الأوروبية ـ التى كانت قد أعلنت عن محاولة أخرى تقوم بها مع صدام بعد عودة السكرتير العام ـ إلى الإعلان فجأة عن إلغاء أية محاولة سلام أخرى .

إصرار صدام حسين على احتلال الكويت ـ اذن ـ هى حقيقة ثابتة ، ومحاولات السلام التى بذلها هى أوهام استوحاها هيكل من صدام ، ويريد أن يبيعها لقرائه !

ولكنه فى خلال ذلك يكشف لنا الدور الأردنى فى توريط العراق فى الحرب وعدم الانسحاب من الكويت ، فيروى أن رئيس وزراء الأردن فى ذلك الحين ، وهو مضر بدران ، راهن بمائة دينار على أن الحرب لن تقوم!

والمهم هو أن الأستاذ هيكل بعد كل ذلك يستبعد تماما هدف تحرير الكويت من حرب الخليج ! فالهدف الوحيد الذى يعترف به هو هدف الرئيس الأمريكى بوش فى حفر اسمه فى تاريخ شعبه ! وفى ذلك يقوم بمغالطة كبرى لصالح النظام العراقى ، إذ ينسى أن النظام العراقى لو كان قد أعلن الانسحاب من الكويت لما قامت هذه الحرب !

على أنه لا يلبث أن يمضى فى مغالطاته فيقول :

«لقد كانت الحرب المسلحة خيارا مطروحا طول الوقت كملجأ أخير لحماية الكنز الأسطورى الذى يمثله البترول العربى .. وكان يقال دائما إن الكنزهو الذى يخلق التهديد الذى يتربص به ، وإن التهديد المتربص هو الذى يصنع القوة التى تواجهه» ! ثم يسوق أكثر من ست صفحات كاملة من كتابه من (ص ٥٤٠ إلى ص ٥٤٦) للتدليل على أن الاستعدادات العسكرية الأمريكية فى المنطقة بدأت منذ اللحظة التى تمكنت بها الولايات المتحدة من امتيازات بترول السعودية ! وأنه «فى الشهور الأولى من سنة ١٩٩٠ ، وحتى قبل أن تبدأ أزمة الخليج فى ٢ أغسطس ، كانت القوات (الأمريكية) تحت احساس مبهم بأن مجال عملها القادم قد يكون فى الشرق الأوسط (!) بل يذكر أن القوات الجوية قامت فى شهر يوليو ١٩٩٠ بتدريب عملى لردع هجوم قامت به احدى دول جنوب غرب آسيا ، وقد سميت هذه الدولة فى التدريبات بأنها العراق !» .

وفى هذا الصدد يخلط هيكل بين حرب الخليج والاستعدادات التى تتخذها دولة عظمى مثل الولايات المتحدة لحماية مصالح حيوية خطيرة لها فى المنطقة تتمثل فى البترول ، إذ لاتوجد أية علاقة بين هذه الحرب وتلك الاستعدادات التى استمرت منذ الحرب العالمية الثانية .

فلم يكن فى علم الولايات المتحدة فى ذلك الحين أن صدام حسين سوف يقوم بغزو الكويت ، وأكثر من ذلك أنه لا أحد كان يتصور أن هذا الدكتاتور العراقى سوف يقبل الزج ببلده في حرب ضد ثلاثين دولة وعلى رأسها الدول الكبرى ! كما أن مسألة الحرب والسلام فى أزمة الخليج لم تكن أبدا فى يد الولايات المتحدة ولا فى يد غيرها من الدول الكبرى ، وإنما كانت فى يد صدام حسين وحده ! فإذا أعلن الانسحاب من الكويت وعمل على تنفيذه ، أخمد فكرة الحرب في الحال.

وهذا بالذات ما سعى إليه بيريز دى كويلار فى لقائه السالف الذكر مع صدام حسين ، فقد رجاه أن «يعطيه شيئا يبنى عليه موقفا يحرم دعاة الحرب من فرصة يظنونها مواتية» ــ ولكن صدام حسين رفض إعطاءه كلمة الانسحاب!

ومعنى ذلك فى وضوح أن حرب الخليج هى مسألة عراقية بحتة ، وليست مسألة أمريكية بحتة كما يحاول أن يصورها هيكل .

وبطبيعة الحال فإن إصرار هيكل على هذا التصوير لحرب الخليج أوقعه فى أخطاء قاتلة ، أولها اغفال الدور العربى فى حرب الخليج والتهوين من شأنه إلى حد مهين !

فهو يتحدث عن هذا الدور بوصفه : «الجزء العربى من تركيبة التحالف» التى شكلها الرئيس الأمريكى بوش ! (أنظر صفحة ٥٣٠) وهو ينقل على لسان طارق عزيز ما يشير إلى أن القوات العربية فى قوات التحالف انما هى قوات عميلة للولايات المتحدة ، وليست قوات تحرير للكويت !

ففى لقاء طارق ببيكر فى جنيف ، الذى أشرنا إليه ، يوم ٩ يناير ١٩٩١ ، حين يقول له بيكر : «إنى أريد أن تعرفوا أن أمامكم تحالفا دوليا وعربيا قويا فى مواجهتكم» ، يقاطعه طارق عزيز قائلا : «اننى أفضل أن تحصر كلامك فى التحالف الدولى ! أما الأطراف العربية المشتركة فيه ، فأنت تعرف كيف جئتم بها إلى صفوفه» !

وهنا يرد عليه بيكر بضرورة أن يصحح معلوماته فى هذه النقطة . «فأنتم الذين كنتم تقولون عنهم إنهم اخوة لكم». ويرد طارق عزيز قائلا : «إننا نعرف من هم أخوتنا! » .

ويرد عليه بيكر بقوله : «إنكم قمتم باحتلال أرض واحد من هؤلاء الأخوة ، وخدعتم أخا ثانيا (يقصد الرئيس مبارك)، وتسببتم بذلك فى صراع كبير، وإن مستقبل العراق ـ إذا حدث ما نخشاه ولم تمتثلوا لقرارات مجلس الأمن ـ لن يكون فى يد الحكومة التى تمثلها »

ويرد عليه طارق عزيز بقوله : «إن أصدقاءكم فى العالم العربى ممن تعاونوا معكم ضد العراق هم الذين لامستقبل لهم ! فشعوبهم سوف تتصدى لهم» !

ويرد بيكر : ألم تكذبوا على مبارك ؟

وهنا يكذب طارق عزيز ، فيزعم أن صدام حسين فى لقائه بالرئيس مبارك فى بغداد يوم ٢٤ يوليو انما تعهد بعدم استعمال القوة حتى تبدأ المفاوضات بين ولى العهد الكويتى ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى وتظهر النتيجة ، وأنه قال لمبارك : «إن كل واحد بعدها سوف يدافع عن حقه».

ويضيف : إنه فى كل الأحوال لم يكن الرئيس مبارك مكلفا بأن ينقل رسائل من الرئيس صدام حسين إلى أحد ! وإنه إذا أراد أن ينقل فقد كان عليه أن يستوثق» !

ويؤثر هيكل فى هذه القضية أن يقف موقف الحياد بين الروايتين ـ أى بين رواية صدام ورواية مبارك عن اللقاء الذى تم بينهما ـ ففى صفحة ٣٢٨ و ٣٢٩ يقول : إن لقاء مبارك بصدام حسين كان لقاء مغلقا اقتصر على الرئيسين ، وفى

مثل هذه اللقاءات المغلقة فإن ما يجرى فيها لايشهد عليه إلا أصحابه ! وقد فهم الرئيس مبارك من الرئيس صدام حسين أنه لاينوى استخدام القوة ضد الكويت ، وفهم الرئيس صدام أنه قال للرئيس مبارك إنه لاينوى استخدام القوة ما دامت المفاوضات جارية ! ولم يكن هناك شهود ، ولا كان هناك محضر للجلسة! » .

ومعنى هذا الكلام أن هيكل لايستطيع أن يرجح برأى ، بينما هو يسوق كتابه كله مرجحا رأى النظام العراقى ! ولم يكن ترجيح الرأى فى هذه القضية بالأمر الصعب ، فلم يكد يغادر الرئيس مبارك العراق حتى كان النظام العراقى يكذب فى شأن هذه الزيارة ، فيصدر طارق عزيز تصريحا صحفيا كاذبا يزعم فيه أن «زيارة الرئيس مبارك لبغداد واجتماعه بالرئيس صدام حسين كان مخصصا لبحث قضايا ثنائية فى العلاقات بين البلدين ، ولم يكن عن أزمة الخليج كما روجت الأنباء السابقة» ! .. وقد أورد هيكل بنفسه هذا التصريح الكاذب .

وإذا لم تكن هذه الزيارة لبحث أزمة الخليج ، فما الذى دفع مبارك إلى زيارة بغداد فى هذا الوقت من الأزمة بالذات؟

ثم إن هيكل نفسه يورد مشهد لقاء الرئيسين المصرى والعراقى بعد انتهاء الجلسة المغلقة ، وفيها ما يدمغ النظام العراقى بالكذب . فقد أورد أن صدام حسين وقف أمام المرافقين والصحفيين يقول لمبارك ضاحكا : «بالله عليك لاتطمئنهم يا أبو علاء ! هؤلاء ناس لايعرفون الحياء ! وهذا الرجل ، الشيخ جابر ، لديه مال قارون ، وهو يكنزه ولايصرفه على شعبه ! فلديه ثروة مقدارها ١٧ بليون دولار ! ثم وجه حديثه إلى الصحفيين المصريين المرافقين لمبارك قائلا ـ فى لهجة تحريضية ـ : «لو أن هذا المبلغ كان تحت تصرف الشعب المصرى ، كم من الأزمات الخانقة كان يمكن حلها ؟.

فإذا كانت زيارة مبارك لاصلة لها بأزمة الخليج ، كما صرح طارق عزيز بعد مغادرة مبارك العراق ، فما الذى دفع صدام حسين إلى الكلام عن الشيخ جابر أمير الكويت بعد اللقاء المغلق ؟ وإذا كان حديث صدام حسين عن الشيخ جابر يوضح فى جلاء أن الزيارة كانت لبحث أزمة الخليج ، فلماذا كذب طارق عزيز وصرح للصحفيين بأن الزيارة لم تكن عن أزمة الخليج ؟

الا يكفى ذلك لمساعدة الأستاذ هيكل على ترجيح رواية مبارك ؟ أم أن محاولة ترجيح رأى على آخر فى هذه الواقعة لاتخدم أهداف كتاب هيكل ، فهو يترك قارئه محتارا بين

الرأيين ، ويترك مزاعم طارق عزيز فى لقائه مع بيكر بدون مناقشة ؟ !

وأليس غريبا أن هذا الموقف الحيادى لهيكل بين روايتى مبارك وصدام حسين ، هو نفس الموقف الحيادى الذى وقفه بين روايتى مبارك والملك حسين عن لقائهما فى رأس التين يوم ٢ أغسطس ! - وقد سبق لنا أن ناقشنا الروايتين ، وأثبتنا تضليل الملك حسين على نحو ما أثبتنا الآن تضليل النظام العراقى عن زيارة مبارك لبغداد يوم ٢٤ يوليه .

إن الأستاذ هيكل أحد أبرز رجال الرأى المعدودين فى مصر والعالم والعربى ، فلماذا يسخو برأيه عندما يكون هذا الرأى معبرا عن النظام العراقى ، ويبخل بهذا الرأى عندما يكون لصالح النظام المصرى ؟ ولماذا يخفى الدور المصرى فى كتابه فى الظل منزويا فى داخل الخطة الأمريكية لفرض الحرب على العراق ، بينما يبرز الدور العراقى ويصوره فى صورة الإرادة الصلبة التى لا تنكسر ، والالتحام بالأمة العربية ؟

أليست هذه الصورة التاريخية لحرب الخليج التى يرسمها الأستاذ هيكل ، هى أكثر الصور تزييفا فى التاريخ؟

(١٢)

هل كانت حرب الخليج حربا غير شرعية؟

هل كانت حرب الخليج
حربا غير شرعية ؟ *

ذكرنا فى مقال سابق كيف تجاهل الأستاذ هيكل فى كتابه : «حرب الخليج ، أوهام القوة والنصر» كل الفظائع والمنكرات التى ارتكبها جيش الاحتلال العراقى فى الكويت ، والتى اختتمها بجريمة نكراء ضد الثروة العربية والبيئة ، تمثلت فى إشعال النار فى ٦٣٠ بئرا للبترول !

وكيف ركز اهتمامه فى تتبع ما اعتبره مؤامرات الولايات المتحدة ضد العراق منذ اللحظة الأولى ، وسيطرتها على مجلس الأمن لاستصدار القرارات ضد العراق على نحو سريع ومتوال لدرجة أدهشت السكرتير العام للأمم المتحدة نفسه ! وبذلك حول هيكل ـ بكل مهارة ـ حرب الخليج من حرب لتحرير الكويت إلى حرب عدوانية شنتها الولايات المتحدة ضد العراق !

* أكتوبر ـ ٢٨ يونيو ١٩٩٢

وفى سبيل تأكيد هذه الصورة ، نسى الأستاذ هيكل حذره ، ووقع فى خطأ جسيم حين أخذ يصور حرب الخليج فى صورة حرب غير شرعية ، شنتها قوات غير شرعية بقيادة الولايات المتحدة ضد العراق !

وقد بدأ هذه المحاولة حين أخذ فى كتابه (ص ٣٢ ـ ٣٣) ينزع من قوات التحالف الدولى صفتها الشرعية ، ويصورها فى صورة قوات مخالفة لميثاق الأمم المتحدة تحت قيادة أمريكية ! وساق ذلك فى ذكاء على لسان سكرتير عام الأمم المتحدة «خافيير بيريز دى كويلار» ـ ولكن على طريقة «لاتقربوا الصلاة» !

فقد أورد أن دى كويلار وجد نفسه مضطرا ، «بطريقته الهادئة والمترددة مرات ، الساخرة أحيانا» أن ينبه إلى أن قوات التحالف التى صدر لها التفويض عن مجلس الأمن رقم ٦٧٨ فى ٢٩ نوفمبر باستعمال القوة ، ليست بالضبط قوات تابعة للأمم المتحدة ! وأنه ـ أى السكرتير العام ـ خشى من التفسيرات الواسعة لهذا القرار «الذى ليست له سابقة» ، كما خشى من «عواقب هذه التفسيرات على نظام الأمم المتحدة» ، فأضاف «بإشارة وابتسامة» أنه «ليس فى علمه أن الجنرال نورمان شوارتزكوف يرتدى فوق رأسه واحدا من البريهات الزرقاء (الخاصة بقوات الأمم المتحدة) !

وهكذا صور هيكل قوات التحالف الدولى التى احتشدت لتحرير الكويت من الاحتلال العراقى فى صورة قوات لا سند لها من ميثاق الأمم المتحدة ، يقودها قائد أمريكى لا يتبع الأمم المتحدة !

وحتى يبيع هذه الصورة للقارىء ، حشد هيكل تحليلاته الشخصية التى صورت تصريحات السكرتير العام للأمم المتحدة فى شكل انطلاق من «خشيته من عواقب التفسيرات الواسعة لقرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ على نظام الأمم المتحدة!» . وهو تصوير لا سند له ـ كما هو واضح ـ من وثيقة يتحدث فيها دى كويلار عن خشيته على نظام الأمم المتحدة ، و«عواقب» هذه التفسيرات على هذا النظام ! .

وبطبيعة الحال فإن أحدا لايستطيع أن يشارك هيكل فى هذا التحليل غير صدام حسين نفسه وأعضاء قيادة حزب البعث العراقى ! وعلى سبيل المثال فإن الكويت لايمكن أن تشاركه فى هذه النظرة إلى القرار رقم ٦٧٨ ، ولايمكن أن تتصور له «عواقب» ! ـ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى الأضرار والأخطار ! ـ لأنه قرار زود قوات التحالف الدولى بالشرعية الدولية للقيام بعملياتها العسكرية لتحرير الكويت ، ولكن هيكل ينظر إلى القرار من الموقع العراقى الذى أدرك «عواقب» هذا القرار عليه وعلى احتلاله للكويت ! أما خافيير

بيريز دى كويلار فهو خارج عن لعبة التحليل التى يلعبها هيكل لهذا القرار (وسوف نورد فيما بعد تفسيره الرسمى المجرد لهذا القرار) .

وعلى كل حال فقد كشف هيكل موقعه العراقى فى تحليل هذا القرار ، حين أخذ يخصص عدة صفحات من كتابه ـ بدون مبرر ـ لإيراد الآراء الفقهية القانونية التى تندد بهذا القرار !

فقد نقل عن الدكتور عدنان الباجهجى ، الذى وصفه بأنه «من خيرة العقول القانونية فى الوطن العربى ، وكان وزيرا سابقا للخارجية فى العراق ، أن القرار مخالف لميثاق الأمم المتحدة ، لأن التدخل العسكرى وفقا للميثاق يكون بعد ثبات فشل العقوبات الاقتصادية التى اختارها مجلس الأمن أولا ، ولما كان القرار رقم ٦٧٨ قد أشار فقط إلى العقوبات ولم يتحدث عن فشلها ، فإنه يكون مخالفا ! وفى الوقت نفسه فإنه لو تقرر استخدام القوة المسلحة فإن مجلس الأمن هو الذى يملك الحق فى استعمالها وتحت قيادة الأمم المتحدة وعلمها ـ كما حدث فى كوبا ـ ولكن مجلس الأمن لايملك الحق فى تفويض بعض أعضاء الأمم المتحدة فى استعمال القوة المسلحة على مسئوليتهم الخاصة لتنفيذ قراراته !

كذلك نقل الأستاذ هيكل عن الدكتورة عائشة راتب ، أستاذ القانون الدولى ، أنه إذا كان نص القرار ٦٧٨ يبيح استعمال القوة لتحرير الكويت ، فإنه لايبيح اعلان الحرب على دولة العراق ! وأن نص القرار يتضمن تخليا من مجلس الأمن عن مسئولياته ويحيل المسئولية إلى غيره ! وأنه إذا جاز للمجلس أن يكلف بعض أعضاء الأمم المتحدة بتحرير الكويت ، فإنه لايجوز له تكليف غيره بتحقيق السلم والأمن الدوليين !

على أن الأهم من كل ذلك ـ وهو بيت القصيد ـ ما أورده الأستاذ هيكل من رد فعل النظام العراقي للقرار ، فيقول إنه «أحدث هزة عنيفة فى بغداد» ! وأن بغداد كانت ـ بواسطة خبرائها القانونيين ـ على علم بأوجه الخلل فى القرار ٦٧٨ ، وقد أعد فريق من الخبراء ، على رأسه الدكتور سعدون حمادى ، دراسة توصلت إلى أن القرار مخالف لميثاق الأمم المتحدة . وكان من رأى بعض القانونيين أنه يمكن الطعن فى شرعية هذا القرار أمام محكمة العدل الدولية ، وبذلك يصعب على الولايات المتحدة بدء الأعمال العسكرية قبل صدور قرار المحكمة ! (ص ٥٠١ ـ ٥٠٢) .

وقد اهتم هيكل بإبراز هذا الجدل الفقهى القانونى العقيم حول عدم شرعية قوات التحرير الدولية ـ التى

اشتركت فيها ثلاثون دولة ! ـ في الوقت الذى لم يخصص صفحة واحدة للحديث عن قضية عدم شرعية القوات العراقية التى كانت فى ذلك الحين تحتل الكويت ! ، والتى كانت تدوس بقدمها ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولى وميثاق جامعة الدول العربية وكل الأعراف والتقاليد الدولية !

كذلك لم يعلق بحرف واحد على فتوى الدكتورة عائشة راتب التى أفتت بأن القرار ٦٧٨ لايبيح إعلان الحرب على دولة العراق ، وإنما يتعلق فقط بتحرير الكويت ! ونسيت فى ذلك أن العراق كانت هى التى تحتل الكويت وليست جمهورية الصين الشعبية مثلا ! وأن تحرير الكويت لايمكن أن يتم عن طريق اعلان الحرب على الصين الشعبية وإنما عن طريق اعلان الحرب على الدولة المحتلة وهى العراق !

والمهم هو أن هيكل قد ساق كل هذه المناقشات القانونية العجيبة ليصل إلى هذه الصورة التى أراد أن يرسمها لحرب الخليج ، وهى أنها حرب غير شرعية ، شنتها قوات غير شرعية لاتتبع الأمم المتحدة ، ولا تتمتع بالحصانة الكاملة التى يكفلها ميثاق المنظمة لقوات الأمم المتحدة ! وأن الولايات المتحدة هى التى «راحت تبذل قصارى جهدها الاعلامى لكى يحدث الخلط ويستقر فى فكر العالم أن قوات التحالف هى

قوات الأمم المتحدة تتمتع بالشرعية وبالحصانة الكاملة التى يكفلها ميثاق المنظمة الدولية (!) وفى ذلك راحت وسائل الاعلام الأمريكى كلها تستعمل كل كفاءاتها لتصوير قوات التحالف على أنها هى قوات الأمم المتحدة ذاتها» .

وعلى هذا النحو أصبحت القوات المصرية بدورها ، وهى التى اشتركت مع قوات التحالف الدولى فى تحرير الكويت ، قوات غير شرعية أيضا ! ولا تتمتع بالحصانة الكاملة التى يكفلها ميثاق المنظمة لقوات الأمم المتحدة .

وبذلك نصل إلى هذه المفارقة الطريفة التى يقدمها هيكل فى كتابه : فقوات الاحتلال العراقية فى الكويت يسوق لها الأعذار والمبررات التاريخية والسياسية ، سواء من ناحية تبعية الكويت المزعومة لولاية البصرة ، واعتبارها ـ بالتالى ـ أرضا عراقية ! أو من ناحية تصرفات السياسة الكويتية الاقتصادية التى وصفها بأنها سياسة أنانية لم تراع فيها مصالح العراق الذى حارب إيران لحماية الخليج ! أما قوات التحالف الدولية التى قامت بتحرير الكويت من الاحتلال العراقى فهى قوات غير شرعية ، لأنها ليست ـ بالضبط ـ قوات تابعة للأمم المتحدة !

فهل هذا معقول ؟ وهل هناك تزييف لحرب الخليج أكثر من هذا التزييف ؟

ومن هنا فلعله من حق القارئ أن يعرف فحوى القرار رقم ٦٧٨ الذى أثار القيادة العراقية ـ وهيكل بالتبعية ـ إلى حد تجريد قوات التحالف الدولى التى حررت الكويت من شرعيتها وحصانتها ـ على الرغم من أن القرار صدر من مجلس الأمن لا من الحكومة الأمريكية !

لقد أورد القرار ـ بعد الديباجة ـ أن مجلس الأمن يلاحظ أنه رغم كل الجهود التى بذلتها الأمم المتحدة ، فإن العراق لم يمتثل لمسئوليته لتنفيذ القرار رقم ٦٦٠ والقرارات الأخرى اللاحقة له ، مما يمثل استهانة بمجلس الأمن ، وأن المجلس إذ يستذكر واجباته ومسئولياته طبقا لميثاق الأمم المتحدة عن صيانة وحفظ السلام الدولى والأمن ، واتساقا كاملا مع سابق قراراته ، وتحت الفصل الرابع من الميثاق ، يطلب من العراق أن يمتثل بالكامل للقرار رقم ٦٦٠ وكل القرارات اللاحقة له ، ويخول الدول الأعضاء فى التعاون مع الحكومة الكويتية ـ مالم يمتثل العراق لكل القرارات السابق الإشارة إليها قبل ١٥ يناير ١٩٩١ ـ فى استعمال كل الوسائل الضرورية لضمان تنفيذ القرار رقم ٦٦٠ وبقية القرارات المتصلة به ، وذلك لحفظ السلام الدولى والأمن فى المنطقة ، ويطلب إلى كل الدول أن تقدم الدعم المناسب للأعمال التى يمكن القيام بها لتنفيذ البند الثانى من هذا

القرار ، كما يطلب إلى الدول المعنية أن تخطر مجلس الأمن بانتظام عن تقدم الأعمال التى تقوم بها تنفيذا للقرار الحالى، ويقرر أن يبقى المجلس فى حالة انعقاد بسبب هذا الموضوع.

فهل يرى القارىء فى هذا القرار الصادر من مجلس الأمن بتخويل دول التحالف تنفيذ قراراته التى استهان النظام العراقى بتنفيذها ، ما رآه القانونيون المتحذلقون مما يجرد قوات التحالف من شرعيتها ؟ أو يرى فيه ما يتسق مع القرارات السابقة التى أصدرها مجلس الأمن بانسحاب القوات العراقية من الكويت ؟

الطريف فى كل ذلك أن سكرتير عام الأمم المتحدة قد أوضح ــ ببساطة ــ فى تقريره السنوى عن عام ١٩٩١ المبررات التى أدت إلى تخويل مجلس الأمن استعمال القوة لبعض الدول التى نشأ بينها ما عرف باسم التحالف الدولى، فأوضح أنه «فى الظروف التى كانت قائمة ، وبحساب التكاليف التى كانت مطلوبة ، فإن مثل هذا الوضع لم يكن ممكنا تجنبه» .

وقد أورد هيكل بنفسه هذا النص ، وعلق عليه تعليقا ذكيا بقوله : «ان مؤدى كلام السكرتير العام فى تقريره السنوى ، أن قرار مجلس الأمن الذى ترتبت عليه عاصفة

الصـحـراء ، ليس بالضـبط قـانونيـا ، ولكنه بالواقع كـان ضروريا» . (ص ٥٠١) .

على أن هيكل ، من رؤيته البعثيـة الصدامـيـة لعاصـفة الصـحـراء ، رفض هذا التبرير بقوله : «إن هذه القـاعدة فى توصيف الشرعية الدولية تحتاج إلى مراجعة وتدقيق» ! أى أنه كان يرى أن تقف هذه القضية عقبة فى سبيل استصدار قـرار مـجلس الأمن رقم ٦٧٨ ، وبذلك تبـقـى قـوات التـحـالف الدولى عـاجـزة عن التـحـرك ، وتبـقـى الكويت فى قـبـضـة الاحتلال العراقى ؟

وقد نسى هيكل بذلك أن الضرورة تبيح المحظور ، حتى فيمـا حرمه الله بصورة قطعية فى كتابه الكريم ! فـمـا باله يرفض هذه القـاعـدة ـ قـاعـدة الضـرورة ـ فى توصـيـف الشرعية الدولية التى هى من صنع البشر ؟

السـبب هو أن النظام العـراقى كـان فى ذلك الحين يبنى حسـاباته فى رفض الانسـحـاب من الكويت على هذه العقـبة الفـقـهيـة القـانونيـة بالذات ! ويتـصـور أن المجـتمع الدولى ـ ممثـلا فى مـجلس الأمن ـ سـوف يقف مـشلولا أمـام هذه القـضـيـة ، وسـوف تبـقى قـوات التـحـالف الدولى ـ لذلك ـ عاجزة عن تحرير الكويت !

وهذا هو السبب فيما أورده هيكل من شدة رد فعل صدور القرار رقم ٦٧٨ فى القيادة العراقية ، وفى قوله : إن صدور هذا القرار «أحدث هزة عنيفة فى بغداد ! ..

ففى ذلك الحين ، كانت العاصمة العراقية قادرة أن تتصور تدخلا عسكريا أمريكيا بحتا تسكت عنه الأمم المتحدة، ولكنها لم تتصور تدخلا عسكريا يجىء بموافقة صريحة من الاتحاد السوفيتى الذى أيد مشروع القرار ، وبموافقة ضمنية من الصين التى امتنعت عن التصويت عليه ، وكان اعتراضها - بوصفها من الأعضاء الخمسة الدائمين فى مجلس الأمن الذين يملكون حق الفيتو - كفيلا باسقاطه!».

ومن هنا كان حرص الأستاذ هيكل فى كتابه على ادانة هذا القرار تاريخيا ! وعلى سحب الشرعية الدولية من قوات التحالف الدولى ! وسحب الشرعية الدولية أيضا من عاصفة الصحراء وحرب الخليج ! والالحاح على أن هذه القوات لم تكن تابعة - بالضبط - للأمم المتحدة ، وأن الجنرال نورمان شوارتزكوف انما هو مجرد قائد أمريكى بدليل أنه لم يكن يرتدى فوق رأسه «البيريه الأزرق» الذى ترتديه قوات الأمم المتحدة !

وكل ذلك لخدمة وجهة النظر العراقية ، التى كانت ترى الأمور من منظور مقلوب وهى واقفة على رأسها والعالم واقف على قدميه ! فقد كانت ترى فى حرب الخليج حربا غير شرعية خاضتها قوات غير شرعية ضد العراق ، وترى فى قوات الاحتلال العراقية فى الكويت قوات شرعية لأنها ـ فى زعمها ـ قوات تحرير استردت قطعة من التراب الوطنى كان تابعا لولاية البصرة وفصلته عن العراق أيدى بريطانيا !

ومن حق الأستاذ الكبير هيكل أن يعتقد ما يشاء مما تراه القيادة العراقية ، ولكن من واجبه احترام عقل القارىء الذى ينظر إليه نظرة تقدير واحترام ، فلا يدافع دفاع المستميت عن باطل كان رجل الشارع المصرى البسيط يدركه فى صورته الصحيحة منذ البداية ، لقد كان احتلال العراق للكويت باطلا بطلانا يفقأ كل عين ، وكان انتهاكا لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى وميثاق جامعة الدول العربية وكل الأعراف الدولية ، وبالتالى فإن أية قوات عسكرية تقوم بتحرير الكويت من هذا الاحتلال الآثم هى قوات شرعية بدون ريب ، وأية حرب يخوضها المجتمع الدولى ضد العراق لتحرير الكويت هى حرب شرعية لا شبهة فيها ، وذلك هو التوصيف الصحيح للشرعية الدولية .

ومن هنا فإذا اعتمد الأستاذ هيكل على الرأى القانونى الذى أدلى به عدنان الباجهجى الذى يشترط لشرعية التدخل العسكرى اعلان مجلس الأمن فشل العقوبات الاقتصادية أولا ، فإنه ينطق فى ذلك بما كانت تتمناه القيادة العراقية من استدامة احتلالها للكويت عامين أو أكثر ــ وفقا لقدرة الدول الصديقة ، وعلى رأسها الأردن ، على تمكين العراق من مواجهة هذه العقوبات والتغلب على آثارها !

لقد كانت فترة عامين من الاحتلال العراقى للكويت كافية فى نظر القيادة العراقية وقتذاك لطرد معظم الكويتيين من الكويت ، وتغيير التركيب الاجتماعى لشعب الكويت باحلال العراقيين محل الكويتيين ، وزيادة عدد الفلسطينيين بالدرجة التى لاتخل بالتفوق العراقى ، ومكافأة الدول الصديقة عن طريق احلال اليمنيين والسودانيين والتونسيين محل المصريين.

وعندما يتبين مجلس الأمن أن العقوبات الاقتصادية قد فشلت ، ويقرر استخدام القوة العسكرية ، يكون المجتمع الكويتى قد تحول إلى مجتمع آخر ! وتكون الكويت قد تحولت تماما إلى كويت أخرى غير التى اجتاحتها القوات العراقية

فى ليلة ٢ أغسطس ١٩٩٠ ! ـ أى تكون قد تحولت من الناحية الفعلية إلى المحافظة العراقية رقم ١٩، بعد أن كان هذا التحول الذى أعلنته القيادة العراقية يوم ٨ أغسطس ١٩٩٠ تحولا فى الشكل لا المضمون !

(١٣)

ورفع هيكل صدام إلـــى مقـــام صـــلاح الديـــن!

ورفــع هيكــل صــدام
إلـى مقام صلاح الدين! *

ربما كان أقرب ما يكون إلى العقل عندما يقرأ المرء كتابا يكتبه مصرى عن حرب اشترك فيها الجيش المصرى مثل حرب الخليج ، أن يخصص هذا الكاتب صفحات من كتابه يتحدث فيها عن دور هذا الجيش فى تلك الحرب ، خصوصا إذا كان هذا الدور مشرفا شهد به أعظم قادة هذه الحرب التى اشتركت فيها جيوش ثلاثين دولة ، وخصوصا أيضا إذا كان هذا الدور يتطلب شجاعة من نوع خاص ، بعد دعايات النظام العراقى السوداء عن الموانع الخطيرة التى أعدت على مدى ستة أشهر طويلة من بدء الاحتلال لكى تنسف وتدمر كل من يجرؤ على الاقتراب منها !

لذلك فإنها تعد مفاجأة حقيقية أن يتحدث الأستاذ الكبير هيكل عن كل شىء إلا عن هذا الجيش الذى استبعده تماما

* أكتوبر ـ ٥ يوليو ١٩٩٢

من حـرب الخليج ، كـأنما هو وهـم من الأوهام وليس حـقيقة واقعة فرضت نفسها بدماء الشهداء !

وفيما يبدو أن الأستاذ هيكل شعر بأنه مطالب بتقديم توضيح لهذا الاغفال المتعمد لدور الجيش المصرى ، ففى حديثه الذى نشر بمجلة المصور يوم ٨ مايو ١٩٩٢ ، سئل عن أسباب «تهميشه الدور المصرى» ، فقال لمحدثه : «إذا كنت تتحدث عن الجانب العسكرى ، فقد تجنبت الحديث فيه !

لماذا ؟ يرد الأستاذ هيكل فى مغالطة صريحة فيقول : «لقد كنا أمام أول حرب جوية فى التاريخ ، هذه الحرب كان من المؤكد أنها ستصبح حرب جو بالدرجة الأولى ، وحرب صواريخ ، والذى حسم نتائجها كان الجو والصواريخ .. لقد كان هناك باستمرار تصور عند كل الاستراتيجيين فى العالم أن الطيران من الممكن أن يعمل الدور المساعد للقوات البرية ، لكن أى نصر لايتحقق إلا بالوجود من خلال القوات البرية على الأرض. لكن هذه الحرب أكدت أنه لم يعد من الضرورى أن تحتل الأرض» ! .

هذا ما قاله الأستاذ هيكل حرفيا ، ونشر بمجلة المصور ولم ينكره ! ولما كانت حرب الخليج قد اشتركت فيها قوات برية وصل عددها إلى نصف مليون جندى ، فقد كان عليه أن

يفسر هذا التناقض بين قوله السابق وهذه الحقيقة الدامغة ، وقد فسره تفسيرا غريبا ، فقال بالحرف الواحد :

«تم وضع قوات برية وذلك إذا حدث أى تطور مفاجىء:
أولا : تمنع العراقيين من الدخول والقيام بمعركة داخل السعودية كنوع من الهروب من ضرب العراق (!) لقد تم عمل درع ، درع الصحراء نفذت بالكامل ، أما عاصفة الصحراء فلم ينفذ منها إلا الشق الجوى (!) .. لا شىء إلا الحرب الجوية ، الحرب الجوية بدأت من يوم ١٦ فبراير حتى يوم ٢٤، والحرب البرية لم يحدث فيها شىء (!) .

هكذا ـ بكل بساطة ـ لخص الأستاذ هيكل حرب الخليج! وهكذا ـ بكل بساطة ـ تجرأ على الحقائق التاريخية، لمجرد تجنب الحديث عن دور القوات المصرية فى كتابه ، لأن هذا الدور ينتمى إلى الحرب البرية ، وهى حرب «لم يحدث فيها شىء » ! ـ حسب قوله ـ ولأن حرب الخليج ـ كما قال ـ «أكدت أنه لم يعد من الضرورى أن تحتل الأرض» !

ولمؤرخ متواضع مثلى أن يأسف لكل هذه الأخطاء التى وقع فيها كاتب كبير مثل الأستاذ هيكل ، وأولها ما حاول تأكيده من أن حرب الخليج هى أول حرب جوية فى التاريخ ! وتبريره ذلك بأن «الذى حسم نتائجها كان الجو

والصواريخ»، وأن القوة الأمريكية انما كانت توجه كلامها إلى عالم المستقبل وتقول : «الآن أستطيع أن أحقق نصرا دون أن أتورط على الأرض ، وأستطيع أن أعاقب دون أن أدفع الثمن لذلك» !

فقد نسى الأستاذ هيكل ـ أو أنه أراد أن يتناسى ! ـ أن أول حرب جوية فى التاريخ ، بهذا المعنى الذى ذكره تماما ، لم تكن حرب الخليج ، وإنما كانت حرب يونية ١٩٦٧ !

فهل يستطيع أن ينكر أنه بعد الضربة الجوية الاسرائيلية التى قضت على الطيران المصرى على أرضه ، انتهت المعركة تماما ، ولم تعد هناك سوى نزاعات أقرب إلى نزاعات الموت منها بالقتال الحقيقى بين الجيوش المتكافئة ؟ وألم تستهدف اسرائيل بالضربة الجوية التى أعدت لها على هذا النحو ، أن تنهى الحرب بالفعل لصالحها ، حيث لم يكن فى وسع القوات المصرية القتال فى صحراء سيناء دون غطاء جوى فعال يشاركها المعركة ؟

فأى جديد أتى به الأستاذ هيكل يبيح له أن يفخر على هذا النحو بهذا الاكتشاف الخارق إلى حد أن يبنى عليه إهماله لدور القوات البرية فى حرب الخليج ـ خصوصا القوات المصرية ؟

أما الخطأ الثانى فهو اخفاؤه ـ عمدا ـ السبب الحقيقى الذى دعا قوات التحالف بقيادة الجنرال شوارتسكوف إلى تخصيص كل تلك القوة الجوية الجبارة لضرب العراق ، وهو الضرب الذى صوره فى حديثه على أنه لم يكن ضربا وإنما كان «قتلا عدة مرات» للعراق ! ويضيف فى ص ٥٥٠ من كتابه إن «العراق لم يتصور أن هدف الحرب كان تدمير العراق ولم يعد تحرير الكويت ! » ـ وكل ذلك فى إطار تصويره لحرب الخليج على أنها ، لم تكن حربا لتحرير الكويت وإنما لتدمير العراق !

فكيف كان هيكل يتصور ـ إلا من خلال رؤيته البعثية التى لا ترى إلا ما كان يراه قادة العراق ـ أن يحدث تحرير للكويت بدون تدمير للعراق ؟

لقد تميزت القيادة العراقية وحدها بهذا الحساب الخاطىء ، فى سلسلة حساباتها الخاطئة التى بدأت باحتلالها للكويت ! بينما كان رجل الشارع المصرى العادى يعرف تماما أن قوات التحالف لن تستطيع تحرير الكويت قبل القضاء على القوة العسكرية والقدرات التدميرية للعراق، التى كان يتشدق بها ويهدد بها قوات التحرير .

ولكن هيكل يتحدث عن تدمير العراق كما لو كان عدوانا ارتكبته القوات الأمريكية في غفلة من الزمن ، أو من الرأى العام العربى الذى بدأ بعدها يفيق إلى هول الكارثة ! ـ حسب قوله ! (ص ٥٦٦) .

وينسى هيكل أن الكارثة التى كان يتابعها العالم العربى، والعالم كله ، فى ذلك الحين ، كانت كارثة الحرب التى شنها العراق ضد البيئة فى يناير ١٩٩١ ، عندما بدأ يضخ البترول فى مياه الخليج بمعدل ٤ ملايين جالون يوميا ! دون أن يكون لذلك أية ضرورة عسكرية أو هدف عسكرى ، الأمر الذى شكل كارثة بيئية أثرت على مياه الشرب والنباتات العائمة والأسماك والطيور والحياة البحرية التى كانت تزخر بها المنطقة ! ثم اختتم هذا العمل الاجرامى باشعال النيران فى أكثر من ٦٣٠ بئرا للبترول ، شكلت كارثة بيئية أخرى لا تقل خطورة ، وكلفت الكويت نحو ٧٥ مليار دولار ! دون أن يكون لهذا العمل أى مبرر عسكرى سوى الانتقام الأعمى الذى لم يسبق له مثيل فى طول التاريخ وعرضه !

هذه هى الكارثة التى أفاق عليها العالم العربى ، وليست الكارثة التى أراد هيكل تصويرها ، وهى تدمير القدرة

التدميرية العراقية ، التى جعلها النظام العراقى بغبائه وحمقه وحساباته الخاطئة تبدو موجهة ضد العالم !

لقد فوجىء العالم العربى - الذى لم يشهد للنظام العراقى أى دور مؤثر في الصراع العربى الاسرائيلى - بوجود قوة جبارة للعراق لم يكن يعلم من قبل بوجودها ! وقد صورها هيكل بنفسه فى كتابه فى صورة : قوة غير تقليدية تتمثل فى قوته الصاروخية وأسلحته الكيماوية التى «ركز العراق عليها» - على حد قوله ! (ص ٥٥٠) ، وقوة تقليدية تتمثل فى أكثر من خمسين فرقة مدرعة وميكانيكية للمشاة حشدها فى الميدان ، بالاضافة إلى قوة جوية ضخمة كانت تتكون من قرابة سبعمائة طائرة ، وسلاح صواريخ يرتكز على قرابة أربعمائة منصة للاطلاق . وقد أقام أمام قواته حواجز وموانع ملأ بعضها بالبترول بحيث يمكن تحويلها إلى خطوط نار عند اللحظة المناسبة ليكون منها خط دفاع أول . وقد أنشأ حول مواقعه وأهدافه الحيوية شبكة من الدفاعات استعمل فيها قرابة عشرة آلاف مدفع مضاد للطائرات .

وكان النظام العراقى يعتقد - مع تسليمه بوجود فجوة تكنولوجية بين أسلحته وأسلحة جيوش التحالف (التى يطلق عليها هيكل دائما اسم «الجيش الأمريكى» من منظوره

البعثى !) ـ أن هذه الفجوة سوف تقل عندما تبدأ الحرب البرية التى كان يقدر لها أن تطول وتطول ، وتتضاعف معها الخسائر فى أرواح القوات الأمريكية ، «فتعيد إلى الوطن الأمريكى أشلاء جنوده فى أكياس من البلاستيك» ، فيثور الرأى العام الأمريكى ويضغط على الرئيس الأمريكى «لقبول حل وسط» !ـ حسب تعبير هيكل ، ويقصد به تحقيق أهداف صدام كاملة فى الكويت !

فكيف ـ إذن ـ كان هيكل يتصور ـ إلا إذا كان ينظر إلى المسألة من منظور القيادة العراقية ! ـ أن العالم الغربى المتقدم الذى حشد الجيوش لاجبار النظام العراقى على تنفيذ قرارات مجلس الأمن ، سوف تبلغ به السذاجة حد الرقص على طبول النظام العراقى ، والدخول فى شبكته ، والاذعان لخطته العسكرية العرجاء ، فيوجه قواته بغباء إلى الكويت لتحريرها، تاركا وراءه القوة العسكرية العراقية الجبارة والقدرات التدميرية للعراق بدون مساس ، لتنقض عليه من الخلف وتستعيد منه الكويت ؟

لقد كان النظام العراقى يفكر فى عام ١٩٩٢ كما كان المماليك فى مصر يفكرون فى عام ١٧٩٨ ! فرغم التقدم الهائل فى السلاح الذى كان يملكه بحكم التقدم التكنولوجى

الهائل، فإن العقلية العراقية التى كانت توجه هذا السلاح وتخطط باسمه لم تكن تفترق كثيرا عن عقلية القيادة المملوكية فى زمن حملة الجنرال بونابرت على مصر !

وللأمانة التامة فإن العقلية العراقية فى ذلك لم تختلف أيضاً كثيرا عن العقلية المصرية التى كانت تقود جيش يونيه ١٩٦٧ ، التى تناست الفروق الحضارية بينها وبين العقلية الاسرائيلية الوافدة من الغرب ، وتصورت أن الحرب سوف تجرى كما خططت لها هى وليس كما خططت القيادة العسكرية فى اسرائيل ! ففوجئت بسلاح الجو المصرى كله محطما فى بضع ساعات من بدء الحرب ، وبأن قواتها المدرعة التى أعدتها لحرب الصحراء قد أصبحت مشلولة لاتستطيع سوى تلقى الهزيمة لا تحقيق النصر ، فانتهت الحرب من الناحية الفعلية فى ساعات !

وكذلك فعلت القيادة العراقية التى تصورت أن الحرب سوف تجرى كما خططت لها ، وليس كما خططت قيادة التحالف (أو القيادة الأمريكية !) وسوف تتاح لها بذلك الفرصة لإرسال الألوف من زكائب البلاستيك التى تحمل أشلاء الجنود الأمريكيين إلى أمريكا لتجبر الرئيس الأمريكى على رفع راية الاستسلام !

وفى الواقع أنه فى طول تاريخ الصـراع بين العـرب والغرب فى العصر الحديث ، لم ترتفع عقلية عربية عسكرية إلى مستوى العقلية الغربية العسكرية إلا فى حرب واحدة فقط هى حرب ١٩٧٣ ! فهى أول حرب عربية ـ غربية تتفوق فيها العقلية العربية المصرية على العقلية الغربية الاسرائيلية، فتهدم فى ست ساعات خط بارليف الذى بنته القوات الاسرائيلية فى ثلاث سنوات ، وكانت القيادة الاسرائيلية تؤكد على استحالة هدمه حتى ولو اجتمع عليه سلاحا المهندسين الأمريكى والسوفيتى !

وقد كان من الممكن أن تستفيد العقلية العراقية مما قدمته العقلية المصرية فى هذا الشأن فى تحرير فلسطين ، ولكنها آثرت أن تستفيد منه فى شن حربها ضد إيران أولا ، ثم فى اجتياحها للكويت ثانيا ! وقد عجزت عن اخضاع إيران وهزيمتها (أولا) ، وتصورت (ثانيا) أنها حققت نصرا على الكويت عندما اجتاحتها فى ساعات ، ولم تعرف أنها حققت هزيمة مزدوجة : الأولى هزيمتها لنفسها أمام التاريخ، لأنها بدلا من أن تحارب إسرائيل حاربت الكويت ! والثانية عندما أفلتت أسرة الصباح من الأسر ـ وهى الأسرة التى ارتبط بها قيام دولة الكويت وارتبط بها تاريخها ومصيرها على مدى مائتين وخمسين عاما ، وارتبط بها ـ بالتالى ـ

شرعية دولة الكويت ـ فانهزمت أهداف العملية العسكرية العراقية الخسيسة ، وانحسمت المعركة ضدها منذ اللحظات الأولى للحرب .

والمهم هو أن هيكل أخفى عمدا هذه الأسباب الحقيقية لضرب العراق وتدمير القدرات التدميرية العراقية ، فى إطار الخط الذى اتخذه فى كتابه ، وهو خط تصوير حرب تحرير الكويت فى صورة حرب تدمير العراق ! وأنها حرب غير شرعية ، لكى يصل بنا إلى نتيجة لم تكن فى الحسبان كان يدخرها فى جعبته المليئة بالطرائف ، وهى تصوير الحرب التى شنتها قوات التحالف ضد العراق فى صورة «حرب صليبية» ! وتصوير صدام حسين ـ بالتالى ـ فى صورة صلاح الدين !

ففى قطعة درامية من كتابه ، وفى صفحتى ٥٤٦ و ٥٤٧، يلتقط بذكاء الاسم الرمزى الذى اختاره الجنرال شوارتسكوف للعملية العسكرية التى قامت بها القوات البرية فى قلب العراق ، وهو اسم «آفا ماريا» Ave Maria الذى ترجمه : «المجد للعذراء» ، فيقول : «ان هذا الاسم الرمزى يستعيد للأذهان (لايذكر أذهان من ؟) أصداء صليبية من قبل(!) فحين دخل الجنرال البريطانى أللنبى فاتحا إلى

القدس يوم ٩ ديسمبر ١٩١٧ ، كانت قولته المشهورة : «الآن انتهت الحروب الصليبية» ! وحين دخل الجنرال جورو دمشق يوم ٢١ يونيو ١٩٢٠ ، توجه مباشرة إلى قبر صلاح الدين ، ووقف أمامه وقال قولته المشهورة : «ها قد عدنا يا صلاح الدين» ! والآن جاء الدور على قائد أمريكى لكى يقول بعد سبعين سنة : «المجد للعذراء» !

فهل هذا معقول ؟ أننى أسمع منذ أعوام طويلة القطعة الأوبرالية الشهيرة « آفا ماريا» (Ave Maria) أى «السلام عليك يا مريم» - التى ترجمها هيكل : «المجد للعذراء» لكى يصبغها بصبغة الحرب ! - وهى التى لحنها الموسيقى العظيم «شوبرت» لكلمات قصيدة كتبها وولتر سكوت وترجمت إلى الألمانية ، ولم يستحضر الاسم فى ذهنى أبدا ذكرى الحروب الصليبية ! ولم أسمع طبول الحرب ! وإنما كنت أستمع إلى ابتهالات دينية ؟ وإذا كان شوارتسكوف قد اختار هذا الاسم للعملية العسكرية فى العراق ، فقد اختاره للتبرك باسم العذراء ، كما فعل صدام حسين حين استعار اسم معركة القادسية أيام الإسلام الأولى ليطلقه على حربه مع إيران !

ولكن هيكل - بعبقريته التى خانته - يتخذ من هذا الاسم سلما لتنصيب صدام حسين مكان صلاح الدين ، ويرفع هذا

الحاكم الذى حارب المسلمين فى إيران ، والعرب المسلمين فى الكويت ، وقذف الأراضى السعودية بصواريخ سكود ، ودفع بملايين العراقيين إلى حتفهم فى حروب فاشلة ظالمة ، واستلم العراق ثرية عزيزة وانتهت على يديه إلى دولة يعانى شعبها شظف العيش - يرفعه إلى مقام صلاح الدين الذى حارب من أجل الإسلام ، وانتصر من أجل الإسلام ! ويربط بين دخول قوات التحالف العراق لتحرير الكويت المغتصبة ، ودخول الجنرال أللنبى القدس وقوله : «الآن انتهت الحروب الصليبية» ، ودخول الجنرال جورو دمشق وقوله على قبر صلاح الدين : «ها قد عدنا يا صلاح الدين» !

ويتناسى الأستاذ هيكل أنه لم يكن هناك أى وجه للمقارنة بين صدام حسين وصلاح الدين ، فلم يضع صدام حسين قوته العسكرية أبدا فى خدمة العرب والإسلام ، ولم تكن حربه فى الكويت حربا عادلة ، ولم تكن معركته مع الغرب دفاعا عن حق وإنما كانت دفاعا عن باطل . كما أنه لم تكن ثمة وجه للمقارنة بين الحروب الصليبية وحرب الخليج ، فلم تكن القوات التى خاضت الحرب ضد النظام العراقى قوات مسيحية فقط (أو صليبية بمفهوم هيكل !) وإنما كانت قوات مسيحية وإسلامية ، فقد اشتركت فى الحرب قوات

مصرية وسعودية وسورية وكويتية وإماراتية وبحرينية وقطرية وعمانية ! (*)

ولكن الأستاذ هيكل لايعترف بالمستحيل ، ما دام يخدم المنظور العراقى لحرب الخليج ! ومن هنا يتجاهل الثوابت فى كتابه عن حرب الخليج ، فيتجاهل على مدى ٦٣٥ صفحة دور القوات المصرية ، ويرفع صدام حسين إلى مقام صلاح الدين رغم استحالة المقارنة ، ويحصر دور مصر فى اطار الفلك الأمريكى الذى يتصورها تدور فيه وتنفذ مخططاته ! وفى مسرحيته يتحول كل الأبطال إلى كومبارس ، اللهم إلا الرئيس العراقى صدام حسين والرئيس الأمريكى جورج بوش !

(*) نفى الأستاذ محمد جلال كشك فى مقال له بجريدة «الأخبار» يوم ١٩٩٢/٧/٢ أن تكون هناك علاقة بين تعبير Ave Maria والحروب الصليبية كما أورد هيكل، أو بينه وبين أغنية شوبرت كما أوردت! وقال إن تعبير Hail Mary يستخدم فى لعبة الفوتبول الأمريكية فى معنى عدم اختراق خطوط الدفاع.

كان على الأستاذ كشك أن يميز بين مصطلحين: أحدهما باللاتينية، وهو Ave Maria، وهو مصطلح دينى عن صلاة للعذراء مطلعها: السلام عليك يا مريم، والثانى بالانجليزية Hail Mary وهو مصطلح رياضى.

ولو كان المصطلحان بمعنى واحد لما كان ثمة حاجة لاستخدام المصطلح اللاتينى أصلا، إكتفاء بترجمته، ولما استخدمه وولتر سكوت فى قصيدته، ولما لحنه شوبرت، وتحولت ابتهالاته الدينية إلى ابتهالات كروية !

(١٤)

بين صواريخ صدام وصـــواريخ هيكل

بين صواريخ صدام
وصواريخ هيكل!

لا بد أن أصارح القارىء بأنى حتى الآن لم أستطع أن أعثر على سبب واحد يدعو كاتبا مرموقا ، أسس لنفسه سمعة عربية ودولية مدوية مثل الأستاذ محمد حسنين هيكل ، إلى اختيار الجانب الخطأ فى صراع سياسى بمثل وضوح الصراع العراقى الكويتى ، الذى انتهى بكارثة لم يسبق لها مثيل فى طول التاريخ العربى وعرضه ، وهى كارثة الغزو العراقى للكويت .

فالكاتب موقف ، ومن هذا الموقف يستمد الكاتب أهميته فى تاريخ الفكر السياسى فى بلده . وبقدر وقوف الكاتب بقلمه إلى جانب الحق والعدل يتميز موقفه عن موقف غيره ممن يتخذون الكتابة وسيلة للاسترزاق وليست وسيلة لنصرة الحق والعدل .

* أكتوبر ـ ١٢ يوليو ١٩٩٢

وقد كان الحق فى قضية الغزو العراقى للكويت واضحاً إلى درجة أدركها بسهولة رجل الشارع فى مصر ـ كما قلت ـ بل وفى كل أنحاء العالم ، وأجمعت عليها كل الدول من كافة المذاهب السياسية والأديان ، فما بال الأستاذ هيكل ، بكل ما يملك من ذكاء وقدرة على التحليل ، يعجز عن إدراك ما أدركه البسطاء ؟ ويضع نفسه فى خندق واحد مع صدام حسين والملك حسين وبقية الزعماء العرب الأقزام الذين تقاطروا على مؤتمر القمة العربية الطارئة فى يوم ١٠ أغسطس بنية تقويض أى حل عربى لايحقق للمعتدى العراقى الانتفاع الكامل بثمرة عدوانه واغتصابه ، فأفسحوا بذلك الطريق للتدخل الأجنبى بطلب من العرب أنفسهم وعلى حسابهم أيضاً !

ومع ذلك فإن هيكل يقلب الحقائق بجرأة ، فيلقى بالمسئولية عن فشل الحل العربى على مبارك وجابر وفهد ، ويصور المؤتمر فى صورة جزء من مخطط أمريكى لفتح الطريق أمام عمل عسكرى تقوم به الولايات المتحدة ، ثم يبنى على هذا التصور المغلوط سلسلة من المغالطات ، ويسوق معلومات هى أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة ، تصور الاحتلال العراقى للكويت فى صورة تبعد عن الواقع الأليم .

ولقد كان من هذه الصور ما زعمه الأستاذ هيكل من أن العراق فى فترة احتلاله كان ـ على حد قوله فى ص ٥٤٩ ـ «يفتح أبواب الكويت لأى قادم عربى ، بأمل اظهار أن الوضع هناك طبيعى» ! ومضمون هذا الكلام أن الوضع فى الكويت فى فترة الاحتلال العراقى كان وضعا طبيعيا لدرجة كانت تدعو النظام العراقى إلى إظهاره لأى قادم عربى !

فهل كان هيكل فى هذا الكلام يعبر عن رأيه ؟ أو كان يتحدث عن نتيجة توصل إليها ؟ أو أنه كان ينقل أكاذيب النظام العراقى ؟ من سوء حظ هيكل أن الصورة فى الكويت أثناء الاحتلال العراقى كانت تتناقض مع هذه الصورة التى رسمها تناقضاً تاما من جانبين .

الجانب الأول ، أن الأوضاع فى الكويت كانت من السوء بحيث لم يكن فى وسع النظام العراقى ، مهما بلغ من القحة ، إظهارها لأى عربى أو عجمى ! وأكتفى هنا بما أورده تقرير منظمة العفو الدولية فى ذلك الحين حول انتهاكات حقوق الإنسان التى ارتكبها النظام العراقى فى الكويت منذ غزو أغسطس .

ففى هذا التقرير ، وعدد صفحاته ٧٩ صفحة ، يتحدث عن التعذيب والقتل الذى مارسه جيش الاحتلال العراقى فى

الكويت ، والذى وصفه بأنه «متسق مع الانتهاكات المعروفة التى كان يرتكبها العراق منذ سنوات داخل حدوده» ! فأورد من هذه النماذج : «تعذيب الطفل العاجز ، وقتل الصبية رميا بالرصاص أمام آبائهم ، واغتصاب النساء بعد إخراجهن من منازلهن ، والتناوب على اغتصابهن ثم إيداعهن المستشفيات! وتعليق الضحايا فى الأسقف ! وقتل الكويتى وتركه معلقا على سارية ليراه الآخرون ! والصعق بالكهرباء فى المواضع الحساسة للرجال والنساء ، وغرس شظايا الزجاج فى أجسادهم ، ونزع أظافر الضحايا» .. إلى آخره !

ولعل الأستاذ هيكل يرى معنا أن هذه الصورة ليست مما يمكن للنظام العراقى إظهارها لأى قادم عربى بأمل إظهار أن الوضع هناك طبيعى - على حد قوله !

أما السبب الثانى فهو أنه لم يكن هناك أى قادم عربى يسمح النظام العراقى بدخوله الكويت ، إلا إذا كان متواطئا معه ! وربما كانت الوثائق العراقية الجديدة التى تركتها قوات العراق فى الكويت بينما كانت تسرع بالهرب ، هى أكبر شاهد على صحة ما أقول ، وعلى عدم صحة ما يقوله هيكل !

وهذه الوثائق قد جمعتها السلطات الكويتية بعد انسحاب القوات العراقية ، ونقلتها إلى «المركز الوطنى لوثائق العدوان العراقى على الكويت» بمقره المؤقت فى «مؤسسة الكويت للتقدم العلمى» . وقد دعانى للاطلاع عليها وفحصها الأستاذ الدكتور عبد الله الغنيم وزير التربية الكويتى السابق ورئيس المؤسسة ، وهى تفتح أحشاء الاحتلال العراقى للكويت ، وتكشف خفاياه وما حاول تضليل الرأى العام العالمى والعربى به .

وسأكتفى هنا بإيراد وثيقتين هامتين : الأولى وتحمل على رأسها كلمة «سرى» ، وصادرة من كتيبة دبابات العروبة فى ٢٤ صفر سنة ١٤١١ الموافق ١٤ أيلول ١٩٩٠ ، وموجهة إلى كافة السرايا ، وتقول إنه بناء على كتاب رئاسة أركان الجيش السرى ، يمنع دخول المدنيين إلى الكويت منعا باتا إلا بحالة الضرورة القصوى ، أو لمتطلبات يخول بذلك من قائد الفيلق شخصيا ، ولمرة واحدة . ثانيا ، منع دخول المراكب إلى الموانى الكويتية منعا باتا إلا فى حالة الضرورة القصوى أو لمتطلبات الواجب .

أما الوثيقة الثانية ، وهى وثيقة غريبة وخطيرة ، فصادرة من لواء المشاة الخامس والأربعين فى ١٤ ربيع الثانى سنة

١٤١١ الموافق ٣ تشرين الثانى سنة ١٩٩٠ ، بناء على كتاب رئاسة أركان الجيش السرى ، وتتضمن تخصيص مكافأة قدرها ألفا دينار لكل من يلقى القبض على متسلل إلى الأراضى الكويتية ! وتمضى على النحو الآتى : «تبلغ قواتنا فى محافظة الكويت وعلى حدود البصرة بأن الذى يُلقى القبض على المتسلل ، يكافأ بألفى دينار ، وينفذ رئيس الديوان وبالتنسيق مع الفريق علاء وضع مبالغ فى مقارات الفيالق لهذا الغرض» !

أليس معنى ذلك أن قوات الاحتلال العراقية قد حولت الكويت إلى سجن كبير لايستطيع أن ينفذ إليه أحد ، لدرجة تخصيص مبلغ ألفى دينار - وهو مبلغ ضخم - لكل جندى يقبض على متسلل ؟

فأين - إذن - هذا الوضع الطبيعى الذى زعم الأستاذ هيكل وجوده فى الكويت أيام الاحتلال لدرجة دعت النظام العراقى لفتح باب الكويت لأى قادم عربى ؟ أما كان على الأستاذ هيكل أن يتحرى جيدا أوضاع الكويت تحت الاحتلال العراقى قبل أن يكتب عن «الوضع الطبيعى» فيه ؟ أم أن منظوره البعثى العراقى للاحتلال العراقى للكويت قد صور له هذا الاحتلال فى صورة الوضع الطبيعى للكويت ؟

وفى المقابل لهذا الوضع ، الذى رآه هيكل وضعا طبيعيا للاحتلال العراقى للكويت ـ أى وضع انتهاك حقوق الانسان بتلك الصورة البشعة التى صورها تقرير منظمة العفو الدولية ـ نرى انسانية هيكل تتحرك بشكل متدفق وهو يتحدث عما أحدثته «عاصفة الصحراء» فى العراق من دمار! فهو يقول إن «العنف» قد مورس بدون أي نوع من أنواع الحساسية الإنسانية ، حتى لكأن العراق كله تحول إلى ميدان تجارب لأسلحة فتاكة تختبر مدى قدرتها على القتل بطريقة معملية مجردة (!) .

وفى ذلك يحمل هيكل «عاصفة الصحراء» المسئولية عما حاق بالعراق من دمار ، ويرفع هذه المسئولية عن صدام حسين ! مع أن اختيار الحرب والسلام كان فى يده وحده ، وكان يسانده إمعات المجلس الوطنى الذين رأيناهم فى التليفزيون يؤيدون الحرب بالاجماع ! كما كان يسانده قادة الجيش العراقى الذين كانوا متعطشين لاحتلال المزيد من الدول العربية ـ حسبما أورد هيكل بنفسه فى ص ٤٦٤ من كتابه عندما تعرض لزيارة الملك حسين لصدام حسين ليحدثه عن الانسحاب من الكويت ، فقد قال له صدام حسين بالحرف الواحد : يا أبو عبدالله ، إنهم يريدون ما هو أكثر من الكويت» !

فإذا كان صدام حسين يريد الحرب ، وكان إمعات المجلس الوطنى يريدون الحرب ، وكان قادة الجيش العراقى يريدون الحرب ، فأى غرابة - إذن - فى أن يذوقوا طعم الحرب ؟

وإذا كان الشعب العراقى لم يرفع صوت احتجاج واحد ضد احتلال الجيش العراقى للكويت ، بل أيد هذا الاحتلال بكل قوته ، واعتبره تحقيقا لأمل كان يراوده منذ أيام غازى مرورا بعبد الكريم قاسم فصدام حسين ، فكيف - إذن - تحركت انسانية هيكل مع المعتدى الذى يريد الحرب ، ولم تتحرك مع المعتدى عليه الذى فرضت عليه الحرب ؟

ويحرص هيكل على أن يقتبس فى كتابه أقوال اثنين من المؤرخين العسكريين فى جريدة الـ «واشنطن بوست» فى عدد ٢٣ يونيو ١٩٩١ ، يصفان هدف الضرب الجوى للعراق على يد طائرات التحالف بأنه «كان يمكن فهمه فى حالة حرب عالمية بين قوى صناعية كبرى طالت بينها المواجهة ، وحسمها فى النهاية يفرض حربا شاملة تضيع فيها أرواح بشرية كثيرة تكلف المهاجم تضحيات لاقبل له بها ، أما فى حالة دولة من العالم الثالث يراد كبح جماح قوتها العسكرية ،

فإن هذا الحجم من التدمير يستدعى عملية مراجعة استراتيجية قبل أن تكون انسانية» !

ولم يسأل هذان المؤرخان العسكريان نفسيهما : هل كانت قوة العراق العسكرية ، التى احتشدت أمامها قوات ثلاثين دولة ، هى قوة دولة عادية من دول العالم الثالث ؟ وفيها خمسون فرقة مدرعة وميكانيكية للمشاة ، وسبعمائة طائرة ، وسلاح صواريخ يرتكز على قرابة أربعمائة منصة للاطلاق ، وأسلحة كيماوية هددت بابادة العسكريين والمدنيين؟ وهل كانت بريطانيا وحدها ، أو فرنسا وحدها ، تستطيع قهر هذه القوة العسكرية بدون خسائر جسيمة فى الأرواح ؟

وما هو الفرق الحقيقى بين حرب عالمية تقوم فيما بين قوى صناعية كبرى ، وحرب الخليج التى اشتركت فيها قوات ثلاثين دولة ؟ ألا يكفى اشتراك ثلاثين دولة فى حرب لوصفها بأنها حرب عالمية ؟ أم أنه من الضرورى لأن تكتسب أية حرب صفة «العالمية» أن تكون بين دول صناعية كبرى فقط ؟

على أن هيكل يحرص على ايراد مثل هذه الآراء ، التى تعزز وجهة نظره فى أن توسيع أهداف الضرب الجوى للعراق كان لغير ضرورة ! ولايكتفى بذلك بل يتحفنا

بتفسيرات أخرى مثل أن ساحة الضرب الجوى كانت مجالا حيا لتجربة أسلحة جديدة لم تسبق تجربتها ! (ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩) ـ وكل ذلك لتصوير حرب تحرير الكويت فى صورة حرب تدمير العراق ! مع أنه يعرف جيدا أنه كان فى يد صدام وحده تحرير الكويت بدون تدمير العراق ، وذلك عن طريق الانسحاب منها سلميا !

ولأن هيكل يرتدى الحذاء العراقى ، فقد رأيناه يصور عملا استعراضيا بهلوانيا مثل ضرب اسرائيل بالصواريخ السوفيتية سكود فى صورة مضللة تزعم الرغبة فى اشراك الجماهير فى المعركة !

وعلى حد قوله : «عندما استبان حجم التفوق الأمريكى بعد الساعات الأولى من القتال ، فإنه بدا أن أمل العراق الحقيقى أصبح مرتكزا فى امكانية توسيع رقعة المعركة ، بحيث تدخل الجماهير العربية كطرف رئيسى فيها(!) وكانت الوسيلة لذلك ما أعلنه مجلس قيادة الثورة العراقى من قبل فى بيانه يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٩٠! ، وذلك بضرب أهداف فى اسرائيل إلى جانب ضرب منشآت البترول فى الخليج بواسطة صواريخه من طراز سكود . وكانت حسابات بغداد فيما يبدو ـ وهذه العبارة الأخيرة من نص كلامه ــ قائمة

على أساس أن توجيه صواريخ سكود إلى أهداف فى اسرائيل سوف يستدعى تدخلا اسرائيليا مباشرا فى المعركة، الأمر الذى يعبىء الجماهير العربية للمطالبة بنصرة العراق» !

وقد نسى هيكل فى هذا التحليل أن النظام العراقى لم يضرب اسرائيل وحدها ، وانما ضرب معها الرياض ! وهو مالم يستطع اخفاءه ، فقد أتبع ذلك بقوله ان العراق وجه ٣٩ صاروخا إلى اسرائيل ، و٣٦ صاروخا إلى السعودية ! .

وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يصور أقدام النظام العراقى على ضرب المدنيين فى الرياض واسرائيل بصواريخ غير دقيقة التصويب ، فى صورة عمل شرعى يستهدف منه صدام حسين ادخال الجماهير العربية فى المعركة كطرف رئيسى فيها ؟

ألا يعنى هذا التصوير أن هيكل يريد أن يرفع هذا العمل الاستعراضى ، الذى وصفه الرئيس مبارك بحق بأنه يشبه بمب الأطفال ، إلى مقام غزو اسرائيل الذى كان ينتظره العالم العربى من جانب النظام العراقى ؟ - وهو الغزو الذى بشرنا به طويلا ثم فاجأنا بغزو الكويت بدلا من اسرائيل ؟ !

على كل حال إذا كانت رؤية هيكل البعثية لإطلاق صواريخ سكود على اسرائيل والرياض قد جعلته يصورها على هذا النحو الذى كان يصورها فيه النظام العراقى ، فإن الجماهير العربية كانت أذكى ! لقد فهمت على الفور المناورة العراقية ، وأدركت أن الدكتاتور العراقى كان يقصد بضرب المدنيين فى اسرائيل الظهور بمظهر البطولة الزائفة ، وتحويل الأنظار عن احتلاله الآثم للكويت ، وتحويل قضية احتلاله للكويت إلى قضية حربه ضد اسرائيل ، وهى حرب عرفت الجماهير منذ اللحظة الأولى أنها حرب خاسرة ، لأن الانتصار على اسرائيل لايتم بضرب المدنيين الاسرائيليين ، وانما يتم بهزيمة الجيش الاسرائيلى !

بل إن الجماهير العربية تساءلت فى ذلك الحين : أين كان صدام حسين قبل ذلك ؟ ولماذا لم يوجه جيوشه إلى اسرائيل بدلا من أن يوجهها إلى الكويت ؟

ولقد كان ضربه للرياض بنفس الصواريخ التى كان يضرب بها اسرائيل ، كافيا فى حد ذاته لفضح الهدف الذى كان يقصده ، فلم يكن هذا الهدف قوميا عربيا بحال من الأحوال ، يستنفر الجماهير العربية للدخول فى المعركة ،

وإنما كان تخبطا أعمى من نظام عراقى عاش على الاستعراضات والشعارات الجوفاء .

والطريف ما فسر به هيكل عدم استجابة الجماهير العربية للمناورة العراقية . فلم يفسرها التفسير العلمى الصحيح الذى يتفق مع الواقع ، وانما زعم أن الجماهير لم تدخل المعركة لأنها «كانت من قبل الأزمة (كذا !) تعيش حالة احباط ويأس ، ثم أخذتها مفاجآت الأزمة على حين غرة ، وأصابتها بحالة من الحيرة والتمزق فى المواقف والتوجهات» ! وأنها شغلت بمتابعة الحرب التليفزيونية عن الدخول فى المعركة !فهل هذا معقول ؟

على أن هيكل لايكتب ذلك عبثا ، وانما يريد بكلامه عن حالة الاحباط واليأس التى كانت تعيش فيها الأمة العربية قبل أزمة الخليج ، أن يرفع عن النظام العراقى المسئولية عن وصول الجماهير العربية إلى هذه الحالة ! وفى الوقت نفسه يصور الجماهير العربية فى صورة جماهير لاهية بأول حرب تليفزيونية ، وليست جماهير محبطة بسبب ما أصيبت فى مشاعرها القومية من نكسة بعد رؤيتها دولة عربية كبيرة تلتهم دولة عربية صغيرة على نحو ما كان يفعل هتلر فى ألمانيا النازية من التهام الدول الأوروبية الصغرى .

وهذا تزوير صريح للتاريخ ! فلا يوجد مصدر معاصر يتحدث عن حالة احباط ويأس كانت تعانيها الأمة العربية قبل الغزو العراقى المشئوم للكويت ، بل من الثابت أن الجماهير العربية كانت قبل الغزو تتطلع إلى المستقبل فى أمل بعد قيام التكتلات الاقتصادية الاقليمية الممثلة فى مجالس التعاون الخليجى ، والعربى ، والمغاربى ، ولكن الاحتلال العراقى للكويت دهم هذه الآمال وبددها ، بعد أن وجه ضربة قاصمة إلى فكرة القومية العربية وحركة الوحدة ، وهدد الأمة العربية بحرب أهلية كانت كفيلة بإفنائها لولا التدخل العالمى ، الذى أنقذ مئات الألوف من الأرواح العربية التى كان محتما أن تزهق لو وقفت الجيوش العربية أمام الجيش العراقى المتعطش للتوسع ، لاجباره على الانسحاب من الكويت !

(١٥)

هيكل وفبركة التـــاريخ !

هيكل وفبركة التاريخ !

فى كثير من الأحيان ، وأنا أقرأ كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل ، تتردد فى ذاكرى كلمته التى سجلها فى مقدمة كتابه عن حرب الثلاثين سنة ، وفيها يقول : « ان لدينا هنا صراعا من نوع مثير ، فهو صراع على ذاكرة أمة يريد لها بعضهم أن تنسى فى منتصف الطريق من هى ؟ وإلى أين كانت قاصدة عندما بدأت رحلتها فى المستقبل ؟ ويريد لها آخرون أن تتذكر نفسها وطريقها والمستقبل» (ص٩ـ١٠).

وأتصور أن هيكل فى كتابه عن حرب الخليج قد وقف من هذا الصراع الدائر على ذاكرة الأمة العربية موقف من يريد لها أن تنسى من هى ؟ وإلى أين كانت قاصدة عندما بدأت رحلتها فى المستقبل ؟ ومن هنا تأتى مهمة هذه

---

* أكتوبر ـ ١٩ يوليو ١٩٩٢

السلسلة من المقالات فى الرد على هيكل ، وهى تذكير الأمة العربية بنفسها وطريقها للمستقبل !

وحتى لا يكون كلامنا تجريديا ، فإن حرب الخليج بدأت ـ كما هو ثابت تاريخيا وكما هو معروف ـ بغزو النظام العراقى للكويت فى يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠ . ولم يكن هذا الغزو يستند إلى أى أساس من الشرعية ، بل كان انتهاكا لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولى وميثاق جامعة الدول العربية وروابط العروبة والإسلام . وقد أثار هذا الغزو غضبا عالميا عبر عنه مجلس الأمن فى نفس يوم الغزو بقراره رقم ٦٦٠ الذى أدان فيه الغزو وطالب العراق بالانسحاب . وعندما أعلن النظام العراقى ضم الكويت ، اعتبر مجلس الأمن هذا القرار لاغيا ومعدوما ، وأصدر فى ذلك قراره رقم ٦٦٢ . واستمر اصدار مجلس الأمن قراراته حتى بلغت ١٢ قرارا . وقد اشتركت فى تحرير الكويت قوات ثلاثين دولة ، كان منها جيوش مصر وسوريا والسعودية والكويت وجيوش عربية واسلامية أخرى .

هذا هو التاريخ الصحيح الذى دخل فى ذاكرة الأمة العربية ، ومن هنا كان صراع هيكل لاخراج هذا التاريخ من ذاكرة الأمة العربية وادخال تاريخ آخر لايتصل من قريب أو بعيد بهذا التاريخ ! .. تاريخ يقلب الحقائق ، ويصور حرب

الخليج فى صورة حرب صليبية شنها الغرب المسيحى على العراق المسلم ! وتصوير العراق - بالتالى - فى صورة البطولة الاسلامية التى وقفت فى وجه جيوش الغرب المسيحية ، والوصول من ذلك إلى تصوير صدام حسين فى صورة صلاح الدين !

ففى تحليل هيكل لموقف المغرب العربى من أزمة الخليج، نراه ينسب هذا الموقف - فيما ينسب - إلى ما ظهر على التصرفات الأمريكية والغربية - وبالذات أحزاب أقصى اليمين الفرنسى واعلامها - من «إشارات صليبية كان المغرب العربى على استعداد لفهمها من أول لحظة» ! . ويقول إنه من هنا «فإن أزمة الخليج طرحت نفسها فى المغرب العربى كنوع من التحدى - حتى ولو كان يائسا - للإرادة الغربية الغالبة والمتحكمة ، وكنوع من التصدى لروح صليبية - أوروبية أمريكية - لاتخفى تعمدها إذلال العرب المسلمين ونهب مواردهم وسفك دمائهم» !

فهل هناك أى وجه شبه بين هذه الصورة التى رسمها هيكل والصورة التى دخلت فى ذاكرة الأمة العربية عن غزو دولة عربية قوية لدولة عربية صغيرة بليل ، واستعباد شعبها ونهب ثرواتها ؟

لقد سطا هيكل على ذاكرة الأمة العربية وسرق منها التاريخ الصحيح ـ تاريخ غزو وتحرير الكويت ـ ووضع مكانه تاريخا مزيفا هو تاريخ الحروب الصليبية !

ومن أجل ذلك فقد استعان بكافة المظاهرات مدفوعة الثمن التى حركها النظام العراقى فى بعض البلاد العربية ضد الحشود الغربية ، وصورها فى صورة مظاهرات مؤيدة للعراق !

ففى ص ٣٨ من كتابه يقول : «شهدت بعض المدن والعواصم العربية مظاهرات ضخمة تأييدا للعراق فى مواجهة التحشدات العسكرية الأمريكية التى تهيىء نفسها للانقضاض عليه وضربه ، وتكررت مشاهد هذه المظاهرات الضخمة فى الجزائر والرباط وتونس وعمان والخرطوم واليمن وغيرها ! بل لقد شهدت مدينة طرابلس مظاهرة اشترك فيها نصف مليون مواطن ، وكان الرئيس معمر القذافى بنفسه على رأسها» !

وبطبيعة الحال ، فإن هيكل يعرف جيدا الفرق بين تعبير «مظاهرات تأييد للعراق» ، وتعبير «مظاهرات معادية للتحشدات العسكرية الأمريكية» ! فالتعبير الأول يعنى موافقة

هذه المظاهرات على غزو العراق للكويت وضمها إليه ! وهو مالم تعلنه مظاهرة واحدة من هذه المظاهرات ، حتى فى الدول المتواطئة مع العراق فى غزو الكويت ، مثل الأردن والخرطوم واليمن ، فقد رفضت جميع الدول العربية بدون استثناء غزو العراق للكويت ، كما رفضت ضمه إليها .

أما التعبير الثانى ، فيعنى رفض الحل العسكرى الأجنبى لإنهاء غزو العراق للكويت ، وهو شىء آخر تماما .

فمعارضة العراق فى غزوه للكويت ، هو قاسم مشترك أعظم فى هذه المظاهرات العربية التى تحركت لمعارضة التدخل الأجنبى ، سواء حركتها النظم المتواطئة مع النظام العراقى ، أو دفع النظام العراقى ثمنها فى النظم العربية التى دفعت بجيوشها إلى جانب جيوش التحالف لتحرير الكويت ، مثل مصر ، فلم ترفع مظاهرة منها لافتة تحمل : «نعم للغزو العراقى للكويت»! وإنما كانت لافتاتها : «لا للتدخل الأجنبى» .

وهذا أمر طبيعى ، لأن موافقة أية دولة عربية على غزو العراق للكويت تحت ذريعة الحق التاريخى التى تذرع بها النظام العراقى ، تفتح عليها باب جهنم ! وتعرض حدودها

للخطر من جانب الدولة العربية المجاورة ، إذ يصبح من حقها تعديل حدودها معها وفقا للحق التاريخى !

ولذلك أذكـــر أننى فى ذلك الحين ، وأنا أتابع الأزمـــة بمقالاتى فى مجلة أكتوبر وجريدة الوفد ، وفى أحاديثى فى الاذاعات المصرية والأجنبية وفى التليفزيون المصرى ، حذرت من ذلك تحذيرا شديدا !

وعندمـا قـامت مظاهرة النصف مليـون فـى طرابلس التى رأسها القذافى بنفسه ، كتبت فى مجلة أكتوبر أقول بالحرف الواحد :

«إذا سُمح للعراق بالاحتفاظ بالكويت ، يمكن لمصر ذات القوة العسكرية الضخمة أن تستعيد من ليبيا - بالقوة العسكرية - واحة جغبوب وهضبة السلوم وباقى الواحات ! وسوف تكون حجتنا أقوى من حجة النظام العراقى فى احتلال الكويت ، فلم تكن الكويت فى يوم من الأيام أرضـا عراقية ، وادعاءات النظام العراقى التاريخية فى هذا الصدد هى ادعاءات كاذبة مضللة ، ولكن حجة مصر فى استعادة جغبوب وهضبة السلوم وبقية الواحات حجة يسندها التاريخ، فقد كانت هذه كلها أرضـا مصرية حتى فترة قريبة جدا ! بل

انه حين اضطرت مصر للتنازل عنها في سنة ١٩٢٥ لم تتنازل عنها لليبيا - التى كانت واقعة تحت الاحتلال الايطالى - وانما تنازلت عنها لإيطاليا بضغط من انجلترا التى كانت تحتل مصر ، وبالتالى فهى صفقة بين دولتين استعماريتين لم يكن للشعب الليبى دور فيها ، فلا هو طالب باقتطاع هذه الأراضى من مصر لضمها إلى ليبيا ، ولا كان حتى يفكر فى ذلك . ولذلك لم تكف مصر أبدا عن المطالبة برد هذه الأراضى إليها من ليبيا حتى عام ١٩٥٣» . (أنظر فى ذلك كتاب : «الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى» ، ص ١٠٣ - ١٠٤ - وهو يضم بعض مقالاتى فى أثناء الأزمة).

على أن هيكل يحول قضية معارضة المظاهرات العربية للتدخل الأجنبى العسكرى إلى قضية تأييد هذه المظاهرات للعراق ! ويستغل فى ذلك صعوبة ادراك القارىء للخيط الرفيع بين القضيتين ، ويتخذ من هذه المسألة ذريعة للترويج لصدام حسين ورفعه إلى مقام البطولة ! بينما كان هذا ينشب أظفاره فى جسد شعب عربى مسلم ، ويذيقه من النكال مالم يفعله هولاكو وأتيلا ملك الهون !

ولتأكيد هذه الصورة نراه ينتقى احدى القصص الدعائية الكاذبة التى كان الاعلام العراقى وقتها يبثها فى العالم ، وذلك بعد اعدادها اعدادا مسرحيا . وتقول القصة

المفبركة إن سيدة جزائرية وضعت مولودا فى نفس الوقت الذى انطلق فيه أول صاروخ عراقى فى اتجاه اسرائيل ، فذهب الوالد فى الصباح إلى مكتب السجل المدنى يطلب فيه قيد مولوده باسم «سكود» ! ولما رفض موظف السجل المدنى أن يقبل اسم الوليد باعتبار أن هناك قانونا جزائريا يمنع استخدام الأسماء الأجنبية فى تسمية المواطنين الجزائريين ، رفع الوالد قضية على مكتب السجل المدنى (!) مطالبا بحريته فى اختيار اسم وليده . وبعد أن قطعت اجراءات التقاضى شوطا ، اقتنع الوالد بأن القانون صريح ، فاختار لإبنه اسم «صدام» بدلا من «سكود» !

وبطبيعة الحال فإن هيكل يعرف جيدا «فبركة» مثل هذه القصص ، فهو أستاذ كبير ! لأن رغبة والد فى تسمية ابنه «سكود» ليست من الأحداث الكبرى التى يتوقف عندها الاعلام الجزائرى فى تلك الفترة الصاخبة التى تأخذ بخناق الأمة العربية ، ويتتبعه فى اجراءات التقاضى حتى يقلع عن الاسم ويستبدل به اسم «صدام» !

إن هذا قد يكون معقولا فى حالة ما إذا كان الوالد شخصية سياسية أو فنية كبيرة تسلط عليها الأضواء ، أما والوالد من عامة الشعب ، ومن بين عشرات الملايين من أبناء

الشعب الجزائرى ، فان انتقال الاعلام الجزائرى إليه لمتابعته فى اختيار اسم ابنه يصبح فى حكم المستحيل !

ترى لو اختار أحد أبناء الشعب الجزائرى لابنه اسم «باتريوت»! هل كان ينتقل إليه الاعلام الجزائرى لمتابعته !

ولكن هذه القصة هى أنموذج لما يقدمه هيكل فى هذا الكتاب فى أثناء صراعه على ذاكرة الأمة العربية ، ومحاولته تصوير حرب تحرير الكويت فى صورة حرب صليبية يشنها الغرب على العراق المسلم ، وتغييب وعى الشعب العربى لينسى جريمة غزو العراق للكويت ، ولا يذكر سوى نضال العراق المسلم ضد الغزو الصليبى تارة أو ضد الغزو الأمريكى تارة أخرى !

وفى هذا الخط الذى يروج لصدام حسين ، ينقل إلينا هيكل قصة أخرى من تلك القصص التى فبركها وأعدها النظام العراقى أثناء الأزمة ، فيقول إن احدى فرق أغانى الراى الجزائرية (ويشرحها بأنها «الصيحة الفنية العالية فى المغرب والمدوية فى أوروبا الآن») «تحمست لتقديم أغنية عن صدام حسين (!) لكن الاذاعة الفرنسية ، التى كان التسجيل يعد لها ، رفضت إذاعتها» !

وبطبيعة الحال فإن هيكل لا يذكر لنا اسم هذه الفرقة ، وما إذا كانت من الدرجة الثالثة أو الرابعة أو العاشرة ! فالتجهيل مطلوب وواجب فى أمثال هذه القصص المفبركة ! وهيكل لا يعنى نفسه اطلاقا بمناقشتها ، بل ينقلها كما هى لاستخدامها فيما أعدت وفبركت له بالفعل، وهو الترويج للنظام العراقى، وتمجيد ما فعله من غزو الكويت، ورفع صدام حسين إلى مقام صلاح الدين .

وفى الوقت نفسه لايتردد هيكل فى أن يورد فى كتابه روايات مفبركة أخرى تظهر تخبط وانخفاض الروح المعنوية فى الجانب العسكرى المصرى المواجه للعراق !

فقد أورد رواية تقول إن بعض الجنود المصريين والسوريين كانوا يتابعون نشرات الأخبار من احدى محطات الإذاعة التى استطاعوا التقاط موجاتها فى معسكراتهم فى حفر الباطن ، عندما أطلق العراق فى ليلة الثامن عشر من شهر يناير ١٩٩١ أول صاروخ من طراز سكود ليسقط وينفجر على أطراف تل أبيب . ويقول هيكل إنه « إنه «فور سماعهم النبأ لم يتمالك بعضهم نفسه ، مع تباعد المواقع ، من أن يطلق صيحة التكبير والتهليل متكررة عدة مرات ، ثم فجأة توقف التكبير والتهليل ، فقد تذكر الجنود أين هم ؟ ولماذا ؟ وكان على بعضهم أن يتوقع لوما ، وقد جاءه (!)

وعلى بعضهم أن يتوقع تأديبا ، وقد ناله (!)» . ثم يعلق هيكل على هذه الرواية بقوله : «كان هذا المشهد الغريب تعبيرا تلقائيا وصادقا عن حالة أمة بأسرها ، لاتعرف فى أى مكان هى ؟ ولماذا ؟ وإلى أين ؟ .

ولست أدرى من أين استقى الأستاذ هيكل هذه الرواية المفبركة : هل استقاها من المصادر المصرية المسئولة ، أو استقاها من المصادر العراقية ؟ .

وقد كان علىّ أن أحقق هذه الواقعة بنفسى ، فاتصلت بأعلى مصدر مسئول فى الجيش المصرى فى ذلك الوقت (وقد رفض أن أذكر اسمه صراحة اكتفاء بتحديد أنه كان أعلى مصدر مسئول فى ذلك الحين) ، وقد أكد لى أنه لم يصل إلى القيادة العليا أى علم بواقعة من هذا النوع !

وكان الشىء الآخر الذى أكده أنه لم يحدث تأديب لجنود على مثل هذه الواقعة ! وحتى أتأكد من هذا الكلام فقد سألت المصدر العالى : هل من الضرورى أن يصل إلى علمه مثل هذه الواقعة لو وقعت ؟ وكانت الاجابة بالتأكيد .

وعلى ذلك فإن هذه الرواية تدخل فى تصنيف الرواية المفبركة عن الوالد الجزائرى الذى أراد تسمية ابنه «سكود» ثم عاد فأسماه «صدام» ! وكذا رواية الفرقة الموسيقية

الجزائرية التى كانت تريد تقديم أغنية عن صدام حسين للاذاعة الفرنسية ثم منعت ! - أى تصنيف الروايات التى أعدها جهاز النظام العراقى الدعائى وأخرجها ودفع ثمنها ، أو الروايات الأخرى التى أشاعها دون أن يكون لها أى أساس من الحقيقة .

وفى الوقت نفسه يحرص الأستاذ هيكل على تشويه قضية تحرير الكويت ، وتبرير الغزو العراقى بسوق الروايات التى تصور السفه فى الانفاق من جانب أثرياء الكويت والسعودية .

ومن الروايات التى يسوقها فى هذا الصدد أنه فى ليلة انفجار الأزمة ، كان الشيخ حسن عنانى ، وهو أحد أثرياء السعودية والصديق المقرب من دوائر الأسرة الحاكمة - يخسر ١٢ مليون دولار على مائدة القمار فى سهرة واحدة فى مونت كارلو ! ويضيف انه من المفارقة ان الخبر نشر فى الصحف جنبا إلى جنب مع أنباء غزو الكويت !

ثم يقول :ان الصحف ، وبينها جريدة «التايمز» ، كانت تنشر وقتها أن طائرة خاصة لاتزال تحمل كل يوم من جزيرة «أوركنى» فى اسكتلندا إلى السعودية خمسمائة كيلو جرام

من المحارات البحرية التى تشتهر بها هذه الجزيرة ، وهذا برغم الأزمة ـ على حد قوله ! ـ ويعلق على ذلك بأن بعض المترفين لم يكونوا على استعداد لتغيير نمط حياتهم» !

وإذا لم يكن هيكل يسوق هذه الروايات فى كتابه لتبرير غزو العراق للكويت فلماذا يسوقها ؟ هل يسوقها لإدانة هذا الغزو ؟ أليست أمثال هذه القصص مما يدخل فى اطار ماكان النظام العراقى يروج له من فكرة اعادة توزيع الثروة العربية كاحدى مبررات غزو الكويت ؟

وعلى طريقة هيكل فى ايراد روايات مجهولة المصدر مما كان يروجه النظام الدعائى العراقى ، مما سبق ذكره ، فقد أورد رواية تعزز الصورة التى رسم بها حرب الخليج ، وهى أنها لم تكن لتحرير الكويت وانما كانت حربا صليبية شنتها الدول الغربية المسيحية ضد العراق المسلم . فقال انه فى أثناءالأزمة «ظهرت على شاشات التليفزيون فى أكثر من بلد عربى وإسلامى (هكذا بدون تحديد !) صور على شبكة الـ «سى . إن . إن» (C.N.N) توسطت اطارها طائرة تحمل الصواريخ ، وقد كتب عليها الجنود رسائل بالطباشير الأبيض موجهة إلى أهدافها تقول للعراقيين : «نادوا على الله، فإذا لم يستجب لكم ، نادوا على المسيح» ! كما ظهر على عدد

آخر من الصواريخ رسائل أخرى بالطباشير تقول : «نادوا على الله ، فإذا لم يستجب لكم فنادوا على شوارتزكوف» !

وللقــارىء الذى لايصــدق رواية هيكل أن يرجع - إذا استطاع ! - إلى أرشــيف أفــلام شــبكة «السى . إن . إن» C.N.N للتحقق ! وهو أمر مستحيل بطبيعة الحال على القارىء والمختص . فإذا عجز عن ذلك فعليه أن يرجع إلى من شاهدوا هذه الصور فى «أكثر من بلد عربى واسلامى» ! وهم مجهولون أيضا ! وكل هذا يوضح نوعية الوثائق التى استند إليها هيكل فى تأليف كتابه العجيب !

(١٦)

هيكــل ولغز تحرير الكويت

هيكل ولغز تحرير الكويت!

إذا كُتب تاريخ الإعلام العربي في يوم ما ، فسوف يثبت أن نظاماً سياسياً ما لم يول من الاهتمام للاعلام ما أولاه النظام العراقي ! ففي الوقت الذي كان هذا النظام يعد خططه لغزو الكويت كان يمد رسله إلى كافة أنحاء العالم العربي لشراء الصحف والأحزاب المعارضة بالأثمان الباهظة، وكان يستدعي إلى مؤتمراته العديد من أصحاب الفكر والرأي من كافة الاتجاهات السياسية ليغمرهم بخيره ، ويمنحهم الهبات المالية وعربات المرسيدس الغالية الثمن ، وبعضهم لم يكن يمتلك عربة فيات ١٢٨ !

وقد ظن أنه يستطيع شراء الصحفيين والكتاب المصريين في إحدى المرات بعربات المرسيدس ، ولكن صحفيا مثل الأستاذ صلاح منتصر نصح الرئيس صدام حسين بأن يدفع

* أكتوبر ـ ٢٦ يوليو ١٩٩٢

للمصريين ، الذين عملوا فى العراق وخدموا اقتصاده ، أجورهم بدلا من إهداء هذه السيارات !

وعندما كنت فى المغرب منذ أيام عرفت أن رسل النظام العراقى قبل غزو الكويت كانوا قد قاموا بزيارات خاصة لصحف وأحزاب المعارضة ، الأمر الذى كان له أثره فى وقوف المعارضة المغربية فى واد والملك الحسن فى واد آخر !

وفى مصر ، استطاع رسول النظام العراقى فى القاهرة إقناع جريدة الشعب بالعمل كلسان ناطق باسم النظام العراقى إلى حد وقوف جريدة الشعب إلى جانب الجيش العراقى ضد الجيش المصرى ! وهو مالم يسبق له مثيل فى أى بلد فى العالم كله ، حيث جرت العادة على أنه إذا خرج الجيش الوطنى للحرب فإن جميع القوى السياسية وكافة صحفها تقف وراءه !

وقد كان من سوء حظ الأستاذ محمد حسنين هيكل اعتماده ـ لحد كبير ـ فى كتابه عن حرب الخليج على المادة الإعلامية التى «فبركها» النظام العراقى قبل وأثناء أزمة الخليج ، وسوقها للقارىء فى شكل حقائق !

وقد ذكرنا فى مقالنا السابق نماذج من هذه المادة المفبركة ، مثل الوالد الجزائرى الذى أراد تسمية ابنه سكود ثم أسماه

صداماً ، والفرقة الموسيقية الجزائرية التى أرادت تسجيل أغنية عن صدام ولكن الإذاعة الفرنسية رفضتها ! ثم قصة الجنود المصريين فى حفر الباطن الذين عوقبوا لتكبيرهم وتهليلهم عند سماع إطلاق العراق صاروخ سكود على تل أبيب ! مع أن المنطق يقول بأنهم كانوا جديرين بأن ينزعجوا لأن استخدام صدام حسين لهذه الصواريخ فى الحرب معناه أنها سوف تصل إليهم بالضرورة لتدميرهم !

ومن نفس هذه المادة الإعلامية العراقية الفاسدة ساق هيكل مثل هذه الرواية المضحكة عن السيدة الكويتية الثرية التى أهدت جيش الاحتلال بضائع تساوى أربعة ملايين دولار! وقد ساقها هيكل فى شكل مؤثر فكتب يقول : إن «سيدة تنتمى إلى عائلة تجارية عريقة فى الكويت (لايذكر اسمها ولا اسم عائلتها !) لم تقاوم ، ولم يكن ذلك فى وسعها، لكى تمنع استيلاء الجيش العراقى على مخازن تجارة أسرتها التى كانت تشمل ضمن ما تشمل تجارة المواد الغذائية ، ولقد قامت هذه السيدة بتسليم مفاتيح المخازن ، وفيها بضائع تساوى أربعة ملايين دولار لضابط عراقى كبير(!) وكان تعليقها فيما بعد : «لقد كان كل ما بدا لى فى هذه اللحظات أننى أمام شباب عربى منهك من المشى والسفر، وأحسست بأنهم جوعى وحيارى ، ولم أستطع أن

أقنع نفسى فى هذه اللحظة أن بيني وبينهم حالة من العداء يصعب اجتيازها» !

هكذا يصور الأستاذ هيكل إحدى حالات السطو العديدة التى قامت بها قوات الاحتلال العراقية فى الكويت فى هذا الشكل الرومانسى الذى يتناقض حتى مع أبسط المشاعر البشرية التى يعرفها كل فرد . وليتصور القارىء العزيز لو أن جنود جيش احتلال قاموا بالاستيلاء على مخازن تجارته بالقوة ، كيف يكون شعوره تجاه هذا الجيش الغاضب : هل يرتفع هذا الشعور إلى هذا المستوى الشاعرى ، فينسى ثروته المغتصبة ولايذكر سوى منظر المغتصبين المنهكين من المشي والسفر والجوع والحيرة ! ويقوم بتسليم مفاتيح المخازن فى تلقائية ويسر ورغبة ؟ أو أن مشاعر الغيظ والكمد والحزن والرغبة فى الانتقام هى التى تتملكه ؟

ولكن هذا أنموذج لتصوير هيكل احتلال العراق للكويت فى شكل يتفق مع الرؤية العراقية ، مهما تناقضت هذه الصورة مع الواقع الفعلى ! ولذلك فهو يعنى بتصوير الجنود العراقيين فى صورة الجنود الذين كانوا يتوقعون عند غزوهم الكويت «استقبالا وديا وحارا» ! ويقول إنهم تعلموا فى المدارس منذ الطفولة ـ سواء فى العصر الملكى أو الجمهورى فيما بعد ـ أن الكويت جزء من العراق فصلته السياسة

البريطانية عنوة واقتدارا . فإذا جاءت القوات العراقية الآن للكويت ، فهى إذن عملية تحرير أكثر منها عملية غزو» ! (ص ٤٢) .

وهذا الكلام من جانب هيكل قد يبدو معقولاً فى حالة واحدة فقط ، وهى أن يكون الجنود العراقيين قد تعلموا كذلك فى المدارس أن الكويتيين يعرفون أيضا أنهم كانوا جزءا من العراق فصلته السياسة البريطانية عنوة واقتدارا ، وأنهم يتوقون للتخلص من أسرة الصباح الحاكمة ، ويرغبون فى أن تأتى إليهم القوات العراقية محررة ! أما والحقيقة هى عكس ذلك تماماً ، وكان الجنود العراقيون يعرفون جيداً أن الكويتيين يرفضون الادعاءات العراقية ويلفظونها ويريدون الاحتفاظ باستقلالهم عن العراق - وهو استقلال لم يمس حتى تحت السيادة العثمانية - فإن تصوير هيكل لمشاعر الجنود العراقيين يكون قد استقاها من المصادر العراقية ، التى هى صاحبة مصلحة فى هذا التصوير .

وللإنصاف فإن الأستاذ هيكل لايسوق هذا الكلام فى شكل تقريرى ، وإنما يسوقه فى شكل اجتهاد شخصى ! فهو يحرص على استخدام تعبير «فيما يبدو» - أى أنه لايؤكد وإنما يستنتج !

وفى إطار هذه الاجتهادات الشخصية ـ التى لاتستند إلى أى أساس تاريخى أو سياسى ! ـ يقدم الأستاذ هيكل اجتهادا آخر يستهدف به طعن وتجريح الشرعية فى الكويت، فيقول :

«وربما خطر لبعض العراقيين أن الشعب فى الكويت سوف ينظر للقوات العراقية ليس كقوات محررة فقط، ولكن كقوات مخلصة من تعنت أسرة الصباح» ! ـ أى أن هيكل هنا يصور الشعب الكويتى واقعاً تحت قهر سببه تعنت أسرة الصباح !

ولكى يؤكد هيكل هذه الصورة ، فهو يستعين بموقف المعارضة الكويتية ! فعندما يتحدث عن البيان الذى أصدرته الحكومة الكويتية فى المنفى تطلب فيه من سكان الكويت وقف أعمال المقاومة ، يقول إن عددا من الشخصيات البارزة فى المجتمع الكويتى أبدوا عدم موافقتهم على هذا البيان أثناء اجتماع المؤتمر الوطنى الكويتى فى جدة فى نهاية شهر أكتوبر، «لأنه يحرم أهل الكويت من دور فعال فى تحرير وطنهم ، ومن ثم حقهم المؤكد فى المشاركة فى توجيه مستقبله فيما بعد (!) وكان ظن هذه الشخصيات الكويتية البارزة أن أسرة الصباح لاتريد لأهل الكويت أن يشاركوا اليوم فى

المقاومة ، لكيلا يتأكد حقهم غداً فى أن يشاركوا فى القرار السياسى» !

وبهذا المنطق المغلوط يتصور هيكل أن المقاومة الكويتية ، التى تعطى الحق لأصحابها فى المشاركة فى القرار السياسى ، هى فقط المقاومة داخل الكويت تحت الاحتلال ، وليست المقاومة التى كانت تجرى خارج الكويت ! مع أن أبسط تحليل للموقف يكشف فى وضوح تام أن المقاومة الكويتية فى الداخل لم يكن فى وسعها ـ مهما اتسع نطاقها وامتد تأثيرها ـ أن تحسن الموقف بالنسبة لجيش الاحتلال العراقى !

فقد كان هذا الجيش يضع فى الميدان ـ كما ذكرنا ـ أكثر من خمسين فرقة مدرعة وميكانيكية للمشاة ، ويقيم حول وأمام قواته حواجز وموانع ملأ بعضها بالبترول ، بحيث يمكن تحويلها إلى خطوط نار عند اللحظة المناسبة ليكون منها خط دفاع أول ، وأنشأ حول مواقعه وأهدافه الحيوية شبكة من الدفاعات استعمل فيها قرابة عشرة آلاف مدفع مضاد للطائرات !

إن مثل تلك المقاومة الداخلية لم تكن فقط عاجزة عن التأثير على قوات الاحتلال وتحرير الكويت ـ وبالتالى عاجزة

عن الاستناد إلى هذه المقاومة فى المطالبة بالمشاركة فى الحكم - وإنما كانت تهدد بانقراض الكويتيين فيما لو طال زمن الاحتلال !

فالشعب الكويتى قليل العدد إلى درجة لاتحتمل خسارة كبيرة فى تعداده ، وقد كان يسعد قوات الاحتلال العراقية التخلص من الكثيرين منه عن طريق المقاومة !

ومن هنا جاءت مطالبة الحكومة الكويتية فى المنفى لسكان الكويت بوقف أعمال المقاومة ، وذلك لإيقاف النزيف فى عدد هؤلاء السكان فى غير طائل ! فالمعركة كانت فى ذلك الحين على وشك أن تحسمها جيوش ثلاثين دولة ، ولم تكن هذه المعركة فى حاجة إلى مقاومة داخلية لزيادة فاعليتها وضمان نتائجها.

وهذه الحقيقة تنسف الأساس الذى بنى عليه الأستاذ هيكل الزعم الذى ساقه عن الشخصيات الكويتية البارزة المزعومة التى تصورت أن أسرة الصباح لاتريد لأهل الكويت الاشتراك فى المقاومة حتى لايترتب لهم حق فى المشاركة فى الحكم ! ذلك أن هذه الشخصيات الكويتية البارزة كانت تعلم أن القوة الحاسمة التى تحرر الكويت هى الشرعية ورموزها الممثلة فى أسرة الصباح الحاكمة ، وليست المقاومة الداخلية،

وأنه لو كانت قوات الاحتلال العراقية قد أفلحت فى اقتناص أسرة الصباح لما أصبحت للكويت قضية !

وهذا ما يعترف به هيكل . ففى ص ٣٦٠ من كتابه يقول: «كان المفروض أن يتم أسر الأمير وأفراد عائلته الأقربين ـ على الأقل ـ حتى لايظل هناك من يملك حقاً ، أو ظل حق شرعى فى طلب النجدة من الدول الأخرى . فالحاصل أن الشرعية فى هذا النوع من النظم التقليدية لاتقوم بدور الحكم فحسب ، وإنما تقوم بنوع من الأبوية التى يحق لها وحدها أن تتكلم مادامت كانت قادرة على الكلام أو قادرة على الحياة ، فإذا تكلمت فإن كلامها هو المسموع ، وإذا بقيت حية فإن رأيها هو المنتظر ، ولايستطيع أحد أن يصم أذنيه أو يتصرف دون إشارتها . وكان مؤدى ذلك أن الغزو العراقى للكويت وإن نجح فى احتلال البلد ، لم ينجح فى السيطرة على رموز الشرعية فيه ، وحتى إذا كانت هذه الرموز قد خرجت من البلاد ، فإنها لم تترك شرعيتها وراءها وإنما أخذتها معها» .

هذا النص الذى استقيناه من كتاب هيكل يوضح جيداً أن الكاتب الكبير يعرف جيدا حل لغز تحرير الكويت ، وهو اللغز الذى اخترعه فى كتابه ! فهو يعرف أن الذى حرر الكويت هو الشرعية وليس المقاومة الداخلية مهما اتسع نطاقها .

ومع ذلك فهو ينسب إلى شخصيات كويتية بارزة (لايحدد أسماءها) الجهل بهذه الحقيقة ، بل ينسب إليها الجهل بحقيقة أن المقاومة الداخلية لم يكن ثمة تأثير لها فى معركة عالمية من هذا النوع الفريد فى التاريخ غير إراقة الدماء بغير جدوى ! كما ينسب إليها أيضا الجهل بحقيقة أن الشرعية الكويتية هى التى استطاعت تعبئة قوات ثلاثين دولة عندما قدمت طلباً رسمياً بالمساعدة للحكومة الأمريكية والحكومات الصديقة ، ولم تعبىء هذه القوات الدولية المقاومة الداخلية !

وهذا الكلام لايقلل من شأن المقاومة الكويتية فى ظل الاحتلال العراقى ، التى قاتلت فى أصعب الظروف . وهى مقاومة يظلمها هيكل حين يصفها بأنها لم تكن كبيرة ! وينسب ذلك لسبب لست أظن أنه يصدقه ، وهو أن وحدات قوات الجيش العراقى - حسب زعمه - «كانت تحت أحكام صارمة بأن تتصرف مع سكان الكويت بأقصى درجات الانضباط والاحترام ، وذلك لترسيخ المقولة العراقية بأن ضم الكويت هو بمثابة جزء من وطن عاد إليه» ! وهو زعم يريد به هيكل ـ كما هو واضح ـ تبرئة القيادة العراقية وتحسين صورتها ، لأنه يعرف أن القوات العراقية تصرفت على عكس ذلك تماماً ! ولكنه يبرر ذلك بأن «مظاهر الغنى والوفرة فى

الكويت كانت إغراء لايقاوم بالنسبة لجنود جاءوا جميعاً من مناطق ريفية بسيطة» ! ومعنى هذا الكلام أن القيادة العراقية كانت تتصرف على أساس قومى ولكن الجنود العراقيين كانوا يتصرفون على أساس اقتصادى !

والمهم هو أن الوثائق العراقية التى تركتها القوات العراقية عند انسحابها السريع من الكويت تكشف من خفايا المقاومة الكويتية ما لم يكن معروفا ، وهى مقاومة اشتركت فيها النساء إلى جانب الرجال !

ففى إحدى الوثائق ، وتحمل عبارة «سرى للغاية» وصادرة من مقر كتيبة مدفعية مضادة للطائرات رقم ٢٠٠ فى أول تشرين الأول (أكتوبر) تقول : «توافرت لدينا معلومات تشير إلى أن بعض النساء فى محافظة الكويت يقمن باستدراج الجنود العراقيين ، وإغرائهم للذهاب معهن ، ومن ثم القيام باغتيالهم» ! وتطلب التنسيق مع الجهات الأمنية بصدد متابعة الموضوع والسيطرة على دخول العسكريين إلى البيوت» !

وفى كتاب صادر من رئاسة الجمهورية العراقية ـ السكرتير ـ مديرية الاستخبارات العسكرية العامة ـ منظومة استخبارات الخليج ، إلى مديرية مخابرات الخليج ، أشار

إلى كتاب مديرية الاستخبارات العسكرية العامة السرى ، المتضمن ورود معلومات عن طريق استراق مكالمة هاتفية بين فتاتين فى «محافظة الكويت ، تطرقت إلى المواضيع الآتية : «أ» أغان وطنية تمجد الكويت» ، وتنشد عودة الحكومة «المقبورة» (!) لها . «ب» الفتاة تحرض صاحبتها للقيام بأعمال تخريبية ، حيث تقول لها : يجب على كل فرد كويتى أن يقتل جندياً عراقياً . «جـ» تهجمت الفتاة على الأشخاص الذين غادروا الكويت ولم يصمدوا من أجل تحريرهم من الغزو العراقى» !

وواضح من الرسالة أن جيش الاحتلال العراقى كان يتصنت على مكالمات المواطنين الكويتيين العاديين ، الأمر الذى يوضح أن الكويت كانت قد تحولت إلى سجن كبير ! ويرجع تاريخ الرسالة السرية إلى ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٩٠ .

وقد ضربت القوات العراقية الحظر الكامل على الأنباء الخارجية لحرمان الكويتيين من معرفة ما يدور خارج الكويت من استعدادات لتحريرها ، فالفتاة فى هذه الرسالة تلوم كل من غادر الكويت متصورة أن التحرير يأتى من الداخل عن طريق أعمال المقاومة ، ولا يأتى من الخارج !

وتمتلىء جعبة الوثائق العراقية بكثير مما يوضح انتشار المقاومة الكويتية ، وهو ما سوف نعود إليه مرة أخرى ، ولكن مايهمنا فى هذا المقال كشف الطريقة التى يتعامل بها الأستاذ هيكل مع التاريخ ـ تاريخ هذه الحرب التى تمثل نقطة تحول فاصلة فى تاريخ الأمة العربية المعاصر .

فقد حرص الأستاذ هيكل على أن يلمح فى كتابه إلى أن غزو العراق للكويت لايعد أمراشاذاً فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، بل له سوابق تبيح للنظام العراقى القيام بهذه المغامرة . فيقول فى ص ٤٩ !

«إن استعمال القوة فى العمل العربي / العربى له سوابق ، بعضها قريب إلى حد ما ، وبعضها قريب جداً . ومن بين القريب إلى حد ما ـ على سبيل المثال ـ أن سلطان نجد عبد العزيز آل سعود ، هجم على مملكة الحجاز واحتلها كلها وضمها إلى سلطانه ، جاعلاً من الاثنتين : نجد والحجاز ، مملكة واحدة تحمل اسم أسرته . وهكذا قامت المملكة العربية السعودية » .

والرسالة هنا واضحة لاتغيب عن فطنة القارىء ، فما دام عبد العزيز آل سعود هجم على مملكة الحجاز واحتلها وضمها إلى سلطانه ، فليس لخلفائه فى السعودية

ولا لأصدقائهم فى مصر وسوريا أن يعترضوا على هجوم صدام حسين على الكويت واحتلالها وضمها إلى سلطانه وتسميتها باسم «المحافظة رقم ١٩» !

ويرتكب هيكل بذلك مغالطة كبيرة ، فلم يكن قد سبق أن كونت الأقطار التى تتألف منها المملكة العربية السعودية اليوم وحدة سياسية أو جغرافية أو اقتصادية قبل تحويل عبدالعزيز آل سعود لها إلى كيان موحد بقوة السيف والعقيدة ، وإنما كانت أجزاء من إمبراطوريات عربية وإسلامية كبيرة ضمت ، بالإضافة إليها ، أقطاراً عربية أخرى وأقطاراً غير عربية .

ولم يكن الأمر كذلك بين العراق والكويت . فقد كانت الكويت وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية ، ودولة مستقلة ذات حدود سياسية معترف بها دولياً ، وهى عضو فى جامعة الدول العربية وفى هيئة الأمم المتحدة . ومن هنا فإن احتلالها وضمهامن قبل دولة عربية كبيرة مستقلة مثل العراق ، يعد أمرا ليس سابقة بالفعل فى العلاقات العربية - العربية المعاصرة .

ومن هنا حجم الجريمة التى ارتكبها صدام حسين بغزو الكويت ، ومن هنا أيضا حجم الخطأ الذى ارتكبه الأستاذ هيكل فى كتابه بتبرير هذه الجريمة !

(١٧)

هيكل وأزمة اللواء بلال!

هيكل وازمة اللواء بلال!

عندما كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل كتابه عن حرب الخليج ، لم يكن يكتب عن حرب انتهت ، وإنما كان يكتب عن حرب يعرف أنها ما زالت تدور رحاها ، فصدام حسين ما زال متربعا فوق السلطة رغم الهزيمة العسكرية والخراب والدمار الذى الحقه بالعراق ، وقرارات مجلس الأمن التى قبلها صدام لإنهاء الحرب وانقاذ عنقه لم يتحقق تنفيذها بالكامل بعد ، واحتمالات تجدد الحرب فى حالة عدم أستجابة النظام العراقى لتنفيذ أحد القرارات ما زالت قائمة، وآخرها الذى يجرى وقت كتابة هذا الكلام بسبب رفض صدام حسين السماح لفريق التفتيش الدولى بتفتيش مبنى وزارة الزراعة المشبوه .

---

* أكتوبر ـ ٢ اغسطس ١٩٩٢

ومعنى ذلك أن كتاب هيكل لاينصب على الماضي ، ولا يتعلق بأحداث تاريخية ، وإنما هو كتاب ينصب على الحاضر، ويتعلق بأحداث جارية !

وهذا يفسر صراع هيكل على محو ذاكرة الأمة العربية ، وإلغاء العقل العربي ، وتقديم تاريخ لحرب الخليج يتفق مع استمرارية المعطيات العراقية وادعاءات النظام العراقي وحقوقه التاريخية المزعومة في الكويت ، التي ما زال يعبر عنها برفض ترسيم الحدود بينه وبين الكويت الذي تم على يد الأمم المتحدة من جانب ، ومن جانب آخر باستمراره في اطلاق اسم «محافظة الكويت» في صحفه على «دولة الكويت».

نحن - إذن - أمام عمل سياسي يكتبه هيكل لخدمة النظام العراقي ، يطرح فيه - بمهارة - معتقدات يريد أن يرسخها في ضمير الأمة العربية دون أن يكون لها أي سند من الحقيقة التاريخية ، لتغيير صورة الأزمة كما ارتسمت في ذاكرة الأمة ، وكما حدثت بالفعل ، واحلال الصورة التي رآها بها النظام العراقي مكانها .

وعلى سبيل المثال ، فقد زعم هيكل في كتابه أن الحوار العربي بين أطراف الأزمة توقف بعد ساعات من فجر يوم ٢

أغسطس ١٩٩٠ ، بينما استمر هذا الحوار بين أطراف الأزمة الآخرين : أى الولايات المتحدة وحلفائها !

وفى ذلك كتب يقول :

«والغريب أن أطراف الأزمة الآخرين كانوا يتحاورون ، لتحقيق هدف لم يكن عليه فى النهاية خلاف ، وهو ضرورة خروج العراق من الكويت . وقد ظل الكونجرس الأمريكى - على سبيل المثال - يناقش كل الممكنات إلى يوم ٦ يناير ١٩٩١، أى قبل أيام معدودة من بدء الحرب ليلة ١٧ يناير ١٩٩١، أما عندنا فقد توقف الحوار بعد ساعات من فجر ٢ أغسطس ١٩٩٠» ! (ص ١٤) .

فهل هذا معقول ؟ إن هيكل فى هذه الفقرة يتجاهل تماما كل ما قام به الرئيس محمد حسنى مبارك من اتصالات وحوار منذ علم بالغزو حتى دعوته فى المؤتمر الصحفى الذى عقده يوم ١٩٩٠/٨/٨! إلى اجتماع القمة العربية الطارئة يوم ١٠ أغسطس ١٩٩٠ !

وهذا الاتجاه من جانب الأستاذ هيكل يحذو فيه حذو النظام العراقى الذى سعى - منذ بداية الأزمة - إلى انكار جهود الرئيس مبارك الساعية إلى احتوائها .

فعندما توجه الرئيس مبارك فى يوم ٢٤ يوليو ١٩٩٠ إلى بغداد ، وقابل صدام حسين ومعه مشروع تهدئة يقضى بوقف الحملات الاعلامية بين العراق والكويت وبدء المفاوضات بينهما ، فوجيء على الطائرة عند عودته إلى القاهرة بتصريح منسوب إلى طارق عزيز يزعم فيه أن اللقاء بين مبارك وصدام انما كان مخصصا لبحث قضايا ثنائية فى العلاقات بين البلدين ، ولم يكن عن أزمة الخليج كما روجت الأنباء السابقة ! وأحس الرئيس مبارك أن هذا التصريح ليس منصفا فى حق الجهود التى بذلها ، وأنه محاولة لافراغ رحلته من مضمونها الحقيقى ، وتحجيم دوره فى محاولة حل أزمة دهمت العالم العربى .

وقد أورد هيكل بنفسه هذه القصة فى ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠ من كتابه ـ أى أنه يعرفها ! ومع ذلك فقد واصل بنفسه محاولات النظام العراقى فى افراغ جهود مبارك من مضمونها بزعم أن الحوار بين الأطراف العربية توقف بعد ساعات من فجر يوم ٢ أغسطس .. وهو يوم الغزو المشئوم !.

وسوف نستعين بهيكل نفسه فى تفنيد كلام هيكل ! . فهو يذكر كيف ان الرئيس مبارك اجتمع بالملك حسين فى يوم ٢ أغسطس ، واقترح عقد قمة مصغرة فى جدة لعمل سيناريو يُخرج العراق من المأزق الذى وقع فيه مع حفظ ماء

وجـهـه ، على أسـاس نـقطتين يـصـرح بهـمـا الرئيس صـدام حـسين ، وهـمـا : انسـحـاب العـراق من الكويت ، وعـودة الشـرعـيـة إليـهـا . وأوضـح أنه سـوف يصـدر بيـانا يطالب بانسحاب العراق من الكويت وعودة الشرعية إليها ، ثم قبل تأجيل اصدار هذا البيان تحت إلحاح الملك حسين (ص ٣٨٣ ـ ٣٨٥) .

وإذا كان هذا هو فحوى الحوار بين مبارك والملك حسين الذى اتفقت عليه روايتهما ، أفليس معنى ذلك أن الرئيس مبارك أراد فتح باب الحوار مع الرئيس العراقى فى مؤتمر قمة عربية مصغرة ، يخرج العراق من المأزق الذى وقع فيه بالغزو ؟

والسـؤال الآن : هل قـبل النظام العـراقى اجـراء هذا الحوار الذى ينهى الأزمـة ؟ إن هيكل نفسـه يجيب عن هذا السـؤال بما يفـيـد أن النظام العراقى قـد أغلق بـاب الحـوار بالضبة والمفتاح !

فهو ينقل عن الدكتور سعدون حمادى فى اجتماع وزراء الخارجية العرب فى فندق سميراميس بالقاهرة ، كلاما عن حق العراق فى الكويت ، وعن مسار الأزمة فى العلاقات بين البلدين حول أسـعـار البـتـرول وخطوط الحـدود والديون المستحقة على العراق ! (ص ٣٨٦) .

وينقل عن السيد عزة إبراهيم قوله للملك فهد ملك السعودية : ان «الكويت جزء من العراق عاد إليه» ! (٣٨٦) .

ثم ينقل عن الملك حسين قول صدام له : ان القوات العراقية أدت مهمتها فى مساندة ثورة شعبية كويتية ضد حكم قارون (أسرة الصباح) ! وبذلك فإن القوات العراقية تستطيع أن تغادر الكويت تاركة الأمر فى يد حكومة كويتية وطنية تدير الأمور فى فترة الانتقال !

ومعنى ذلك كله رفض النظام العراقى عودة الشرعية إلى الكويت ، واصراره على تحقيق أغراضه كاملة ، وتمسكه بأكاذيبه بخصوص الثورة الشعبية الكويتية المزعومة التى أراد خداع العالم بها لبسط حكمه وسيطرته على الكويت .

وإذا كانت هذه هى الحقائق التاريخية الثابتة التى تتعلق بهذا الموضوع ، فكيف يزعم الأستاذ هيكل أن الحوار توقف بين الأطراف العربية بعد ساعات من فجر ٢ أغسطس ١٩٩٠؟ ألم تكن هذه كلها محاولات للحوار مع النظام العراقى لاعادته إلى صوابه واخراجه من المأزق الذى وضع فيه نفسه بغزو الكويت ؟ وأليس هذا معناه أن النظام العراقى هو الذى رفض هذه المحاولات وأصر على بغيه وعدوانه ؟

ومع ذلك فلم ييأس الرئيس مبارك ، بل دعا إلى عقد قمة عربية طارئة يُدعى إليها العراق ويدور فيها الحوار على أعلى مستوى . وقد عقدت القمة بالفعل يوم ١٠ أغسطس ، ودار فيها حوار تاريخى بين أطراف النزاع العربية ، أصر فيه النظام العراقى على موقفه أيضا ـ مدعوما ببعض النظم العربية المتواطئة ! ـ وانتهى الحوار بصدور قرارات القمة العربية الطارئة التى تدين العدوان العراقى ، وتؤكد سيادة الكويت ، وتستجيب لطلب المملكة العربية السعودية نقل قوات عربية لمساعدتها فى مواجهة الحشود العراقية على حدودها.

وعلى طول الأزمة لم يكف الرئيس مبارك عن الحوار مع الرئيس العراقى ، عن طريق الرسائل المطولة التى بلغ عددها ٣٢ رسالة ، أجاب الرئيس العراقى عنها بالشتائم ، أو الاهمال، أو تحميل الرئيس مبارك مسئولية الدماء العربية التى يمكن أن تراق !

ومعنى ذلك أن الحوار على الجانب العربى كان مستمرا على طول الأزمة ، ولكنه كان حوارا من جانب واحد ، لأن الطرف العراقى لم يستجب لأى حوار إلا إذا كان يحقق له كامل أهدافه من غزو الكويت !

وهذا هو السبب الذى دعا الأستاذ هيكل لاطلاق زعمه بتوقف الحوار بين الأطراف العربية بعد ساعات من فجر يوم

٢ أغسطس ١٩٩٠ ! لقد كان يتكلم بلسان النظام العراقى ، وينظر إلى الأزمة من منظوره ، وهو منظور يعتبر أن الحوار قد توقف بعد ساعات من بدء الأزمة ،لأنه لم يقدم له ما يدعم موقفه ويساند غزوه وضمه للكويت !

ومن هنا يعود هيكل فيؤكد هذا الزعم مرة أخرى ، فيقول (ص ١٤) إنه فى حين استمر الحوار بين أطراف الأزمة الآخرين ، حتى فى الولايات المتحدة ذاتها التى استمر الحوار فيها حتى اللحظة الأخيرة ، فإنه «اختنق فى العالم العربى منذ الساعات الأولى» ! ويعلق على ذلك فى لهجة درامية فيقول : «وكان ذلك مزعجا ومخيفا إلى أقصى حد» ! ولايحدد هيكل : «مزعجا ومخيفا لمن ؟» هل كان مزعجا ومخيفا للنظام العراقى الذى وجد الأطراف العربية مجمعة على عودة الشرعية إلى الكويت ، أو مزعجا ومخيفا لمن امتشقوا السلاح بشجاعة لتحرير الكويت ؟

ويواصل الأستاذ هيكل اعتداءه على التاريخ ، فيتحدث عما أسماه «عجز الأمة العربية حتى عن التفكير فضلا عن الفعل !» ، وعن «الفوضى الشاملة» التى عمت العالم العربى! ويعزو السبب فى ذلك إلى وقوعها بين خيارين كان كل منهما مرفوضا من جانبها : فقد «كان الغزو العراقى للكويت

مـرفـوضـا ، وكـان التـدخل الأمـريكى الـعسكرى فى الأزمـة مرفوضا بنفس المقدار» !

وهذا الحديث عن عجز الأمة العربية عن التفكير والفعل الذى ظهر أثناء الأمة يعد أحد اختراعات الأستاذ هيكل فى كتابه ! وهو ينطق فى ذلك باسم النظام العراقى الذى كان قد خطط لإحداث هذا العجز في مؤتمر القمة العربية الطارئة يوم ١٠ أغسطس ، حتى لا يصدر المؤتمر قرارا يدين فيه العراق ويتمسك بعودة الشرعية إلى الكويت .

على أن الرئيس مبـارك أدرك المخطط عندمـا وجـد أن عـددا من الرؤسـاء جاءوا«مـبـرمـجين !» إلى المؤتمر ، لغرض واحد هو إصابته بالعجز عن اصدار أى قرار ! فكانت إدارته الحـازمـة للمـؤتمر ، التى وجـدت تنديدا عليـهـا من الرئيس القـذافى الذى وصـفـه هيكل بأنه كان «من أكثـر الحاضـرين هياجا» ! إلى حد أن أعلن «اعتصامه داخل قاعة الجلسة» ! وصاح فى الرئيس مبارك قائلا : «انك لم تكن ديموقراطيا فى ادارتك للجلسة» ! ولكن الرئيس مبارك رد عليه بحدة قائلا : «لا أسمح لك بأن تقول هذا» ! (ص ٤٣٠ ، ٤٣٦) .

لقد فشلت خطة اصابة الأمة العربية بالعجز عن التفكير والفـعل التى خطط لهـا النظام العـراقى ، وكـان الفـضل فى

فـشل هذه الخطة يرجع إلى الرئيس مـبـارك ، ولكن هيكل يتمسك بهذا العجز المزعوم فى كتابه لأنه لايرى إلا ما يراه النظام العراقى ، ولايسطر فى كتابه إلا ما يعبر عن وجهة نظره .

وفى الحقيقة أن الأمة العربية لم تكن فى يوم من الأيام فى تاريخها الحديث أقدر على الكلام والفعل منها فى أثناء أزمة الخليج ، فقد حددت المملكة العربية السعودية منذ البداية القوة العسكرية القادرة على وقف الخطر العراقى الزاحف إلى حدودها ، وتحرير الكويت ، وهى قوة الولايات المتحدة الأمريكية والغرب ، فطلبت مساعدتها .

كما طلبت مساعدة مصر وسوريا ، وهما أقوى دولتين عربيتين فى المنطقة. فبرهن الملك فهد بن عبد العزيز بذلك على قدرته على التفكير والفعل الصائب فى أخطر وأدق المواقف .

أما الرئيس محمد حسنى مبارك ، فإن صفاء فكره المعروف وقت الخطر لم يفارقه فى تلك اللحظات الحاسمة. فقد حرص على أن يوفر الشرعية العربية لقوات التحالف التى تجمعت لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ، سواء بإدارته الناجحة لمؤتمر القمة العربية الطارئة يوم ١٠ أغسطس ،

واتاحة الفرصة لهذا المؤتمر لإصدار قراراته التى أكدت الالتزام بقرارات مجلس الأمن «بوصفها تعبيرا عن الشرعية الدولية» ، أو بإدارته الناجحة للحملة الاعلامية الجبارة التى عبأ بها الشعب المصرى لإدانة الغزو العراقى وتحرير الكويت وعودة الشرعية إليها ، وقراره الهام بإرسال القوات المصرية إلى المملكة العربية السعودية لمشاركة قواتها فى الدفاع عنها، وقراره الآخر باشتراك القوات المسلحة المصرية فى عملية تحرير الكويت .

الأمة العربية - إذن - لم تكن فى حالة عجز عن التفكير والفعل فى أثناء الأزمة ، كما وصفها هيكل ، وإنما كانت فى حالة من اليقظة التامة للمخطط العراقى ، ومقدرة فائقة على التصدى له .

أما حالة العجز عن التفكير والفعل فكانت من نصيب النظام العراقى ، فلا يستطيع أى محلل سياسى فى العالم أن ينسب إلى هذا النظام القدرة على التفكير السليم أو الفعل السليم ، وإنما كان فى حالة عجز تام ! والدليل على ذلك الكارثة الكبرى التى قاد العراق إليها ، والخراب والدمار الذى لحق منشآت ومؤسسات العراق بسببه ، ولكن الأستاذ هيكل يقلب الحقائق رأسا على عقب بسبب رؤيته العراقية لأزمة الخليج .

ومن خلال هذه النافذة العراقية التي ترى في حرب تحرير الكويت حربا هجومية عدوانية ضد الجيش العراقي ، فإن هيكل ينسب إلى اللواء محمد علي بلال، قائد القوات المصرية في حفر الباطن في السعودية وقت أزمة الخليج، أنه «عاش أزمة مشاعر متناقضة» ! لأنه كان قبل شهور قليلة من انفجار الأزمة معارا كمستشار لرئاسة هيئة أركان حرب القوات العراقية المسلحة ، كما كان واحدا من الذين قاموا بدور في التخطيط لتحرير الفاو من القوات الإيرانية ، ثم وجد نفسه فجأة في موقع قائد القوات المصرية في حفر الباطن .

ويقول هيكل إن أزمة اللواء محمد علي بلال ربما لم تكن مستعصية حين كانت مهمة القوات المصرية مقصورة على الدفاع عن السعودية ، «ولكن حين تحول هدف المعركة إلى حرب هجومية على الجيش العراقي ، فإن الرجل - في أغلب الظن - لم يستطع مواءمة نفسه مع المهمة المستجدة» ! (ص٣٧).

ويلاحظ القارئ ، في هذا الكلام الذي ساقه الأستاذ هيكل عن اللواء محمد علي بلال ، أنه اعتمد فيه على الظن والاستنتاج ، ولم يقل انه استخلص شعور الرجل منه شخصيا .

وبالتالى فلنا أن نعجب لإقحام الأستاذ هيكل نفسه فى «مشاعر» أبطال كتابه عن طريق الظن والاستنتاج ، وليس عن طريق السيرة الذاتية أو المذكرات ، مع أن العادة المرعية فى الكتابة العلمية الاعتماد على الوثيقة ، فإذا عمد الكاتب إلى استنتاج فإنه يستنتج بناء على وقائع وحقائق ، ولا يستنتج بناء على مغالطات !

وقد استنتج الأستاذ هيكل مشاعر اللواء محمد على بلال بناء على مغالطة زعم فيها أن مهمة القوات المصرية تحولت من مهمة الدفاع عن السعودية إلى مهمة الحرب الهجومية ضد الجيش العراقى !

ولم يكن ذلك صحيحا ، فقد تحولت مهمة القوات المصرية من مهمة الدفاع عن السعودية إلى مهمة الاشتراك فى تحرير الكويت ، ولا يوجد تناقض بين المهمتين ، فهما مهمتان متكاملتان تماما ، فالدفاع عن السعودية هو هدف وقائى ، وتحرير الكويت هو هدف نهائي ، ولم يكن ذلك يغيب عن بال اللواء محمد على بلال .

ومن هنا كيف ينسب إليه هيكل الوقوع فى «أزمة مشاعر متناقضة» ؟ وأنه لم يستطع ملاءمة نفسه مع المهمة الجديدة

المستجدة ؟ اللهم إلا إذا كان يريد أن يتهم الرجل بالجهل بأبسط الفروق بين هدف نبيل هو تحرير الكويت من قبضة جيش الاحتلال العراقى ، وهدف شن حرب هجومية عدوانية ضد الجيش العراقى المسالم الذى يدافع عن أرضه ، والملتزم بمبادىء العروبة والاسلام ! لقد أدرك رجل الشارع المصرى هذا الفرق بسهولة ، فهل يعجز عن ذلك اللواء بلال ؟

(١٨)

لغــز التحــذير الأمريكى للكويت من الغــزو!

لغز التحذير الأمريكي للكويت من الغزو!

أود قبل مواصلة مناقشتي لكتاب الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج ، أن أطمئن أحد القراء الذى كتب إلى بتوقيع «قارىء لا تعرفه» ! يتهمنى بأننى لم أكتب مقالاتى عن كتاب الأستاذ هيكل إلا بعد أن زرت السعودية لأتلقى منها التعليمات بكتابة هذه المقالات ! - إلى أننى لم أزر السعودية فى حياتى كلها حتى وقت كتابة هذا الكلام ، لا بدعوة من المسئولين فيها ، ولا بمبادرة شخصية ! وأشك فى أن السفير السعودى فى القاهرة الأستاذ أسعد أبو النصر يعرفنى شخصيا ، فقد تقابلت معه فى حفل إحدى المناسبات، وبعدها لم تسنح فرصة لمقابلة أخرى .

والحال كذلك بالنسبة للكويت ، فقبل وقوع الغزو العراقى للكويت كنت ممنوعا من زيارتها وفقا لقرار مكتب

* أكتوبر - ٩ أغسطس ١٩٩٢

مقاطعة إسرائيل فى دمشق ، ومعى فى القائمة نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وأنيس منصور لتأييدنا مبادرة السادات ، وبالتالى فلا توجد أدنى شبهة فى تلقى التعليمات منها للوقوف إلى جانب قضيتها ، وهذا الكلام كتبته من قبل مرارا ، ولكن القارىء المذكور لم يقرأه ، فلا ذنب لى .

وقد زرت الكويت بعدها فى ذكرى الغزو ، لأشاهد بنفسى آثار الغزو الآثم من تحريق وتخريب وتدمير ، ولأرى مشهدا أسطوريا لم يسبق له مثيل فى طول التاريخ وعرضه ، مشهد ٦٣٠ بئرا من البترول تحترق ، وتتصاعد منها ألسنة الدخان الحمراء والسوداء والبيضاء فى الفضاء، لتحيل رمال الصحراء الصفراء إلى رمال سوداء ، وتحجب ضوء الشمس فى عز النهار ، وترسم لوحة من لوحات الجحيم !

ولم أستطع وقتها أن أفهم حكمة إشعال النيران فى هذه الآبار التى تمتلىء بالثروة العربية ، على يد نظام ظل يتاجر بشعارات التطرف فى القومية العربية والدفاع عن مصالح الأمة العربية !

فلم يكن ثمة مبرر لهذه الجريمة الحمقاء إلا الحقد الأسود، والهمجية المطلقة ، والتجرد من أبسط مبادىء الدين

الإسلامى الحنيف والمشاعر الإنسانية ! وهذه الجريمة لاتعادلها إلا جريمة ضخ ملايين براميل البترول فى مياه الخليج لتقتل مظاهر الحياة فيه !

ومن هنا حين قرأت كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل ، وتبينت أنه يروج لوجهة النظر العراقية التى ارتكبت هذه الجرائم ، ويقرأ حرب الخليج قراءة بعثية ، وينسى تماما قضية تحرير الكويت ، ويصور الحرب فى صورة حرب صليبية تشنها دولة مسيحية استعمارية هى الولايات المتحدة الأمريكية ضد دولة مسلمة عربية هى العراق ! كان لابد أن أدافع عن التاريخ !

فالنظام العراقى ما زال يحكم العراق ، ويدعى النصر على قوات ثلاثين دولة ، وما زالت صحفه تستخدم اسم «محافظة الكويت» فى الكلام عن «دولة الكويت»! ومعنى ذلك أن المعركة مستمرة ، ومساندة هيكل لوجهة النظر العراقية فى حرب الخليج هى مساندة لباطل يحاول أن يفرض نفسه على الساحة السياسية ، بكل ما يمثله ذلك من خطر على الحاضر والمستقبل . .

وعلى سبيل المثال ، وفيما يتصل بموضوعنا الأساسى فى الرد على هيكل ، فإنه يحاول فى كتابه إلقاء بذور الشك بين الكويت والسعودية بالاستناد إلى المصادر العراقية !

ففى ص ٣٣١ أورد نص الرسالة التى أرسلها الملك فهد إلى أمير الكويت ، يدعو فيها الشيخ سعد العبد الله الصباح ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء فى الوقت نفسه ، إلى جدة للاجتماع بعزة إبراهيم ، لحل النزاع بين العراق والكويت ، وقد اختتمها الملك فهد بتعبيره عن صادق مودته وتقديره المقرون بأخلص تمنياته الأخوية لسمو أخيه أمير الكويت .

ولكن هيكل لم يكتف بإيراد الرسالة ، بل أضاف إليها من المصادر العراقية التى تزود بها ، أن القوات العراقية عثرت على هذا الخطاب فى مكتب الأمير بقصر «دسمان» ، عندما دخلته بعد الغزو ، وفى أسفله ـ كما يقول ـ تأشيرة بخط الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح نصها كما يلى :

الشيخ سعد

تحضر الاجتماع بنفس شروطنا المتفق عليها ، والأهم بالنسبة لنا مصالحنا الوطنية . ومهما تسمعونه من السعوديين والعراقيين عن الأخوة والتضامن العربى فلا تصغوا إليه ، كل واحد منهم له مصالحه: السعوديون يريدون إضعافنا واستغلال تنازلنا للعراقيين لكى نتنازل لهم مستقبلا عن المنطقة المقصودة ، والعراقيون يريدون تعويض حربهم من حساباتنا .

لا هذا يحصل ولا ذاك . وهو رأى أصدقائنا فى مصر وواشنطن . أصروا فى مباحثاتكم ، نحن أقوى مما يتصورون .

تمنياتنا بالتوفيق

(امضاء)

جابر

هذه هى التأشيرة التى زورتها السلطات العراقية على خطاب الملك فهد لأمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح ، وزعمت عثورها على الخطاب ! وظاهر فيها التلفيق ! .

فأمير الكويت لم يكن فى حاجة إلى أن يكتب لولى العهد ورئيس الوزراء تأشيرة من هذا النوع الذى يتناول بالتجريح علاقات الكويت الخارجية بالمملكة العربية السعودية ، لسبب بسيط ، هو أنه يستطيع أن يتصل به تليفونيا ، ويشير عليه بما يشاء ، ويتبادل معه الرأى شفاهة فى هذه الأزمة الخطيرة ، خصوصا أن الصلة بينه وبين ولى عهده الذى هو فى الوقت نفسه رئيس وزرائه لا تشبه الصلة من هذا النوع

فى دولة أخرى . ففى ذلك الوقت بالذات كان مقر الحكم فى الكويت يقع فى مكان واحد هو قصر بيان ، الذى كان يضم كلا من الأمير وولى العهد ورئيس الوزراء .

وفى الوقت نفسه، فقد زعمت السلطات العراقية أنها عثرت على هذا الخطاب فى مكتب الأمير بقصر دسمان ، ونسيت أن قصر دسمان هو قصر للسكنى وليس للإدارة!

فأمير الكويت كان يدير البلاد من قصر «بيان» الذى يتكون من عدة أجنحة ، يقيم الأمير فى جناح ، ويقيم ولى عهده ورئيس وزرائه فى جناح آخر . وبالتالى فإذا كان العراقيون قد وجدوا هذا الخطاب فى مكان ، فإن هذا المكان لايمكن أن يكون قصر دسمان وإنما فى قصر «بيان» ! ولكن الملفق لايهتم عادة بمثل هذه الأمور !

وقد أتيح لى الاجتماع بالأستاذ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، رئيس المركز الوطنى لوثائق العدوان العراقى على الكويت ، ووزير التربية الكويتى السابق ، بعد دعوتى للاطلاع على الوثائق التى تركتها القوات العراقية فى أثناء انسحابها من الكويت ، ودار الحديث بينى وبينه حول هذه القصة محاولا استجلاء غموضها ، وأجابنى بأنه سأل الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت عنها شخصيا ،

وقد أجابه الأمير بأنه ليس من عادته أن يكتب مثل هذه التأشيرات لولى عهده الشيخ سعد العبدالله الصباح ، وهو على بعد خطوات منه فى القصر نفسه ، وإنما هو - عادة - يتصل به تليفونيا فى التو واللحظة ، خصوصا فى مثل هذا الموضوع غير الروتينى الذى لم يكن يحتمل تضييع الوقت فى تأشيرات كتابية .

على أن الأخطاء التى وردت فى كتاب الأستاذ هيكل لاتنتهى ! وربما كان من أهمها ما رواه عن تحذير وكالة المخابرات الأمريكية لأسرة الصباح قبل وقوع الغزو ، للفرار من الكويت إلى المملكة العربية السعودية (ص ٣٥٧ - ٣٥٨).

فقد روى فى ذلك أن أحد خبراء الأمن الأمريكيين اتصل بمدير الأمن الكويتى حوالى ظهر يوم ٣١ يوليو ليبلغه بضرورة وضع خطة الطوارىء المتصلة بحماية الأمير والأسرة الحاكمة موضع التنفيذ من باب الاحتياط !

وقد تلا ذلك - كما يقول - حصر أماكن تواجد كل أفراد الأسرة الحاكمة ، «وظهر أن الأمير الشيخ جابر لم يكن ينوى أن يقضى عطلة نهاية الأسبوع فى «البر» خارج مدينة الكويت، كما هى عادته ، وإنما كان يريد أن ينتظر فى قصر

«السيف» (هكذا !) حيث يعمل ، أو قصر «دسمان» حيث يسكن ، حتى يتمكن من انتظار الشيخ سعد الصباح القادم من جدة» !

ولا ندرى حقيقة من أين استقى الأستاذ هيكل هذه القصة ، التى لا يمكن أن تكون صحيحة ؟ لأن قصر «السيف» الذى يذكر أن الشيخ جابر أمير الكويت كان يريد أن ينتظر فيه عودة ولى العهد من جدة ، كان مغلقا للاصلاح ! وانتقل الأمير إلى قصر «بيان» !

فما هى قيمة معلومات تعتمد على التخمين والفبركة ، بل تعتمد على التجهيل ؟ !

ذلك أننا نرى هيكل فى روايته ينسب تحذير المخابرات الأمريكية للسلطات الكويتية إلى أحد خبراء الأمن الأمريكيين، الذى يذكر أنه أحد أربعة من رجال الأمن الأمريكيين أرسلتهم المخابرات المركزية الأمريكية إلى الكويت فى يومى ٣٠ و ٣١ يوليو .

ووفقا لروايته فإن هذا الخبير العبقرى استطاع قبل مرور ٢٤ ساعة على وصوله أن يكتشف وزملاؤه أن الغزو العراقى على وشك الوقوع ، فاتصل بعد ظهر يوم ٣١ يوليو

بمدير الأمن الكويتى لكى يبلغ وزيرى الداخلية والدفاع بتنفيذ خطة الطوارىء الموضوعة لحماية الأمير والأسرة الحاكمة !

فهل هذا معقول ؟ ألا يرى الأستاذ هيكل أنه يبالغ كثيرا فى كفاءة جهاز المخابرات الأمريكية حين ينسب إلى أربعة خبراء فيه اكتشاف قرب الغزو العراقى قبل مرور ٢٤ ساعة على وصولهم إلى الكويت ؟

وكـيف أنه لم يلاحظ «الفـبـركـة» الظاهرة فى هذه المعلومات؟ ترى لو أن المخابرات الأمريكية اكتشفت قرب وقوع الغزو العراقى ، فهل يكون تحذيرها للسلطات الكويتية عن طريق أحد خبراء الأمن الأمريكيين ؟ وهل تبلّغ المخابرات الأمريكية هذا التحذير لمدير الأمن الكويتى أو تبلغه لأعلى سلطة فى الكويت مباشرة ؟ .

إن تحذير جهاز مخابرات عالمى على مستوى وكالة المخابرات الأمريكية لمسئول على مستوى مدير الأمن فى الكويت أو فى أية دولة ، لايكون بخصوص غزو أجنبى للدولة موضوع الغزو ، وإنما يكون فقط فى حالة توقع حدوث اضطرابات داخلية أو اغتيالات سياسية ، أما التحذير بوقوع غزو فإنه يوجه إلى رئيس الدولة مباشرة للاستعداد لمواجهة الغزو ، أو للفرار إذا كان الغزو مما لايمكن صده .

وفى الوقت نفسه فإن الاتصال يكون على أعلى مستوى لضمان الجدية والتنفيذ ، لأن رئيس أية دولة لايغادر بلده - عادة - فى الخفاء كلما اتصل به مسئول أمن أمريكى ! ومن المنطقى فى الوقت نفسه أن تكون السلطات الأمريكية فى واشنطن هى أول من يعلم حتى لا تفاجأ بالغزو .

على أن هيكل يبرر عدم حدوث ذلك بأن إدارة الاستطلاع فى وزارة الدفاع الأمريكية قد تبينت من قراءة آخر صور أرسلتها الأقمار الصناعية صباح يوم ٣١ يوليو أن القوات العراقية قد غيرت مواقعها ، فقد تقدمت الدبابات إلى قرب خط الحدود بفاصل قدره ٥٠ - ٧٥ مترا بين كل دبابة ، وأصبحت المدفعية وراء المدرعات . وأن الخبراء العسكريين وخبراء وكالة المخابرات اختلفوا فى تقدير هذا التغيير ، فبينما رأى الخبراء العسكريون فيه مناورة مقصودة للضغط على أعصاب الكويتيين ، رأت وكالة المخابرات الأمريكية أن الأمر بالهجوم قد اتخذ ، وأن ساعة الصفر أصبحت معروفة للقوات ، وأخذت تتصرف على مسئوليتها ! (أى بدون تعليمات من القيادة العسكرية أو السياسية الأمريكية) ! (ص ٣٥٥) .

ويبدو أن وكالة المخابرات الأمريكية أخذت تفبرك منذ هذه اللحظة الدور الذى قامت به ، والذى تبناه الأستاذ

هيكل ، وهو المتعلق باتصال أحد خبراء الأمن الأمريكيين بمدير الأمن الكويتي لإبلاغه بوضع خطة الطوارىء الموضوعة لحماية الأمير والأسرة الحاكمة موضع التنفيذ ، ثم بدء عملية حصر أماكن تواجد كل أفراد الأسرة الحاكمة !

فقد سبق لنا أن فندنا أول جزء من هذه القصة ، وهو الخاص بقصر السيف ، وثبت لنا أن قصر السيف في ذلك الوقت كان مغلقا لإجراء تصليحات ، وانتقل مقر الحكم إلى قصر «بيان».

أما الجزء الثاني من هذه القصة المفبركة ، فيروى أن أمير الكويت لم يكن ينوى أن يقضى عطلة نهاية الأسبوع فى «البر» خارج مدينة الكويت كما هى عادته ، وإنما كان يريد أن ينتظر فى قصر «السيف» !

فواضح أن الذى فبرك هذه القصة المضحكة لايعرف معنى قضاء عطلة نهاية الأسبوع فى «البر» !فـ «البر» معناه الصحراء ، وقضاء عطلة نهاية الأسبوع فى البر ـ من ثم ـ يكون فقط فى الربيع حين يكون الجو فى الكويت مما يسمح بذلك ، فتنصب الخيام فى الصحراء ، ويستمتع الناس بالجو الطيب ، ولكن أحدا فى الكويت لايقضى عطلة نهاية الأسبوع فى «البر» فى قيظ يولية وأغسطس !.

وهكذا تنهار قصة خروج الأمير جابر الصباح من الكويت تحت تحذيرات وكالة المخابرات التى أوردها هيكل !

لقد ظنت المخابرات الأمريكية أنها وفرت لهذه القصة كل عناصر الثقة والنجاح عندما أحاطتها بالغموض وأسندتها إلى مجهولين ، كأن تقول :«طلب أحد الخبراء الأمريكيين » ! أو «عاد أحد ضباط الاتصال الأمريكيين برسالة» أو «حوالى الغروب عاد ضابط الاتصال مرة أخرى يطلب» أو «بعد أن حل المساء طُلب إلى الأمير أن يتحرك إلى منطقة الخافجى» ! إلى آخره .

وواضح أن هذه القصة المفبركة تعتمد على أن وكالة المخابرات الأمريكية أخذت تتصرف على مسئوليتها» ـ أى من وراء ظهر القيادة الأمريكية ووزارة الدفاع ! وبالتالى فهى تعفى السلطة السياسية والسلطة العسكرية فى الولايات المتحدة من مسئولية الاتصال المباشر بأمير الكويت لتحذيره من خطر الغزو . ولكن لأنها مفبركة فهى تحفل بالسقطات ، مثل سقطة قصر «السيف» ، وسقطة قضاء عطلة نهاية الأسبوع فى «البر» !

على أن السقطة الكبرى هى التى تمثلت فى قصة سفر أمير الكويت إلى الخافجى فى المساء بعد أن كان الغزو قد بدأ فعلا ، ثم سفر ولى العهد فى أعقابه فى الوقت الذى كان فيه دوى انفجارات القنابل يسمع بوضوح فى المدينة ، وطائرات الهليكوبتر العراقية تحوم فى سمائها - حسب رواية هيكل !

فلم يفطن هيكل إلى الثغرات الجسيمة التى تخللت هذه القصة المفبركة ، والتناقضات التى حفلت بها ! فلقد أورد فى البداية أن أمير الكويت كان يريد أن ينتظر فى قصر «السيف» (المزعوم) ، أو فى قصر دسمان حتى يتمكن من انتظار الشيخ سعد الصباح عند عودته من جدة ، ثم ذكر أن الشيخ سعد الصباح وصل إلى مطار الكويت من جدة بعد المغرب ، وكانت تقاطيعه متجهمة لا توحى بأنه يحمل بشرة خير ! ومعنى ذلك أن الشيخ سعد وصل فى وقت كان فيه أمير الكويت ما زال فى الكويت لم يغادرها .

ومن الطبيعى فى مثل هذه اللحظات الحرجة من حياة الكويت ، أن يكون أول عمل لولى العهد ورئيس الوزراء هو التوجه فورا إلى أمير الكويت الذى كان ينتظره على أحر من الجمر لينهى إليه بنتائج لقاء جدة ، ولكن هيكل يروى عدة

روايات مضحكة متضاربة فى شأن ما فعله الشيخ عند عودته !

فيقول إن هناك رواية ذكرت أنه ذهب إلى بيته فنام حتى أيقظوه على أنباء الغزو ! و يتطوع هيكل بسخاء فيصف الرواية بأنها «يصعب تصديقها» ! ولكنه يحرص مع ذلك على إيرادها لمجرد التشويش وإثارة الشبهات !

ثم يورد رواية ثانية تقول إن الشيخ سعد أخطر عند عودته مباشرة بأن خطة الطوارىء وضعت موضع التنفيذ ، وأن عليه أن يقوم بدوره فيها، فأصدر بعض التعليمات إلى عدد من أجهزة الدولة ، وبينها الحرس الوطنى ، ثم غادر مدينة الكويت إلى «البر» فى الوقت الذى كان فيه دوى انفجارات القنابل يسمع بوضوح فى المدينة !

ومعنى ذلك أن الشيخ سعد الصباح لم يتوجه لمقابلة أمير البلاد ، الذى رأينا من كلام هيكل أنه ما يزال فى الكويت ينتظر وصوله ، وأنه لم يكن قد سافر بعد إلى الخافجى .

ومعنى ذلك أيضا ، وهو الأهم ، أن ولى العهد الشيخ سعد الصباح ، الذى هو فى الوقت نفسه رئيس الوزراء ، لم

يتصل بوزير الدفاع والقوات المسلحة الكويتية لتتخذ استعداداتها لمواجهة الغزو ، وإنما اتصل فقط بالحرس الوطنى ! ثم فر خارج الكويت !

والمغزى الواضح لهذه القصة عن فرار الأمير وولى العهد فور علمهما بخطر الغزو العراقى ، دون اخطار القوات المسلحة الكويتية لتتخذ استعداداتها ! هو إظهارهما فى صورة من يطلبان سلامتهما الشخصية دون اعتبار لسلامة قواتهما المسلحة !

وفى البداية يجب أن نوضح أن خروج الأمير وولى العهد من الكويت لم يكن فرارا من المعركة وإنما كان لمواجهة المعركة ، لأنهما يعرفان أنهما يمثلان الشرعية التى تستطيع مواجهة الغزو العراقى للكويت ، وهو ما يعترف به هيكل ، فيقول بالحرف الواحد !

«كان مؤدى ذلك أن الغزو العراقى للكويت حتى إذا نجح فى احتلال البلد ، فإنه لم ينجح فى السيطرة على رموز الشرعية فيه ، وحتى إذا كانت هذه الرموز قد خرجت من البلاد ، فإنها لم تترك شرعيتها وراءها ، وإنما أخذتها معها، وبها كانت تستطيع أن تتصرف على النحو الذى ترتئيه مع الدول المهتمة » !

ومع ذلك يصور هيكل هذا الفرار فى صورة الحرص على السلامة الشخصية غير المكترثة بسلامة القوات المسلحة الكويتية ، ويعلق على هذه القصة المفبركة المضحكة بأنها أقرب إلى المنطق » !

وقد مهد لذلك باستبعاد رواية اتصال الشيخ سعد الصباح بالأمير جابر الأحمد الصباح بعد عودته من جدة لإطلاعه على نتائج مهمته ! وبرر استبعاده ذلك بأنه من الراجح أن الأمير كان قد تحرك من قصره فى ذلك الوقت ! ونسى بذلك أن التوقيتات التى ذكرها بنفسه لعودة الشيخ سعد ومغادرة الأمير جابر للكويت ، توضح أن الشيخ سعد عاد فى الوقت الذى كان الأمير فيه ما يزال فى البلاد . ثم يستدرك بأن الشيخ سعد ربما يكون قابل الأمير على عجل أو التقى به فى مكان ما على الطريق ! .

وفى كل ذلك لايظهر الأستاذ هيكل أى اهتمام بما تقوله وجهة النظر الكويتية ، فهو يتجاهلها تماما مفترضا فيها الشك ، مع أنها رواية المجنى عليه ! وقد جرت عادة المحققين على تقبل رواية المجنى عليه ، والتحفظ على رواية الجانى ، ولكن هيكل يقلب القاعدة رأسا على عقب ، فهو يعتمد رواية الجانى بلا تحفظ ، ويتجاهل رواية المجنى عليه ! .

((١٩))

هيكل وقصة الشيخ على !

هيكل وقصة الشيخ على!

علاقة الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل بالوثائق التاريخية علاقة فريدة ، لاتشبه أية علاقة بين المؤرخ الأكاديمى والوثائق ! فالمؤرخ الأكاديمى يستخدم الوثائق للوصول إلى غرض واحد محدد، هو الحقيقة التاريخية ، وقد يخطىء فى ذلك أو يصيب ، ولكن هدفه لا يتغير ، وهو الحقيقة التاريخية .

أما الأستاذ هيكل فهو يستخدم الوثائق لغرض ليس له صلة بالحقيقة التاريخية ، وإنما هو وثيق الصلة بالغرض السياسى الذى يريد أن يخدمه ! ومن هنا حرصه الزائد على إبراز دور الوثائق فى كتبه ، لاعطاء الانطباع بالتأصيل التاريخى والحياد العلمى ، وإقناع القارىء بالتجرد من الهوى السياسى والغرض !

---

* أكتوبر ـ ١٦ أغسطس ١٩٩٢

وقد ذهب الأستاذ هيكل فى ذلك إلى حد إعلان أنه صاحب منهج خاص فى قياس أهمية الوثائق ، وهو قدرة الوثيقة ـ حسب تعبيره فى كتابه «ملفات السويس» ـ على «تصوير أو تجسيد أو استعادة روح اللحظة والحدث والعصر بكل ما فى ذلك جميعا من حس انسانى ونبض »!

وهو تعبير بلاغى كما يلاحظ القارىء ، لأن تحديد أهمية الوثيقة له معيار واحد فقط هو أن تكون جزءا أصليا من أجزاء الحدث التاريخى التى تناثرت عقب وقوع هذا الحدث ، وبعد ذلك يأتى دور نقدها وتحقيقها ، دونما بلاغة أو تزويق ـ فإذا كانت غريبة عن الحدث التاريخى ، كأن تكون ملفقة أو مدسوسة أو غير ذلك ، فهى ليست بوثيقة ، لأنها ليست جزءا أصليا من أجزاء الحدث التاريخى .

وقد ساق الأستاذ هيكل الوثائق فى كتبه عن فترة ثورة يوليو ، وأهمها مجموعة «حرب الثلاثين سنة» ، لاثبات شىء واحد هو أن قيادة عبد الناصر هى أعظم قيادة شهدتها مصر فى تاريخها الطويل ، وما قبل ذلك من قيادات وطنية هى قيادات ناقصة فى أحسن الأحيان ، ومشبوهة فى أسوأ الأحوال ! دون أية رعاية للظروف السياسية المستحيلة التى كانت تعمل فيها هذه القيادات !.

فقيادات ما قبل الثورة «كانت» ـ حسب قوله ـ «أضعف من مواجهة الاستعمار البريطانى فى مصر مواجهة جسورة ومستمرة ، فلقد اكتفت هذه الطبقة بمشاركة السيطرة الأجنبية فى السلطة الداخلية ، وكانت صكوك الاستسلام معاهدات غير متكافئة من نوع معاهدة ١٩٣٦ التى وقعتها مصر» !

بل لقد ذهب هيكل فى ذلك إلى حد التشكيك فى سعد زغلول نفسه ! فقد زعم أنه قرأ «بالكامل» ! ـ نعم «بالكامل» هكذا قال ! ـ مذكرات سعد زغلول ، ووجد أن نشرها ـ حسب قوله ـ «قد يسبب حرجا فادحا لأطراف كثيرة ، أولها سعد زغلول باشا نفسه (!) وقد ينال من دوره الضخم فى الثورة سنة ١٩١٩» (هكذا!) .

وهى جرأة فائقة لايقدر عليها سوى الأستاذ هيكل ! فمذكرات سعد زغلول ليست مذكرات عادية مما يكتبها أصحابها للنشر ، وإنما هى يوميات كتبها سعد زغلول فى شكل مونولوج يومى ، لنفسه وليس للغير ، وبالتالى فقد كتبت بخط ردىء للغاية لايقدر على قراءته سوى صاحبه ، وأنا أقوم بقراءتها وتحقيقها ، ومعى مجموعة من الباحثين الذين اكتسبوا خبرة فى قراءة هذا الخط ، ومع ذلك فلم

أستطع على مدى عشرة أعوام ، تبدأ من عام ١٩٨٢ ، سوى إصدار خمسة مجلدات منها بعد معاناة قاسية ! وأذكر أننى أمضيت أكثر من إحدى عشرة ساعة فى قراءة خمس كلمات فقط فى الكراسة الثانية عشرة عند تعرض سعد لوفاة قاسم أمين !

ومعنى ذلك بوضوح تام أنه من المستحيل على الأستاذ هيكل أن يكون قد قرأ هذه المذكرات «بالكامل» كما قال ، اللهم إلا إذا كان قد انقطع لقراءتها لعدة أعوام وترك أعباءه فى الأهرام ليتفرغ لها !

ولو أنه قرأ بعضها ، لما خرج بالحكم الغريب الذى أصدره ، وهو أن المذكرات تحرج سعد زغلول وتنال من دوره الضخم فى الثورة المصرية ! ولعرف أن زعامة سعد زغلول هى زعامة بنت نفسها فى دأب ، وأرست نفسها فى ضمير الشعب المصرى قبل الحرب ، واكتسبت شهرتها لدرجة انتخابه عن دائرتين من دوائر القاهرة فى آخر انتخابات برلمانية قبل الحرب العظمى ، ولدرجة دفعت الشعب المصرى إلى الثورةعند سماع نبأ اعتقاله ، ولأدرك أن مذكرات سعد تؤكد بالوثيقة اليومية التى لاتخيب عظمة هذا الزعيم الإنسان، وعظمة الدور الذى لعبه فى النضال الوطنى .

ولكن هيكل ـ كما قلت ـ يخدم بكتاباته قضايا سياسية يريد أن يلبسها ثوب الحقائق التاريخية ، مع ابتعادها كل البعد عن الحقائق التاريخية !

وقد رأينا فى مقالنا السابق طرفا من أسلوبه فى استخدام الوثائق ، حين استعان بتأشيرة زورتها السلطات العراقية و نسبتها إلى أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح ، على خطاب أرسله الملك فهد بن عبد العزيز إليه ، وقد أثبتنا استحالة كتابة هذه التأشيرة من الأمير لولى عهده الذى يقيم معه فى نفس القصر على بعد خطوات ، وفساد زعم السلطات العراقية أنها عثرت على الخطاب فى قصر دسمان ، لأن قصر دسمان ليس مقرا للحكم وإنما هو مقر لسكنى الأمير !

وقد كان غرض هيكل من نشر هذه التأشيرة المزورة تحقيق غرض النظام العراقى فى الوقيعة بين الكويت والمملكة العربية السعودية ، حيث تضمنت فقرة تنص على أن السعوديين يريدون اضعاف الكويت واستغلال تنازله للعراقيين لكى يتنازل لهم مستقبلا عن المنطقة المقصودة .

وقد احتوى كتاب هيكل على الكثير من هذه الوثائق الملفقة التى تسعى بالوقيعة بين الكويتيين والسعوديين ! وربما

كان أكثرها جرأة ذلك الحديث الذى نسبه للشيخ على خليفة الصباح ، وزير البترول الكويتى السابق ، فى جريدة «وول ستريت جورنال» !

نقول إن هذا الحديث الملفق هو أكثر ما كتبه هيكل جرأة، لأنه لايستند إلى وثائق ملفقة يصعب الرجوع إليها ، مثل وثيقة تأشيرة الأمير جابر المزعومة على خطاب الملك فهد، وإنما لأنه يستند إلى صحيفة أمريكية يسهل الرجوع إليها ، وقد حدد بنفسه تاريخ صدورها وهو ١٢ يونيو ١٩٨٩.

وتمضى رواية هيكل على النحو الآتى :

«أثناء اجتماع للأوبك فى فيينا فى شهر يونيو ١٩٨٩ ، لم يخف الشيخ على خليفة الصباح ، وزير البترول الكويتى ، رأيه على أحد ، بل إنه أدلى لصحيفة «وول ستريت جورنال»، وهى الصحيفة ذات التأثير القوى فى دوائر المال فى نيويورك، بحديث نشرته يوم ١٢ يونيو ١٩٨٩ ، وكان مما قاله أشبه ما يكون بإملاء قوة عظمى تفرض شروطها دون أن تكترث بأحد (!) وكان بين ما قاله الشيخ على خليفة الصباح: إن الكويت لا تنوى الالتزام بحصتها المقررة وهى ١٫٠٣٧٫٠٠٠ برميل فى اليوم ، وإنها سوف تصر على حصة

مقدارها ١٫٣٥٠٫٠٠٠ برميل فى اليوم ! وعلقت صحيفة «وول ستريت جورنال» من جانبها قائلة :«إنه فى الوقت الحالى تنتج الكويت ١٫٧٠٠٫٠٠٠ برميل فى اليوم» .

«ثم شن الشيخ على خليفة الصباح هجوما مركزا على السعودية قال فيه :

«إن الكويت والسعودية على طريق صدام محقق بسبب الحصص ، ونحن لا ننوى التراجع» !.

ثم أضاف :

«إن السعودية مثل شركة كبيرة منهارة تجرى فى كل اتجاه ، محاولة أن تفلت من قوانين الافلاس» ! .

انتهى النص الذى نقلناه من كتاب هيكل (ص ٢٥٥) وقد علق عليه هيكل قائلا :«ربما كان الكلام عن السعودية مقصودا به أن يسمع غيرها ، وكان الخطر يتأتى من أن السعودية تستطيع أن تصبر ، وأما العراق فقد كان الصبر عزيزا عليه ، لأن دخله بسبب انخفاض أسعار البترول نزل بمقدار سبعة بلايين دولار سنة ١٩٨٩ ، وهو مبلغ يعادل المطلوب منه لخدمة ديونه فى ميزانية تلك السنة ! وكان العراق يتوقع زيادة فى خسائره ، فقد كان انخفاض دولار

واحد فى سعر البترول يعنى نقصا قدره بليون دولار كل سنة فى دخله» .

على هذا النحو ضرب هيكل عصفورين بحجر واحد ، فمن ناحية أراد أن يوقع بين الكويت والسعودية بأن نسب إلى وزير البترول فى الكويت قوله إن الكويت والسعودية على طريق صدام محقق بسبب الحصص ، وإنه فى هذا الصدام فإن الكويت لاتنوى التراجع ، ومن ناحية أخرى فانه أعطى النظام العراقى الحق فى غزو الكويت دفاعا عن نفسه ضد سياستها المتعنتة التى تلحق الخراب المالى بالعراق ، والتى هى أشبه ما يكون باملاء قوة عظمى تفرض شروطها دون أن تكترث بأحد ـ على حد قوله !

وبالرجوع إلى صحيفة الوول ستريت جورنال Wool Street Journal يوم ١٢ يونيو ١٩٨٩ ، اكتشفنا أن قراءة الأستاذ هيكل لها تشبه لحد كبير قراءته المزعومة لمذكرات سعد زغلول «بالكامل» ! حسب قوله !

فقد كان ما نشرته الجريدة عبارة عن تقرير عن اجتماع الأوبيك فى فيينا فى يونية ١٩٨٩ ، كتبه كل من «جيمس تانر» و«آلانا سوليفان» ، تضمن فقرة عن الشيخ على خليفة الصباح نصها كالآتى :

«وقد رفض الشيخ على القبول بنظام الحصة المقدس الذى وضعه الأوبك والذى يحددلكل عضو من الأعضاء الثلاثة عشر نسبة مئوية فى أى إنتاج يتم تحديده ، وطالب بزيادة حصة بلده بنسبة ٣٠ ٪ . ولم ينته اعتراضه إلا حين تعهد الوزراء الآخرون بأن يبدأوا العمل فى سبتمبر القادم فى وضع مجموعة جديدة من القواعد . وعلى الرغم من ذلك فلم يوقع الشيخ على الوثيقة المكتوبة على الآلة الكاتبة ، إلا عندما كتب فوق إمضائه : إن الكويت لن تقبل ولن تلتزم بالحصة المقررة لها ، وسوف تقوم بإنتاج ما تشاء» .

ويتضح من الفقرة التى أوردناها من تقرير صحيفة الوول ستريت جورنال طريقة الأستاذ هيكل فى قراءة الوثائق! فلم يكن ما نسبه إلى الشيخ على خليفة الصباح حديثا أدلى به للصحيفة ـ كما ورد فى كتابه ـ وإنما كان تقريرا عن الاجتماع كتبه مندوبا الجريدة لدى المؤتمر . وقد قام هيكل بإجراء تعديل فيه ، بالاستعانة بالجدول الذى أوردته الجريدة عن حصص الانتاج ، فحدد الحصة المقررة للكويت بـ ٠٠٠ر٠٣٧ر١ برميل ، وحدد هذه الحصة ـ بعد زيادة الـ ٣٠ فى المائة التى يطالب بها الكويت ـ بـ ٠٠٠ر٣٥٠ر١ برميل ، وأغفل أن الحصة الجديدة التى تقررت للكويت فى الاجتماع هى ٠٠٠ر٠٩٣ر١ برميل .

ولم يقم الأستاذ هيكل بعملية تحويل تقرير الصحيفة عن المؤتمر إلى حديث أدلى به الشيخ على خليفة الصباح للصحيفة ، عبثا ، وإنما ليضيف إليه مالم يقله الشيخ على ، وإنما قاله غيره من الخبراء الذين استطلعت الصحيفة آراءهم فيما وقع فى الاجتماع .

فعبارة أن «الكويت والسعودية على طريق صدام محقق بسبب الحصص ، ونحن لا ننوى التراجع» ، لم يقلها الشيخ على خليفة الصباح ، وإنما قالها «لورانس جولد شتاين» Lawrence Goldstein ، وهو خبير فى مؤسسة أبحاث الصناعات البترولية فى نيويورك ، وكانت عبارته على النحو الآتى :

«إن الكويتيين والسعوديين على طريق صدام ، والكويتيون لن تطرف لهم عين» ! (أى لن يخافوا) .

وقد نقلها هيكل من لسان لورانس جولد شتاين ليضعها على لسان الشيخ على خليفة بعد إجراء التعديل اللازم الذى يتطلبه ضمير المتكلم ، فقد قال «لورانس جولد شتاين» :ان الكويتيين لن تطرف لهم عين ، وحولها هيكل على لسان الشيخ على خليفة الصباح إلى : «ونحن لا ننوى التراجع»(!) وأضافها إلى العبارة السابقة وهى : «إن الكويت والسعودية على طريق صدام محقق بسبب الحصص» ! وكل ذلك لا أثر

له فى الوثيقة التى نقل عنها ، وهى صحيفة «الوول ستريت جورنال» .

كذلك عبارة : «إن السعودية مثل شركة كبيرة منهارة تجرى فى كل اتجاه محاولة أن تفلت من قوانين الافلاس» ، لم يقلها الشيخ على خليفة الصباح ، وإنما قالها خبير آخر هو «فيليب فيرليجر» Philip Verleger وهو زميل زائر فى معهد الاقتصاد الدولى بواشنطن ، وكانت عبارته : «إن السعودية تتصرف مثل شركة تتقلب كالمحموم فى كل اتجاه لتفادى إلوقوع تحت طائلة الفصل الثانى» (يقصد الافلاس) .

وقد نقل هيكل هذه العبارة من لسان «فيليب فيرليجر» ليضعها أيضا على لسان الشيخ على خليفة الصباح ، بعد أن أجرى التعديل اللازم ! فقد اقتصرت عبارة الخبير الأمريكى على وصف السعودية بأنها «تشبه شركة» ولكن هيكل أضاف إليها كلمة «منهارة» بعد أن نسبها إلى الشيخ على خليفة الصباح ووضعها على لسانه ، لكى يحدث التأثير المطلوب !

ولم يكتف هيكل بذلك ، بل قدم للعبارتين اللتين نقلهما من كلام الآخرين ونسبهما إلى الشيخ على خليفة الصباح ، بعبارة درامية تقول : «ثم شن الشيخ على خليفة الصباح هجوما مركزاعلى السعودية قال فيه» .. إلى آخره !

فهل هذا معقول ؟ وهل هذا هو الاستخدام الأمثل للوثائق حسب فلسفة هيكل التى أشرنا إليها فى بداية هذا المقال ؟ أليس هذا هو خلط الأوراق بكل معانيه لخدمة سياسة نظام سياسى ألحق بالأمة العربية عامة ، وبشعب العراق خاصة ، من الخراب والدمار ما لم يلحقه أعدى أعدائها ، ولم يرتكبه أكبر الغزاة فى التاريخ سفكا للدماء ؟

على أنه يبقى ما هو أغرب من ذلك ، وهو أن الأستاذ هيكل كان حريصا على أن يحذف من النسخة الانجليزية من كتابه هاتين الفقرتين المزورتين اللتين نقلهما من لورانس جولد شتاين وفيليب فيرليجر ونسبهما إلى الشيخ على خليفة الصباح ، وآثر بهما النسخة العربية وحدها !

وتفسير ذلك واضح ، ففى الغرب يستطيعون الرجوع بسهولة إلى صحيفة «الوول ستريت جورنال» ، ويمكنهم اكتشاف الحقيقة ، فيفقد الأستاذ هيكل مصداقيته ومعها جمهوره ، ولكن فى العالم العربى يصعب ذلك على الكثيرين!

ثم إن هيكل يحترم عقل قارئه الغربى ، ويعرف أنه لايستطيع أن يخدعه ، ولكنه لايحترم عقل قارئه العربى بدليل أنه يبيع له بضاعة فى النسخة العربية لايستطيع أن يبيعها للقارىء الغربى فى النسخة الانجليزية !

(٢٠)

هيكل .. والشيخ شخبوط !

هيكل .. والشيخ شخبوط !

في كثير من الأحيان كلما مضيت في قراءة كتاب الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج ، أتذكر الكتاب الذى حرره باللغة الانجليزية كل من إدوارد سعيد وكريستوفر هتشينز Christopher Hitchens بعنوان : «إدانة الضحايا» ، أو «لوم الضحايا» BLAMING THE VICTIMS الذى تناول بالتفنيد الكتابات الصهيونية التى حملت الفلسطينيين مسئولية ضياع وطنهم ، واتهمتهم بترك أراضيهم بأوامر قياداتهم ، وزعمت عدم أحقيتهم فيها ، ونسبت إليهم الرغبة فى تدمير الدولة اليهودية التى هى رمز التقدم والسلام - وغير ذلك من الأفكار التى روجت لها الدعاية الصهيونية ضد الفلسطينيين لتبرير احتلالها فلسطين .

وهذا الذى فعله الكتاب الصهيونيون ضد الفلسطينيين فعله الأستاذ هيكل ضد الكويتيين ! فقد حملهم مسئولية غزو

* أكتوبر - ٢٣ اغسطس ١٩٩٢

النظام العراقى لأراضيهم ، حين تحدث عن تعسفهم فى سياسة غمر السوق بإنتاجهم من النفط ، ووصف هذا التعسف بأنه «كان أشبه ما يكون بإملاء قوة عظمى تفرض شروطها دون أن تكترث بأحد» ! وتناول تأثير ذلك على العراق الذى نزل دخله ـ كما قال ـ بمقدار سبعة بلايين دولار سنة ١٩٨٩ بسبب انخفاض أسعار البترول ، وأن الصبر أصبح «عزيزا عليه» ـ أى على العراق ـ حتى أصبح مضطرا إلى احتلال الكويت ! (أنظر ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦) .

كما أنه لمز الكويتيين بأنهم تركوا أراضيهم ! فعلى حد قوله «وقع الغزو ومعظم أهل الكويت الأغنياء خارجها لقضاء إجازة الصيف فى عواصم أوروبا ومغانيها وشواطئها» ، وروى أن سيدة من الأسرة الحاكمة فى الكويت (لايذكر اسمها كالعادة!) لم تجد ما تعلق به غير قولها : «إن هذا الرجل (صدام حسين) قاسى القلب ! لقد قصد أن يقوم بما قام به فى شهر أغسطس بالتحديد ، عارفا أننا جميعا فى إجازات خارج بلدنا» ! (ص ٤٤) .

والطريف أنه روى قصة هذه السيدة فى سياق زعم فيه أن بعض أغنى العائلات الكويتية لم تجد فى يدها ما تدفع به حسابات الفنادق والمطاعم بعد أن فاجأها الغزو فى الخارج ،

واضطرت إلى الالتجاء إلى سفارات حكومتها فى المنفى لكى تدفع هذا الحساب !

كذلك صور هيكل الكويت فى كتابه على أنها أرض عراقية وليست كويتية ! فهى حسب قوله كانت امتدادا لولاية البصرة ، ولكنها كانت تحت «إدارة» أسرة الصباح !

واستخدام هيكل للفظ : «تحت إدارة» بدلا من لفظ «تحت حكم» هو استخدام يفهمه جيدا فقهاء القانون الدولى ، وهو نفس الاستخدام الذى نسوقه نحن المصريين فى مناقشتنا لقضية حلايب ، مع فارق كبير ، فحلايب بالفعل تحت إدارة السودانيين ، ولكنها تحت «سيادة مصر» ، أما الكويت فقد كانت تحت حكم وإدارة أسرة الصباح ، ولم تكن فى يوم من الأيام تحت حكم أو إدارة العراق . ولكن هيكل يستخدم هذه المصطلحات القانونية لتصوير ضم العراق للكويت على أنه إعادة للشىء إلى أصله !

وقد كان هيكل رقيقا فى تناوله الجرائم التى ارتكبتها القوات العراقية فى الكويت ، والتى ورد الكثير عنها فى تقرير منظمة العفو الدولية (الأمنستى Amnesty) حول انتهاكات حقوق الإنسان التى ارتكبها العراقيون فى الكويت منذ غزو أغسطس ١٩٩٠ ، فلم يوجه لها أية إدانة ، بل التمس لها العذر القبيح !

ففى كتابه يقول : «كانت مظاهر الغنى والوفرة فى الكويت إغراء لا يقاوم بالنسبة لجنود جاءوا جميعا من مناطق ريفية بسيطة» ! ولكنه فى الوقت نفسه ـ كما سبق أن ذكرنا ـ برأ النظام العراقى من هذه الجرائم ، فقد ذكر أنه فرض على الجيش العراقى «أحكاما صارمة بأن تتصرف مع سكان الكويت بأقصى درجات الانضباط والاحترام ، وذلك لترسيخ المقولة العراقية بأن ضم الكويت هو بمثابة جزء من الوطن عاد إليه» ! .

وقد كان فى وسع هيكل أن يبيع هذا الزعم للقراء ، لولا الوثائق الخطيرة التى تركتها القوات العراقية أثناء هربها السريع من الكويت ، والتى تنقض ما يقوله . فلم يقتصر النهب والسلب على الجنود الريفيين البسطاء ، وإنما تعداه إلى جميع المسئولين العراقيين ، صغارهم وكبارهم ، وعلمائهم وجهلائهم !

ففى خطاب صادر مما أطلق عليه العراقيون اسم «مديرية أمن محافظة الكويت» ، إلى «كافة المديريات وشعب المقر» ، فى ١٣/١١/١٩٩٠ ، يقول مرسله بالحرف الواحد :

«حصلت موافقة السيد العام المحترم على مصادرة أجهزة الاستنساخ والطابعات وأجهزة الفاكسملى التى ترد

من الكويت بموجب وصولات أو غيرها ، استنادا إلى كتاب ديوان الرئاسة المرقم ١٥٩٧ فى ١/٩/١٩٩٠ ، والمرفقة صورة طبق الأصل طيا .

«لاتخاذ ما يلزم ، وإرسال الأجهزة المصادرة إلى مقر المديرية لغرض إرسالها من قبلنا إلى مديرية الشئون الفنية للتنفيذ» .

عقيد الأمن

مدير أمن محافظة الكويت

أما صورة الخطاب المرفق فهو صادر من «رئاسة الجمهورية ـ السكرتير ، مديرية الأمن العامة» . وهو خطاب طريف ، إذ يبدأ بسم الله الرحمن الرحيم ، وعبارة «رحم الله الشهداء الأبرار» ! وبعد ذلك مباشرة يصدر أوامر السرقة والنهب !

وقد وصل النهب والسرقة والسلب إلى العلماء ، ففى كتاب صادر من عميد كلية العلوم بالوكالة ، وهو عراقى ، إلى مساعد رئيس جامعة الكويت ، وهو عراقى أيضا ، يقول بالحرف الواحد .

«سبق وأن جرت عملية توزيع موجودات كلية العلوم من قبل اللجنة الوزارية (!) المكلفة بذلك ، وتحديداً في يوم ٢٧/١٠/١٩٩٠ ، وقامت الفرق من قبل الجامعات كافة (أي الجامعات العراقية) بنقل كل أو بعض حصصها من تلك الموجودات . ومن الأجهزة والمعدات التي لم تستلم كان المختبر السيار الموجود ضمن قسم علم الحيوان ، وقد فوجئنا يوم ٢/١٢/١٩٩٠ بأنه قد أخذ دون علم عمادة الكلية (أي الكلية) أو رئاسة الجامعة ، ولما كان هذا التصرف يعد مخالفة وتجاوزا على المؤسسة التي نعمل فيها وابتعادا عن صيغ التعامل الصحيح في أي مجال رسمي ، ولما كانت عملية تسليم مثل هذه الموجودات من مسئولية عمادة الكلية ورئاسة الجامعة ، لذلك أرجو الطلب من الوزارة التحقيق في هذا الموضوع ، ومعرفة مصير هذه المعدات ، ومحاسبة المتجاوز أو المتجاوزين . مع التقدير» .

الدكتور عدنان ياسين محمد

عميد كلية العلوم بالوكالة

بل إن السرقة والنهب وصلا إلى رموز النظام العراقي . ففي كتاب صادر من عدي صدام حسين (ابن صدام حسين) إلى علي حسن عضو القيادة القطرية لحزب البعث العراقي ، نراه يطلب منه الموافقة على نقل مطبعة النادي العلمي

بالكويت إلى العراق ، لتكون ملكاً للجنة الأوليمبية العراقية ! ويقول فى تبرير ذلك «إن اللجنة الأوليمبية العراقية فى حاجة لهذه المطبعة ، لأنها تمتلك جريدة خاصة بها أبقيت بأمر الرئيس القائد مع الأربعة صحف الأساسية وإغلاق الـ ٨٥ صحيفة المختلفة الباقية» !

ويمضى عدى صدام حسين فى هذه الرسالة فيقول : «وقد أرسلت فى طلب هذه المطبعة ، وأعلمونا من هنالك في حراستها بأنه ليس بالإمكان سحبها إلا بأمر من شخص مسئول ، فعند ذلك أرسلت مجموعة من المهندسين لتفكيكها وإرسالها إلى بغداد فى المرة الثانية ، إلا أن المسئول عن حراستها قال : «إن الأستاذ على هو المسئول ، فأوعزت إليهم بعدم تفكيكها حرصاً على العلاقة بك .

«والرجاء هو المساعدة فى هذا الموضوع ، خدمة (فى الأصل : خدمتا !) للحركة الرياضية . علماً يا عمى العزيز أنها ستكون ملكاً للجنة الأوليمبية العراقية ، وليس لشخصى، وستحل فى الممتلكات الثابتة فى وزارة المالية ، تقبل سلامى الخالص» .

الإمضاء

٩٠/١٠/٥

وقد أشر على الحسن على هذا الخطاب بالتأشيرة الآتية: «موافق على نقلها ، ونقل ملكيتها كذلك إلى اللجنة الأوليمبية» !

ولعل لسان على الحسن وهو يوافق على نقل ملكية المطبعة الكويتية إلى اللجنة الأوليمبية العراقية ، هو أنه ما دامت الكويت قد عادت إلى العراق عودة الفرع إلى أصله ، فلم لا تنتقل ملكية المطبعة الكويتية أيضا إلى اللجنة العراقية عودة للشيء إلى أصله ؟ ! ولا غرابة في ذلك ، فعقلية السلب والنهب تستطيع تبرير كل شيء ما دامت تعلن على الملأ أن الكويت هي «الجزء الغالي من العراق العزيز» !

وقد تباكى الأستاذ هيكل في كتابه طويلاً على إصرار الولايات المتحدة على ضرب العراق وتدميره ، رغم ما أبداه صدام حسين ـ في زعمه ـ من رغبة في الوصول إلى حل وسط ، وما قدمه من مبادرات لحل الأزمة كانت تقابل بالرفض ، وصوره في صورة ضحية رئيس أمريكي يحتاج إلى «حرب عادلة» ينتصر فيها ويحفر بها اسمه في تاريخ أمته ! ـ يقصد بوش ! .

وتأتي الوثائق العراقية التي تركتها قوات الاحتلال العراقية أثناء انسحابها من الكويت لترسم الصورة الحقيقية

لنوايا صدام حسين بعيدا عن أى زيف ، وتؤكد أن صدام حسين لم يكن ينوى أبدا الانسحاب من الكويت مهما كلفه استمرار الاحتلال من ثمن .

ففى خطاب «سرى للغاية وشخصى وعلى الفور» ، صادر من قيادة فرقة المشاة الحادية عشرة ، الأركان العامة، إلى قيادة الفيلق الثالث ، يقول إنه تم عقد ندوات ميدانية على مستوى السرية ، لافهامهم توجيهات السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله بأن لا انسحاب من الكويت ، الجزء الغالى من العراق العزيز ، ويكون الدفاع عنه مستميتا» !

وتمضى الرسالة فتقول إنه «تم التأكيد على إكمال المواضع الدفاعية ، وتحكيمها ، وغشها ، لتأمين الحماية الكاملة للجندى ، والصمود فى الموضع ، والقتال فى المكان»وإنه تم تشكيل لجان لمتابعة اكمال التحكيمات . وغش الموضع الدفاعى ، وتكديس وبعثرة العتاد فى أكثر من موضع لمتطلبات الصمود ، وقبول العزل والتطبيق» .

وقد وقع الخطاب قائد فرقة المشاة الحادية عشرة فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠ .

وفى هذا الصدد نجد هذه الوثيقة الغريبة التى سوف يقف عندها المؤرخون طويلا بعلامات التعجب ! وهى صادرة

من قائد فرقة المشاة الثامنة عشرة ، الأركان العامة ، إلى قيادة الفيلق الثالث ، وفيها يطلب معرفة ما تم بشأن الخطاب الذى أرسله يطلب فيه «الموافقة على صرف ١٠٠٫٠٠٠ لغم ضد / ش ، للحاجة الماسة إليها فى إكمال منظومة المانع أمام قاطع فرقتنا» !

نعم ! مائة ألف لغم يطلبها قائد احدى فرق المشاة فى جيش الاحتلال العراقى ، لزرعها فى مساحة الكويت الصغيرة التى لا تتجاوز ٦٨٨٠ ميلا مربعا - أى ٤٫٠٧ فى المائة من مساحة العراق ! فكأن الغرض هو زرع كل شبر من أرض الكويت ، «الجزء الغالى من العراق العزيز» ! حسب قول صدام حسين !

وهو ما حدث بالفعل ، فقد زرع فى هذا البلد الصغير أكثر من مليون لغم ، جزاء وفاقا له على مساعدته العراق فى حربه مع إيران بأكثر من ٥ مليارات من الدولارات ، بالاضافة إلى تصدير ١٢٥ ألف برميل يوميًا لحسابه ، وفاء لالتزامات عجز عن الوفاء بها !

والطريف أن الأستاذ هيكل يروج فى كتابه لفكرة توزيع الثروة التى رفعها النظام العراقى بعد غزوه للكويت ، لخداع الجماهير العربية وإيهامها بأن غزوه للكويت إنما هو مقدمة

الثورة الاجتماعية الكبرى لتوزيع ثروة دول الخليج البترولية على الشعوب العربية الفقيرة !

وفى ذلك فلا بأس عند هيكل من أن يسلى قراءه ببعض القصص الخيالية الطريفة التى تدخل السرور إلى قلوبهم ، والتى تصور غفلة حكام الخليج وجهلهم وحيرتهم مع الثروة النفطية الوافدة !

ومن هذه القصص تلك التى رواها عن الشيخ شخبوط ، الحاكم السابق لأبو ظبى (قبل الشيخ زايد مباشرة) والتى ينسب إليه فيها أنه «لم يعرف كيف يتصرف فى أول مليون جنيه استرلينى وصل إلى يده سنة ١٩٦٦ (!) ولقد فضل الشيخ شخبوط أن يحتفظ بالمبلغ أوراقا نقدية فى بيته ، ثم اكتشف أن الفئران تعطى نفسها حرية القرض فيها (!) وحاول مدير فرع البنك البريطانى للشرق الأوسط فى أبوظبى إقناع الحاكم بأن من الأفضل له ايداع أمواله فى البنك ، ولكن الشيخ لم يكن مطمئنا إلى كل «اختراع» البنوك (!) وبعد جهد جهيد أبدى الشيخ شخبوط اقتناعه ، فذهب بنفسه ، فى الصباح ، وأودع ما لديه فى البنك ، ولكنه حين علم أن البنك سيغلق أبوابه بعد الظهر ، سارع إلى البنك مرة أخرى ، وسحب وديعته قبل موعد الاغلاق» !

هكذا يصور هيكل أحد حكام الخليج الذين هبطت عليهم الثروة النفطية ، فى تلك الصورة الزرية: حاكم جاهل لم يسمع قط عن «اختراع البنوك» رغم أنه يعيش فى الثلث الأخير من القرن العشرين (١٩٦٦) ! وهو حاكم عجيب يسكن بيتا تمرح فيه الفئران التى تقرض الأوراق المالية ! ولا يستعين بأى جهاز إدارى لرعاية شئونه المالية أو الادارية، فهو يحمل مبلغ مليون جنيه استرلينى إلى بيته بنفسه ، ويخبئه بنفسه ، ثم ينقله بنفسه إلى البنك لايداعه، ثم يذهب بنفسه إلى البنك قبل موعد الاغلاق لسحب وديعته !

فهل هذا معقول ؟ أو أنها صورة كوميدية رسمها هيكل لبقال فى قرية؟ وهل سمع أحد فى العصور الوسطى ذاتها بحاكم من هذا النوع ، ناهيك عن القرن العشرين ؟.

ولكن كل شيء يهون فى سبيل ترويج فكرة انتزاع الثروة من مشايخ الخليج وتوزيعها على المخدوعين بشعارات صدام حسين !

على أنه من سوء حظ الأستاذ هيكل أنه لا يستطيع خداع الذين زاروا دول الخليج من المصريين ، ورأوا بأعينهم كيف أقام هؤلاء الحكام ـ الذين يصورهم فى صورة البلاهة والغفلة ـ المدن العصريةعلى شاطيء الخليج ،

وأنشئوا فيها الجامعات والمعاهد العليا والمدارس ، ونقلوها بأموال البترول إلى مدنية العصر الحديث .

وفى نفس الوقت لن يستطيع خداع الذين زاروا العراق بعد حرب الخليج ، ورأوا كيف خرج العراق من القرن العشرين بفضل حماقة وجهل النظام العراقى ومغامراته الطائشة المهلكة ، وعرفوا كيف تصرف صدام حسين بالثروة النفطية ـ التى هبطت عليه كما هبطت على الشيخ شخبوط ! ـ وعقدوا المقارنة بين الشيخين النفطيين ! فقد كان هم الشيخ شخبوط هو كيفية الحفاظ على الثروة المفاجئة، أما الشيخ صدام حسين فقد كان همه إنفاق الثروة النفطية فى شراء السلاح الذى يحارب به إيران ويغزو به الكويت ! أو بناء المفاعل الذرى العراقى لتقصفه الطائرات الاسرائيلية ! أو بناء مصانع الكيماوى والأسلحة غير التقليدية ليقوم بنفسه فيما بعد بتفجيرها مرغما على نفقة العراق الخاصة ، تحت اشراف الأمم المتحدة ! ولعرفوا أن الشيخ شخبوط كان أكثر تمدناً من الشيخ صدام حسين الهمجى الذى أشعل النيران فى ٦٣٠ بئراً للبترول فى الكويت دون حاجة عسكرية أو ضرورة دفاعية !

((٢١))

أسرار صناديق الذخيرة الأردنية؟

اسرار صناديق الذخيرة الأردنية ؟

الألغام التى زرعها الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل فى كتابه عن حرب الخليج تكاد تسابق الألغام التى زرعها جيش الاحتلال العراقى فى الكويت ! ولدرجة تدعو إلى الاعجاب ، بل الحسد ! فالحرفية الممتازة التى يكتب بها تجعل كل شىء طوع بنانه ، فهو يستطيع أن يضع السم فى الدسم ، كما يستطيع أن يدين من يشاء ، ويبرىء من يشاء !

ويساعده كثيراً فى ذلك أنه كاتب متحرر من قيود منهج البحث العلمى التاريخى ، كما أنه متحرر من الالتزام بتقديم الحقيقة التاريخية لقرائه تحرر المحامى الذى يدافع عن متهم يعرف أنه مذنب من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ! أو النائب العام الذى يعرف أنه مطالب بالمرافعة ضد متهم يعرف أنه برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ولكن لأسباب سياسية يجب أن يعدم !

---

* أكتوبر ـ ٣٠ أغسطس ١٩٩٢

إنه يملك حرفية إبراهيم الهلباوى الذى ترافع ضد الفلاحين فى دنشواى لإثبات إدانتهم ، ثم ترافع دفاعاً عن إبراهيم الوردانى قاتل بطرس غالى باشا لإثبات براءته ، وكان يعرف فى الحالة الأولى براءة الفلاحين ، ويعرف فى الحالة الثانية جرم الوردانى، ولكن حرفية المهنة تغلبت عليه !

على أن المشكلة هى أن الزمن الذى كان يترافع فيه إبراهيم الهلباوى يختلف عن الزمن الذى يترافع فيه هيكل ! ففى زمن الهلباوى كانت الحقيقة التاريخية تحتاج إلى خمسين عاماً لكى تظهر ، وكانت دار المحفوظات البريطانية (P.R.O) لا تكشف عن المراسلات السرية لسفرائها وقناصلها قبل مرور نصف قرن ، ولكن فى زمن هيكل فان الحقائق لا تحتاج ـ فى كثير من الأحيان ـ لأكثر من عام ! وقد لا تحتاج إلى فترة زمنية على الاطلاق ـ كما هو الحال بالنسبة للوثائق التى تركتها القوات العراقية عند انسحابها بسرعة من الكويت ، والتى فحصت الكثير منها بنفسى ، ونشرت بعضاً منها فى هذه المقالات .

وفى الوقت نفسه فان كثيراً مما قدمه هيكل فى كتابه لا يحتاج إلى وثائق لكشف حقيقته ، وانما يحتاج فقط إلى قراءة علمية فاحصة لكشف ما بنى عليه من مغالطات ساقها بمهارة فى شكل حقائق ثابتة .

ومن هذه المغالطات ، تصويره دول الخليج فى شكل من يمتلك ثروة لاحق له فى الاحتفاظ بها وحده ، وانما يجب وضعها فى خدمة المجموع ! وتصوير النظام العراقى فى شكل الوصى الأمين على توزيع هذه الثروة !

ففى صفحة ٢٢٥ من كتابه يبرر غزو العراق للكويت بأن دول الخليج ـ كما قال ـ « كانت قد أخذت تزداد انطواء على نفسها ، وتحاول ان تحتفظ لنفسها ببترولها (!) خشية أن تتخاطفها المطالب من كل ناحية » ، وقد رأت فى انتصار النظام الرأسمالى فى الصراع العالمى انتصاراً لها ، لأن أنظمتها التقليدية كانت تحسب نفسها بدرجة أو بأخرى كجزء من هذا النظام» . ومؤدى ذلك – حسب قوله – « عزل الثروة العربية عن مجمل العمل العربى » (هكذا) !

ومعنى هذا الكلام ، الذى يفترض أن محاولة دول الخليج الاحتفاظ لنفسها ببترولها يؤدى إلى عزل الثروة العربية عن مجمل العمل العربى ، أن النظام العراقى الذى قام بغزو الكويت يضع ثروته البترولية فى خدمة العمل العربى العام ، وأنه أصلح نظام يُسند إليه عملية الاستيلاء على ثروة شبه الجزيرة العربية البترولية ، وتوزيعها فى خدمة المجموع !

على أنه عند التأمل فى هذا الكلام نكتشف أنه بنى على منطق معكوس ! فلم تكن دول الخليج هى التى عزلت ثروتها البترولية عن العمل العربى العام ، وانما كان النظام العراقى هو الذى عزل ثروته البترولية عن هذا العمل ، وكرسها لخدمة مطامعه ومصالحه الاقليمية ، وأدار ظهره لاسرائيل ، وصوب مدافعه نحو ايران !

فوفقا لهيكل نفسه ، فان هذا النظام بدأ الحرب مع إيران باحتياطى يصل إلى ٣٦ مليار دولار ، واستدان للخارج بقرابة ٤٠ مليار دولار ، وحصل على مساعدات وقروض من السعودية ودول الخليج . زادت على عشرين مليار دولار (ص ٢٢٨) .

فأين ذهبت هذه المليارات التى تصل إلى ١١٦ مليارا من الدولارات ، أى قرابة أربعمائة مليار من الجنيهات المصرية ؟ لقد ذهبت فى شراء السلاح والعتاد والمجهود الحربى ، ثم تبددت فى الهواء عندما تنازل صدام لايران أثناء أزمة الخليج عن كل ما خاض من أجله الحرب ضدها على مدى ثمانى سنوات ، وما حققه من تعادل فى حربه !

وأما دول الخليج فقد وظفت ثروتها النفطية لخدمة القضايا العربية والقضية الفلسطينية ـ أى خدمة العمل

العربى العام ـ بالاضافة إلى بناء قوتها الذاتية للحاق بركب التقدم الذى حرمت منه قبل ظهور الثروة النفطية . فقد قدمت للعراق ما سبق ذكره من دعم مادى أثناء حربه مع ايران ، وقدمت لمنظمة التحرير الفلسطينية ما استفادت منه لحساب أعضائها أكثر مما أفادت به القضية الفلسطينية ! ففى حين أصبح أعضاء المنظمة الكبار من أثرى أثرياء العالم ، أصبحت القضية الفلسطينية أفقر قضية فى العالم !

والمفارقة المفجعة هو ما تلقته الكويت ودول الخليج من جزاء سنمار على يد العراق والمنظمة الفلسطينية ! فقد تلقت الكويت غزوا بربريا من العراق لم يقم به هولاكو أو جنكيز خان ، وتلقت بقية دول الخليج تهديداً بالاجتياح بعد الكويت. !

أما بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فقد كانت شريكاً فاعلاً مع النظام العراقى فى غزو الكويت ، متصورة أن هذه الشركة سوف تنسحب على وضع الفلسطينيين فى الكويت ، وهم الذين كانوا من الكثرة (حوالى نصف مليون) بما يكفى للحلول محل الكويتيين بعد طردهم أو إكراههم على الخروج من الكويت .

وكما حاول هيكل تصوير تورط الملك حسين فى المؤامرة مع صدام حسين فى صورة « وساطة » ، فكذلك فعل مع

ياسر عرفات الذى صور دوره فى المؤامرة في صورة وساطة بين العراق والولايات المتحدة هدفها الوصول إلى حل وسط، بينما هدفها الفعلى هو تمكين النظام العراقى من تحقيق أهدافه كاملة من غزو الكويت .

فقد نسب إلى رجل أعمال فلسطينى بارز (لم يذكر اسمه) إرسال رسالة إلى الرئيس الأمريكى بوش فى ٨ أغسطس ١٩٩٠ يبدى فيها ياسر عرفات قلقه بسبب التدهور الشديد فى الموقف ، ويزعم أن الوفد الفلسطينى إلى مؤتمر وزراء الخارجية العرب فى القاهرة «اتخذ موقفا غير منحاز لطرف ، لكى يحتفظ بفرص الوساطة مفتوحة (!) ويعرض انسحاب القوات العراقية من الكويت ، وإمكانية عودة أسرة الصباح ، بشرط وجود عسكرى عراقى فى جزيرة بوبيان وفى منطقة الحدود المختلف عليها فى شمال الكويت ! وتسوية قضية الديون العراقية للكويت والتعويضات المستحقة للعراق « على نحو مرض للعراق » ! ويقول رجل الأعمال إنه يشعر بأنه عليه أن يضيف «أن الرئيس عرفات واحد من قلة قليلة من الناس لديهم اتصال مباشر بالرئيس صدام حسين، وهو على هذا النحو قادر على أن يفتح طاقة يمكن من خلالها لواشنطن وبغداد أن تدخلا على مجرى حوار بدلا من تصادم كامل » ! (ص ٤٤٩ - ٤٥١) .

ويقول هيكل إن صاحب الرسالة لم يتلق عليها جوابا من البيت الأبيض «لأن بوش لم يكن يريد أن يفتح بابا لاتصالات علنيه أو لاتصالات سرية» ! وينسى ـ متعمدا ـ أن قبول هذا الحل الذى كان يعرضه ياسر عرفات ، كان خارجا عن إرادة الولايات المتحدة أو أية قوة أخرى ، لمخالفته قرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠ الذى يطلب من العراق سحب قواته «بدون أى قيد أو شرط» إلى المواقع التى كانت عليها فى أول أغسطس ١٩٩٠ .

والمهم هو أنه كما أن الكويت لقيت جزاء سنمار من العراق ، فكذلك لقيت هذا الجزاء من منظمة التحرير الفلسطينية ، التى لم تتخذ فقط موقفا غير منحاز كما صور الأستاذ هيكل ، وإنما لعبت أثناء حرب الخليج دورا خطيرا ضالعا مع جيش الاحتلال العراقى .

وهذا ما تظهره الوثائق العراقية التى تركتها القوات العراقية عند انسحابها ، ففى تقرير عن اجتماع عقد فى سفارة دولة فلسطين فى الكويت ، يوم ١٩٩٠/٩/١٤ ، بين القيادات الفلسطينية فى الكويت ومن يدعى الحاج اسماعيل ورفاقه ، شرح الحاج اسماعيل الموقف للحاضرين على نحو يحمل الادعاءات والمفاهيم العراقية ، وكان مما ضلل به

الحاضرين ، أن صدام ـ كما قال ـ «حول إسرائيل فى المنطقة لحالة وهمية» ! وأن «الأنظمة التابعة لأمريكا (يقصد مصر وسوريا والسعودية) كُشفت وأصبحت فى خطر» ! وأن «انهيار السعودية وشيك» ! وأن «الجيش العراقى جيش لايستهان به ، والطيران لايحسم معركة ، ولا قوة على الأرض قادرة على احتلال العراق» ! وأن «المصريين والسوريين أجهضوا المبادرات قبل الدخول العراقى ، وغدروا الكويت» ! وأن «مبادرات الأخ أبو عمار قوبلت من العراق بالتمسك بالكويت ومن ثم الربط بالقضية الفلسطينية» !

وفى أمر إدارى صادر من «البعثة العسكرية الفلسطينية لمنظمة التحرير الفلسطينية بمحافظة الكويت» ، يقول إنه «بناء على مقتضيات المصلحة العامة ، ونظرا للظروف الحالية الراهنة التى يمر بها شعبنا الفلسطينى فى الكويت ، والتى تتطلب الدفاع عن تجمعات شعبنا الفلسطينى ومساعدة الأشقاء العراقيين فى المعركة المصيرية ضد الجيوش الأجنبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، وعليه يتم عقد دورة للرفاق فى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين : (١) تعقد دورة شهداء الانتفاضة الخامسة فى منطقة الفروانية بمقر جيش التحرير الفلسطينى ، وذلك اعتبارا من ١٩٩١/١/٢٦ (٢) على قائد منطقة الفروانية التقيد والتنفيذ» . وقد أمضى الأمر الإدارى المقدم وديع أبو الحسن ، مسئول البعثة العسكرية .

وعندما نشبت الحرب كانت المنظمة بتونس ترسل إلى مكتبها بالكويت صور البرقيات التى ترسلها إلى بغداد ، والتى تحتوى على كل التضليل والمبالغات الزائدة عن فاعلية الصواريخ العراقية ، وذلك لرفع الروح المعنوية والايهام بقرب النصر !

ففى ١٩٩١/١/١٩ أرسل القائد العام لمنظمة التحرير بتونس صورة برقية له إلى بغداد يزعم فيها أن خسائر العدو الاسرائيلى فى القصف العراقى الأخير بلغ حوالى ٢٠٠٠ قتيل و٢٥٠٠ جريح ! وتقول إن «بحوزة الأخوة العراقيين الآن اثنين من الطيارين الاسرائيليين ألقى القبض عليهما مساء أمس ، والمعلومات من مصادر مسئولة» !

وفى نفس البرقية يزعم أن القصف الصاروخى العراقى للمواقع الاسرائيلية قد أصاب وأحرق عددا من المصانع الضخمة وخلف وراءه ٥٠٠ شخص بين قتيل وجريح فى مستشفى ايخلوف !

وفى برقية صادرة من منظمة التحرير فى تونس إلى بغداد والكويت ، عن الصواريخ التى أطلقتها القوات العراقية على الرياض ، زعمت أنها «دمرت عددا من الطائرات التابعة لسلاح الجو الأمريكي وتأكد أن الاصابات دقيقة للغاية (!)

وتأكد أيضا أن ثلاث طائرات أواكس على الأقل قد دمرت تدميرا كاملا نتيجة اصابتها اصابات مباشرة» (!)

وقد ثبت أن كل هذه المعلومات مضللة ، الغرض منها الايهام بأن القوات العراقية تحقق الانتصار ، وأنه لاتوجد قوة على الأرض قادرة على احتلال العراق ! وأن الأنظمة العربية المعارضة لاحتلال الكويت والمشتركة فى تحريرها فى خطر وعلى وشك الانهيار !

وإذا لم يكن هذا هو الاشتراك الفعلى من جانب منظمة التحرير الفلسطينية فى الحرب إلى جانب النظام العراقى ، فما هو هذا الاشتراك ؟ ولكن هيكل يظهر المنظمة ورئيسها ياسر عرفات فى صورة الوسيط بدلا من الشريك ، لتحسين الصورة كما فعل مع الملك حسين !

ومن هنا ، فلعل هيكل كان يقصد ياسر عرفات والملك حسين حين كتب يقول : إن «كثيرين بين العرب كانوا يقرون للعراق بأسباب مشروعة لبعض مطالبه من الكويت» !

فلم يحدد هيكل من هم هؤلاء العرب ، ولكن الغزو والحرب كشف هؤلاء الذين ضيعوا أكبر فرصة فى تاريخ الأمة العربية لمعالجة مشاكلها بنفسها ، وأتاحوا الفرصة للقوى الأجنبية للتدخل . فقد كان من الأمور التى تبعث على

التأمل ، أن الصناديق التى جمع فيها الكويتيون بعد الحرب الوثائق التى تركتها القوات العراقية ، والتى تكشف أسرار الاحتلال العراقى للكويت ، هى صناديق ذخيرة أردنية ! .

وهذا يكشف ما أراد الأستاذ هيكل بكتابه إخفاءه ، وهو التآمر الأردنى العراقى لربط مصر إلى العجلة العراقية عن طريق مجلس التعاون العربى . فيحرص هيكل على تصويره فى صورة بريئة ، بل يذهب إلى أن فكرته نشأت فى «منتدى الفكر العربى» ـ وهو هيئة للدراسات السياسية يرأسها الأمير الحسن بن طلال شقيق الملك حسين ـ وذلك حتى يصرف النظر عن التخطيط العراقى لغزو الكويت والتوسع فى شبه الجزيرة العربية .

وهو هنا يخلط بعض الأوراق ! فالصلة بين النظام الأردنى والنظام العراقى صلة وثيقة ، وظهور فكرة مجلس التعاون العربى فى عمان شىء ، ومناقشتها فى صيف ١٩٨٨ فى منتدى الفكر العربى شىء آخر !

فالمنتدى لايُوحِى بشىء للسياسة الأردنية ، ولكن السياسة الأردنية هى التى توحى للمنتدى ! والمعيار هو الغرض من إنشاء مجلس التعاون العربى : هل هو الغرض الذى ناقشه المنتدى ، أو هو الغرض الذى تكشف عند الغزو

العراقى للكويت ، وهو تحييد الموقف المصرى على أسوأ الفروض ، وضمه إلى فريق الغزو على أحسن الفروض ؟

ومع ذلك فإن قراءة ورقة العمل التى أعدها المنتدى تكشف عن أى رأى تعبر ؟ ومن أى وحى تتلقى ؟

فهى تتحدث عن تبعية مصر السياسية للغرب عموما ، والولايات المتحدة خصوصا ! وزيادة تبعيتها الاقتصادية للغرب عموما، والولايات المتحدة خصوصا ! ولا تذكر حرفا واحدا عن تبعية الأردن السياسية أو الاقتصادية للغرب !

وفى الوقت نفسه ، تتحدث عن «تأمين ظهر الأردن من الابتزاز السورى والضغط السورى» ! كما تتحدث عن «الانتصار العسكرى العراقى» على إيران - وهو انتصار مزعوم كما أثبتته أزمة الخليج ، لأن العراق لم يلبث أن تنازل لإيران عن كل مطالبها أثناء الأزمة ، ولو كان انتصارا حقيقيا لما كان ثمة حاجة إلى هذا التنازل .

كما تتحدث ورقة العمل عن احتمال استدراج العراق إلى «مواجهة استنزافية مع سوريا» ! واعطاء العراق - عن طريق مجلس التعاون العربى المقترح - عمقا استراتيجيا لايتوافر له الآن ، حتى يكون «مسيطرا من الخليج إلى

الخليج» ! وبالتالى يمكن عزل سوريا برا وجوا عن باقى الوطن العربى، وعن آسيا وأفريقيا إلا عن طريق البحر !

كما تتحدث الورقة عن تعظيم قدرة العراق على الحصول على مساعدات مالية من دول الخليج ، وتمكينه من لعب دور أكبر فى منظمتى «الأوبك» والأوابك» !

وهكذا تصبح المميزات المزعومة لمصر فى هذا الكيان المقترح (مجلس التعاون العربى) هى : « تقليص التبعية السياسية المصرية للغرب عموما ، والولايات المتحدة خصوصا» ! ـ حسب قول الورقة ـ وتحويل المصريين إلى بروليتاريا للعراق والأردن ، أو على حسب نص الورقة : «تصدير العمالة المصرية الفائضة ، وخاصة غير الماهرة ونصف الماهرة ، إلى العراق بشكل أساسى ، وإلى الأردن بشكل ثانوى» ، وتمكين العراق «من خلال العمالة الزراعية المصرية الفائضة ، من النهوض بالقطاع الزراعى فيه ، بما فيه استصلاح مساحات شاسعة من أراضيه !

على أن الغرض الرئيسى من انشاء مجلس التعاون العربى لم يلبث أن تكشف بصورة أوضح حين اقترح النظام العراقى ضم اليمن إلى المجلس !

وقد فوجىء الرئيس مبارك بهذا الاقتراح ودهش ! وعلى حد قوله لى فى لقاء خاص طويل جمعنى بسيادته ، فانه لم يكد يسمع الاقتراح حتى ارتسمت فى ذهنه الخريطة حيث تقع مصر والعراق والأردن فى الشمال ، وتقع اليمن فى الجنوب ، وبينهما المملكة العربية السعودية ! وخشى أن تعتقد المملكة أن المجلس الجديد هو محاولة لتطويقها من الشمال والجنوب ، أو أنه أنشىء لمواجهة مجلس التعاون الخليجى ، فأصر على توضيح الأمر للملك فهد ، حرصا على متانة العلاقات المصرية السعودية التقليدية .

ولكن تلك كانت البداية في اتخاذ الرئيس مبارك جانب الحذر ، خصوصا عندما أخذ المخطط الأردنى العراقى يتكشف بوضوح باقتراح الأردن تكوين فيلق عربى مشترك ، وتوحيد المخابرات فى دول المجلس ، وعندما رفض الرئيس مبارك هذا الاقتراح ، أدرك كل من الملك حسين وصدام حسين تعذر ربط مصر للعجلة العراقية ؟

((٢٢))

خروج أسرة الصباح بين الحقيقة والافتراء!

خروج أسرة الصباح بين الحقيقــة والافــتراء!

عندما بدأت فى إعداد ردودى على كتاب الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل عن حرب الخليج تحت عنوان : «أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج» ، كان أقصى ما تصورت ألا تتجاوز هذه الردود ثلاث مقالات ، وها أنذا أكتب المقال الثانى والعشرين الذى اختتم به هذه السلسلة من المقالات .

وفى خلال ذلك تلقيت من تشجيع القراء فى مصر والعالم العربى الكثير ، مما عبروا عنه فى سيل من المكالمات والخطابات . ولكنى فى الوقت نفسه تلقيت لوما من بعض من أكن لهم الاعزاز والاحترام من المفكرين والكتاب ، الذين رأوا أننى قد أوليت كتاب الأستاذ هيكل من الاهتمام ما يزيد على قيمته العلمية والسياسية ، كما عتب على بعض الأصدقاء من المؤرخين ، الذين ساءهم ما كتب الأستاذ هيكل منذ بضع

* أكتوبر ـ ٦ سبتمبر ١٩٩٢

سنوات في أحد كتبه من أنه لايوجد في مصر مؤرخون !
وهو ما يستحق ـ في نظرهم ـ تجاهل ما يكتب !

وكان ردى أن هيكل كاتب مصرى مرموق ومقروء على مستوى مصر والعالم العربي والعالم الخارجي ، ولايستطيع أحد تجاهل ما يكتب ، كما أنه ينتمي لفريق البنائين المصريين الكبار بإعادته بناء مؤسسة الأهرام على مستوى عالمى ـ ليس فقط كبناء عمراني وإنما كبناء فكرى يحتوى على رؤية لدور المؤسسات الصحفية غير مسبوقة في حياتنا الصحفية .. دور يتجاوز الرسالة الاعلامية إلى الرسالة العلمية ، ويتجاوز الصحفى إلى المفكر .

ومن هنا ، فعلى طول حوارى مع الأستاذ هيكل لم أفقد أبدا احترامى له ، وهو ماجعلنى أفقد عطف بعض الأصدقاء، الذين ينظرون له ولدوره بمنظار آخر لأسباب سياسية .

ولكنى في الوقت نفسه لم تفتر لى همة في تفجير مابثه هيكل في كتابه من ألغام ، سبق أن وصفتها في مقالى الماضى بأنها ربما فاقت عدد الألغام التى زرعها الاحتلال العراقى في الكويت ! والسبب في ذلك أن القضية التى كتب فيها هيكل كتابه ما زالت ساخنة ، والمعركة لم تنته ، وحرب الخليج لم تضع أوزارها .

فالنظام العراقى ما زال فى الحكم رغم أن مصلحة الشعب العراقى تتطلب تنحيه عن الحكم ! واستمرار بقاء هذا النظام فى الحكم يبرهن على أنه يتكون من عصابة تفرض نفسها على الشعب العراقى ومقدراته ، ولا يتكون من رجال دولة بالمعنى الذى عرف عن الحكام الذين عرفهم التاريخ .

فعندما خسر ولهلم الثانى ، قيصر ألمانيا ، الحرب العالمية الأولى ، لم يتمسك بعرش آبائه وأجداده ، وإنما ترك ألمانيا إلى هولندا قبل الهدنة بيوم واحد ، ثم خلع عن العرش.

وعندما خسر هتلر الحرب العالمية الثانية ، لم يفرض حكمه على الألمان بالقوة ، وانما انتحر وأخلى الساحة لألمانيا القوية الحالية .

وعندما هزم موسولينى ، دكتاتور ايطاليا ، قدم استقالته وترك الحكم ، ولم يرحمه ـ مع ذلك ـ الوطنيون من رجال المقاومة ، فقتلوه.!

وعندما هزم عبد الناصر فى حرب يونيه ١٩٦٧ ، أعلن استقالته ، وترك للشعب أن يستبقيه أو يستبعده.

ولكن أحدا من هؤلاء الحكام وغيرهم لم يصور الهزيمة في شكل نصر ، ويتبجح بأنه انتصر على قوات ثلاثين دولة، على الرغم من أن أنفه يتمرغ في التراب كل يوم على يد فرق التفتيش !

ولم يخرج أحد من هذه الهزيمة المنكرة ليوجه حرابه إلى صدر شعبه ، فيضرب الأكراد في الشمال بالحديد والنار لدرجة تتطلب تدخل المجتمع الدولي ، ويضرب الشيعة في الجنوب بالحديد والنار أيضا لدرجة تدفع المجتمع الدولي إلى التدخل أيضا كما حدث بعد الهزيمة !

كذلك فإن أحدا من الحكام الحقيقيين لايعاند إلى درجة التمسك بالأسباب التي دعت المجتمع الدولي إلى امتشاق السلاح ضده كما يفعل صدام حسين حاليا !

فتهديداته للكويت ما زال يكررها! وادعاءاته بأنها أرض عراقية ما زال يشهرها ! والخطر الذي يتمثل في أسلحته غير التقليدية ما زال يؤكدها عن طريق الصعوبات والعقبات التي يضعها أمام لجان التفتيش ! وامتناعه عن تنفيذ قرارات مجلس الأمن بالكامل يُبقي سيف التدخل العسكري الأجنبي ضد العراق مصلتا ، بكل ما يحمله ذلك من أخطار على أمن الشعب العراقي ومستقبله ووحدة أراضيه !

ومن هنا كان اهتمامي - على طول حلقات الرد السابقة - بتفجير الألغام التى بثها الأستاذ هيكل فى كتابه لتبرير الغزو العراقى للكويت ، ومحاولته بيع رؤية البعث العراقى للحرب لجماهيرنا على أنها الرؤية الصحيحة لحرب الخليج ! وتصويره حرب تحرير الكويت على أنها حرب صليبية ضد العراق المسلم ! وإظهار التعنت العراقى فى عدم الانسحاب من الكويت فى صورة البطولة والصمود ! أو حسبما قال طارق عزيز لوزير الخارجية الأمريكى بيكر مغالطا :« الشعب العراقى شعب شجاع ، والأمة العربية لن تقبل اخضاع شعبها فى العراق وكسر إرادته ، لأن إرادته جزء من إرادتها» ! إلى آخر هذه المغالطات الفجة .

كذلك لم يكن فى وسعى - كمؤرخ - أن أتجاهل اتهاما خطيرا ساقه الأستاذ هيكل بأن دعوة الرئيس محمد حسنى مبارك لمؤتمر القمة العربية الطارئة فى ٨ أغسطس ١٩٩٠ ، كانت جزءا من خطة أمريكية لفتح الطريق أمام عمل تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية ، تنفيذا لخط رسمه بوش على الرمال ، ومده بيكر إلى الجبال ! واحاطة الزعماء العرب - الذين جاءوا إلى المؤتمر مبرمجين لافشال أى حل عربى يحفظ للأمة العربية كرامتها - بهالات من البطولة الكاذبة ، وإبراز بذاءاتهم ضد مصر والحق الكويتى فى صورة شجاعة ونضال !

لقد كان ذلك تشويها فظيعا لدور من أعظم الأدوار التى لعبتها السياسة المصرية فى طول التاريخ المعاصر وعرضه ، جذب إليها احترام العالم المتمدن الذى يؤمن بالشرعية والقانون الدولى والمواثيق الدولية .

وفى الوقت نفسه لم يكن فى وسعى التجاوز عن المحاولة الممجوجة للملك حسين ، التى روج لها الأستاذ هيكل فى كتابه ، والتى تزعم أن الرئيس مبارك كان هو المسئول عن تمسك صدام حسين باحتلاله للكويت وبعدم الانسحاب منها، عندما تسرع بإدانة الغزو العراقى ! وتحميل مصر ـ بالتالى ـ مسئولية حرب الخليج ودمار العراق !

لقد كان من حق الملك حسين أن يطالبنا بالغاء عقولنا ، ولكن لم يكن من حق هيكل ـ وهو الكاتب المصرى الكبير ـ أن يطالبنا بذلك ، وإنما كان واجبه كشف ما فى هذه المحاولة الملكية من زيف وتضليل .

وكذلك لم يكن فى وسعى تقبل تجاهل الأستاذ هيكل لدور القوات المصرية فى حرب الخليج ، تحت زعم أن الحرب كانت حربا جوية ! وعدم اعترافه إلا بالقوات البرية الأمريكية والبريطانية والفرنسية عندما اضطر إلى الكلام عن القوات البرية .

لقد كان تجاهل دور القوات المصرية من جانب كاتب مصرى يتحدث عن حرب اشتركت فيها هذه القوات ، وقامت بدور شهد به العالم ، أمرا غير مفهوم ! فالمفروض فى الكاتب أنه ينطلق من نافذته وليس من نافذة الغير ، وقد كان تحاشى الأستاذ هيكل الكلام عن دور القوات المصرية أشبه بتحاشيه التعرض لدور شائن ! ـ وهو أمر مفهوم فى إطار نظريته التى تنظر إلى حرب الخليج كحرب صليبية خاضتها القوات الأمريكية المسيحية وحلفاؤها من العرب ضد بلد عربى مسلم!

ولم يكن فى وسعى كذلك تقبل محاولة الأستاذ هيكل تصوير حرب الخليج فى صورة حرب غير شرعية ! وتصوير قوات التحالف الدولى ـ ومنها القوات المصرية ـ فى صورة قوات لا سند لها من ميثاق الأمم المتحدة ، يقودها قائد أمريكى لايتبع الأمم المتحدة (لايرتدى البيريه الأزرق!) .

ولقد حشد الأستاذ هيكل آراء القانونيين المساندين لوجهة نظر النظام العراقى ، وأدخل قارئه فى متاهات قانونية وفقهية لا هدف لها إلا خدمة وجهة النظر العراقية التى كانت ترى الأمور بمنظار مقلوب وهى واقفة على رأسها والعالم واقف على قدميه ! فقد كانت ترى فى حرب الخليج حربا غير

شرعية خاضتها قوات غير شرعية . وترى فى قوات الاحتلال العراقية فى الكويت قوات شرعية لأنها قوات تحرير استردت قطعة من التراب الوطنى كان تابعا لولاية البصرة وفصلته يد الاستعمار البريطانى عن العراق ! وكل ذلك كان مسخا لحقيقة حرب الخليج وتشويها لصورتها فى ذهن القارىء .

ولا شك أن الأستاذ هيكل كان أمينا ـ فيما ساقه فى كتابه ـ لما كان يؤمن به ، وما عبر عنه بعد غزو العراق للخليج فى جريدة «التايمز» فى جرأة يحسد عليها . فقد كان رأيه فى «الشرعية» رأيا يحسده عليه برودون Proudhon فيلسوف الفوضوية الشيوعية فى القرن التاسع عشر ! إذ كان يرى أن «الشرعية أكثر من مجرد المحافظة على أوضاع السياسة ! إن الشرعية أولا وأخيرا يجب أن تكون تعبيرا عن حقائق الجغرافيا والتاريخ ! إن الشرعية يجب أيضا أن تعكس القيم والتطلعات والطموحات الانسانية» !

ومعنى هذا الكلام تقنين ما فعله صدام حسين من غزو الكويت تقنينا سياسيا وفكريا ، وتقنين كل توسع يقدم عليه حاكم فاشى على حساب الشرعية . فكل شرعية تتهاوى أركانها وتصبح لاغية إذا لم تكن تعبيرا عن واقع الجغرافيا والتاريخ ، وإذا لم تعكس القيم والتطلعات والطموحات الانسانية (للحاكم الفاشى طبعا !) .

وهكذا قادني هيكل إلى هذه السلسلة من المقالات في الرد على ما أورده في كتابه ، والتي أختمها بمناقشة نقطتين:

الأولى ، دعوى الشجاعة والصمود التي نسبها طارق عزيز لقوات الاحتلال العراقية ، في مقابلته مع بيكر وزير الخارجية الأمريكية وهو يتمسك باحتلال الكويت .

والثانية ، تزييف خروج الأسرة الحاكمة من الكويت ، التي ساقها هيكل في شكل هروب مخز بتعليمات من المخابرات الأمريكية !

وبالنسبة للنقطة الأولى ، فإن الوثائق التي تركتها القوات العراقية عند خروجها من الكويت توضح في جلاء أن الروح المعنوية بين هذه القوات كانت في الحضيض ، ولم تكن كما كانت تتبجح به القيادة العراقية وتخوف به العالم !

ففي إحدى هذه الوثائق ، وهي كتاب «سري للغاية وشخصي» صادر من قيادة فرقة المشاة الحادية عشرة ، يتحدث كاتبه عن أمر أصدره «السيد الرئيس القائد العام للقوات المسلحة» ، باجتماع القيادة العامة للقوات المسلحة يوم السبت ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠ ، بخصوص طلب متطوعين للعمل الفدائي من بين القوات المسلحة والمدنيين

لتدريبهم وتوزيعهم على نقاط حصينة ، ليقوموا بتدمير معدات وأفراد العدو بعمليات قوات خاصة ، ويكون لكل فوج من الأفواج المعينة عشرون مقاتل لهذه العمليات ، وكذلك تخصيص أعداد من هؤلاء الفدائيين إلى طيران الجيش لنفس الغرض ولإنزالهم خلف العدو» .

أما الوثيقة الثانية فهى بتاريخ ٢١ كانون الثانى ١٩٩٠ـ أى بعد ١٣ يوما من الأمر الأول ـ وهى صادرة من قيادة فرقة المشاة الحادية عشرة (الأركان العامة) تحت عنوان : «سرى للغاية وشخصى وعلى الفور» ، وتحوى عبارة بليغة واحدة فقط ، ولكنها تعبر عن تدهور الروح المعنوية للقوات العراقية فى الكويت ، وهى على النحو الآتى بعد الاشارة إلى الكتاب السرى السالف الذكر :

«لايوجد من يرغب بالتطوع بالعمل كفدائى» !

أما النقطة الثانية ، وتختص بخروج الأسرة الحاكمة من الكويت إلى المملكة العربية السعودية . فقد صورها الأستاذ هيكل ـ كما ذكرنا فى مقال سابق ـ فى شكل هروب سريع بتعليمات من «أحد ضباط الأمن الأمريكيين» الذى عرف بأن الغزو العراقى على وشك الوقوع ، فاتصل بمدير الأمن الكويتى يطلب إليه إبلاغ وزير الداخلية ووزير الدفاع بوضع

خطة الطوارىء الخاصة بحماية سلامة الأمير والأفراد الرئيسيين للأسرة الحاكمة موضع التنفيذ .

وقد اعتمد هيكل على هذه القصة ، وذكر أنه بعد أن حل المساء طُلب إلى الأمير أن يتحرك إلى منطقة الخافجي في السعودية. وبالفعل بدأ موكب الأمير يتحرك في اتجاه منطقة الخافجي والذهول يمسك بأعصاب الجميع !» .

أما ولى العهد الشيخ سعد السالم الصباح ، الذى وصل إلى الكويت قادما من جدة بعد المغرب ، فقد اعتمد هيكل الرواية التى تقول بأنه أُخطر بعد عودته مباشرة بأن خطة الطوارىء وضعت موضع التنفيذ ، فأصدر بعض التعليمات إلى عدد من أجهزة الدولة ، وبينها الحرس الوطنى، ثم غادر مدينة الكويت إلى البر فى الوقت الذى كان فيه دوى انفجارات القنابل يسمع بوضوح فى المدينة !

ولم يكن شىء مما أورده هيكل فى هذا الصدد صحيحا، وكان على الأستاذ هيكل الرجوع إلى المصادر الكويتية لاستكمال تحقيقه إذا كان يريد الوصول إلى الحقيقة، ولكنه تجاهل هذه المصادر كلية ، مع أنها مصادر الطرف الذى وقع عليه الاعتداء ، وهى أقرب إلى التصديق من مصادر الطرف

المعتدى ، الأمر الذى يوضح أن غرضه كان التشويه وإظهار أمير الكويت وولى عهده فى صورة من يطلب السلامة على حساب شعبه وجيشه .

والحقيقة التى استقيتها من المصادر الكويتية الوثيقة ، أنه عندما وصل الشيخ سعد من جدة فى الساعة السادسة مساء ، أبلغ الوزراء الذين كانوا فى استقباله بأنه لم يحدث تقدم فى المباحثات مع العراقيين ، وأن الاتصالات مع ذلك مستمرة . واتفق على عقد اجتماع فى اليوم التالى للوزراء مع ولى العهد . ثم توجه الشيخ سعد للقاء الأمير .

وفى الساعة الثالثة صباحا دعى الوزراء من بيوتهم للاجتماع بولى العهد ورئيس الوزراء فى وزارة الدفاع ، لمناقشة الغزو ، وقد تمكن بعضهم من الذهاب ولم يتمكن البعض الآخر ، وحضر بعضهم متأخرا بعد احتلال القوات العراقية للمقر ، مثل وزير الاعلام ، فقبض عليه حتى جاءت نجدة كويتية واشتبكت مع القوات العراقية ، فتمكن مع مجموعة من الضباط الكويتيين من الهرب .

والمهم هو أن اجتماع الوزراء استمر بينما كانت التقارير ترد عن تحركات قوات الاحتلال ، حتى وصل تقرير بأن هذه

القـوات قـد أوشـكت على الوصـول إلى مـحـافظة الجـهـراء (وصلت القوات العراقية مدينة الكويت خلال ثلاث ساعات ونصف ــ وفقا لبوب وودوارد Bob Wood ward) في كتابه : (The Commanders) وعندئذ طلب الشيخ سعد مغادرة الوزارة فورا ، وركب سيارته المرسيدس السوداء المصفحة التي اعتاد التجول بها .

ويقول الشيخ فهد اليوسف الصباح ، النقيب بالحرس الأميرى ، الذى قاد السيارة ، إن الشيخ طلب منه التوجه إلى قصر بيان ، مقر الحكم ، وكانت الساعة آنذاك قد تجاوزت الرابعة والنصف حين وصلا إلى جسر التحكم ، وعندئذ طلب الشيخ سعد الاتصال بقصر دسمان حيث يقيم الأمير جابر ، وبعد حديث قصير أخبر الشيخ سعد الأمير بأنه فى طريقه إليه .

وحين وصل إلى القـصـر ، كـان الأمـيـر فى انتظاره وبمعيته الشيخ جابر العلى ، وركب الجميع السيارة ، وأمر الشيخ سعد السائق بالتوجه إلى مركز النويصيب المجاور لحدود الكويت مع المملكة العربية السعودية . وكانت الساعة فى حدود الخامسة والثلث ، وكان النور طالعا ، ولم يكن السائق فى حاجة إلى استخدام كشافات السيارة (تحققت

من أن الشروق فى الكويت وقتها كان فى الساعة ٩٠ر٥) وبذلك أفلت الأمير وولى عهده من أسر قوات الغزو .

على هذا النحو كانت طريقة خروج أمير الكويت وولى عهده من الكويت ، بعيدا عن التلفيق والتزييف !

ولم يكن هذا الخروج فرارا كما صور هيكل ، فالفرار معناه ترك الشعب الكويتى يواجه مصيره مع قوات الاحتلال العراقية ، ولكن خروج أمير الكويت وولى عهده كان استعدادا لمعركة تحرير الكويت وانقاذ الشعب الكويتى من المصير الجهنمى الذى كان يعده له النظام العراقى ـ وهو طرده من أرضه ، وتحويله إلى شعب من اللاجئين !

ولو وضعت القوات العراقية يدها على أمير الكويت وولى عهده ، لتغير مجرى حرب الخليج وفقا لما أراده النظام العراقى ، وتمناه هيكل !

ملاحق الكتاب

مجلس قيادة الثورة
رقم القرار : ٣٢٦
تاريخ القرار ٢٧ / محرم / ١٤١١ هـ
١٨ / ٨ / ١٩٩٠ م

[ملحق (١)]

قرار

استناداً الى احكام الفقره (أ) من المادة الثانية والاربعين من الدستور

قرر مجلس قيادة الثورة ما يأتي :-

اولاً : حجز الاموال المنقوله وغير المنقوله الموجوده داخل العراق أو خارجه العائده الى الاشخاص المبينه اسماؤهم في ادناه من عائلة (آل صباح) والوزراء السابقين في حكومة الكويت البائده .

الاسماء

١ . جابر الاحمد الصباح
٢ . سعد العبد الله الصباح
٣ . صباح الاحمد الصباح
٤ . سالم الصباح
٥ . نواف الاحمد
٦ . علي الخليفه الصباح
٧ . د . سالم جابر احمد الصباح
٨ . ناصر محمد احمد الصباح
٩ . جابر مبارك حمد الصباح
١٠ . فيصل خليفه مالك الصباح
١١ . فهد الاحمد الصباح
١٢ . جابر عبد الله الجابر الصباح
١٣ . سلمان دعيج سلمان الصباح
١٤ . سعود ناصر الصباح
١٥ . خالد احمد جابر الصباح
١٦ . جابر العلي السالم الصباح
١٧ . سالم العلي السالم الصباح
١٨ . الشيخ عبدالله الجابر الصباح
١٩ . مبارك العبدالله الاحمد الصباح
٢٠ . دعيج جابر العلي الصباح
٢١ . فهد سعد العبدالله
٢٢ . احمد فهد الجابر الصباح
٢٣ . مبارك الحمد الصباح

((يتبع لطفاً))

٢٤. ابراهيم دعيج الصباح
٢٥. فهد جابر الاحمد الصباح
٢٦. احمد حمود جابر الصباح
٢٧. سالم صباح ناصر الصباح
٢٨. احمد خالد الحمد الصباح
٢٩. علي صباح السالم الصباح
٣٠. جابر العبدالله جابر الصباح
٣١. جابر العذبي الصباح
٣٢. علي جابر العلي الصباح
٣٣. محمد محمد السلطان الصباح
٣٤. علي جراح الصباح
٣٥. ناصر صباح الاحمد
٣٦. خليفه عبدالله الخليفه الصباح
٣٧. خالد عبدالجابر الصباح
٣٨. علي خالد الصباح
٣٩. مشعل عبد العزيز الصباح
٤٠. فيصل سالم الصباح
٤١. فهد محمد الصباح
٤٢. خالد ناصر الصباح
٤٣. منير ابراهيم الصباح
٤٤. علي عبدالله الصباح
٤٥. صباح خالد الصباح
٤٦. مبارك جابر الاحمد الصباح
٤٧. حمد صباح الاحمد
٤٨. محمد خالد احمد جابر الصباح
٤٩. طلال خالد احمد جابر الصباح
٥٠. بدر جاسم اليعقوب
٥١. جاسم محمد الموسى
٥٢. حبيب جوهر حيات
٥٣. الدكتور حمود عبدالله الرقبه
٥٤. الدكتور رشيد سالم العميرى
٥٥. سلطان عبد الرزاق المطوع
٥٦. ضارى عبدالله العثمان
٥٧. الدكتور عبد الرحمن عبدالله العوضي

((يتبع لطفا))

٥٨ ٠ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم
٥٩ ٠ الدكتور عبدالوهاب سليمان القوازن
٦٠ ٠ الدكتور علي عبدالله الشملان
٦١ ٠ المهندس عبدالله الحساوي
٦٢ ٠ محمد ناصر الحمضان
٦٣ ٠ ناصر عبدالله الروضان
٦٤ ٠ المهندس يحيى فهد السميط

ثانيا : يتولى الوزراء المختصون والجهات ذات العلاقة تنفيذ هذا القرار ٠

صدام حسين
رئيس مجلس قيادة الثورة

((طبق الاصل م٠شهاب))

[ملحق (٢)] م

بسم الله الرحمن الرحيم

سري للغاية وشخصي

(وعلى الفور)

قيـــــادة
فرقة المشاة الحادية عشـــــر
الادارة والميرة
((الادارة))
العدد / ش.ز / ٢/٦/٣٠٥٢
التاريخ جمادى الاول ١٤١١ هـ
١٩ كانون الاول ١٩٩٠ م

الى / حركات / ١١

الموضوع / توجيهــــــــات

امر السيد الرئيس القائد العام للقوات المسلحه باجتماع القياده العامه للقوات المسلحه يوم السبت ٨ ك ١ ١٩٩٠ المبلغ بكتاب مكتب امانة السر للقياده العامه للقوات المسلحه السري للغايه وشخصي وعلى الفور ١٢٦٢ في ١٢ ك ١ ١٩٩٠ المبلغ بكتاب رئاسة اركان الجيش السري للغايه وشخصي وعلى الفور ٧٦٦٠ فـــي ١٣ ك ١ ١٩٩٠ المبلغ الينا بكتاب قيادة الفيلق الثالث السري للغايـه وشخصي ١٠٣٣٢ فـــــي ١٧ ك ١ ١٩٩٠ مايلي بخصوص الفدائيين.

١. تدريب اعداد من الفدائيين مدنيين وعسكريين وتوزيعهـم على نقاط حصينه ليقوموا بتدمير معدات وافراد العدو (بعمليات قوات خاصه) ويكون لكل فوج من الافواج المعينه عشرين مقاتل بهذه العمليات.
٢. تخصيص اعداد من هولاء الفدائيين الى طيران الجيش لغرض انزالهم خلف العدو.
٣. ان يجري التنسيق عن طريق رئاسة اركان الجيش مع السيد سكرتير رئيس الجمهوريه الاستاذ حامد يوسف حمادي فيما يخص تنسيب الفدائيين للافواج اعـــلاه

نرجـو اتخاذ مايلزم وتزويدنا بمن يتطوع للعمل كفدائي على ان تصلنا الاجابه خلال (٢٤) ساعـــة وبيد مأمور نابط.

العقيـــد
ج.راد خ.ير عبـــــاس
ع/ قائد فرقة المشاة الحاديه عشـــر
١٩ كانون الاول ١٩٩٠ م

د/ كلالالم بالاجابه

سري للغايـه وشخصي

((وعلى الفــــور))

تقييم الوثائق (٦ / ب / ج)

تابع (٢) ب

بسم الله الرحمن الرحيم
سري للغاية وشخصي وعلى الفور

قيادة
فرقة المشاة الحادية عشر
الاركان العامة
الحركات
العدد/ح ٢/ ٢/ ٢٣٥٧
التاريخ ٩ جماد الثاني ١٤١١
٢٦ ك١ ـ ١٩٩٠

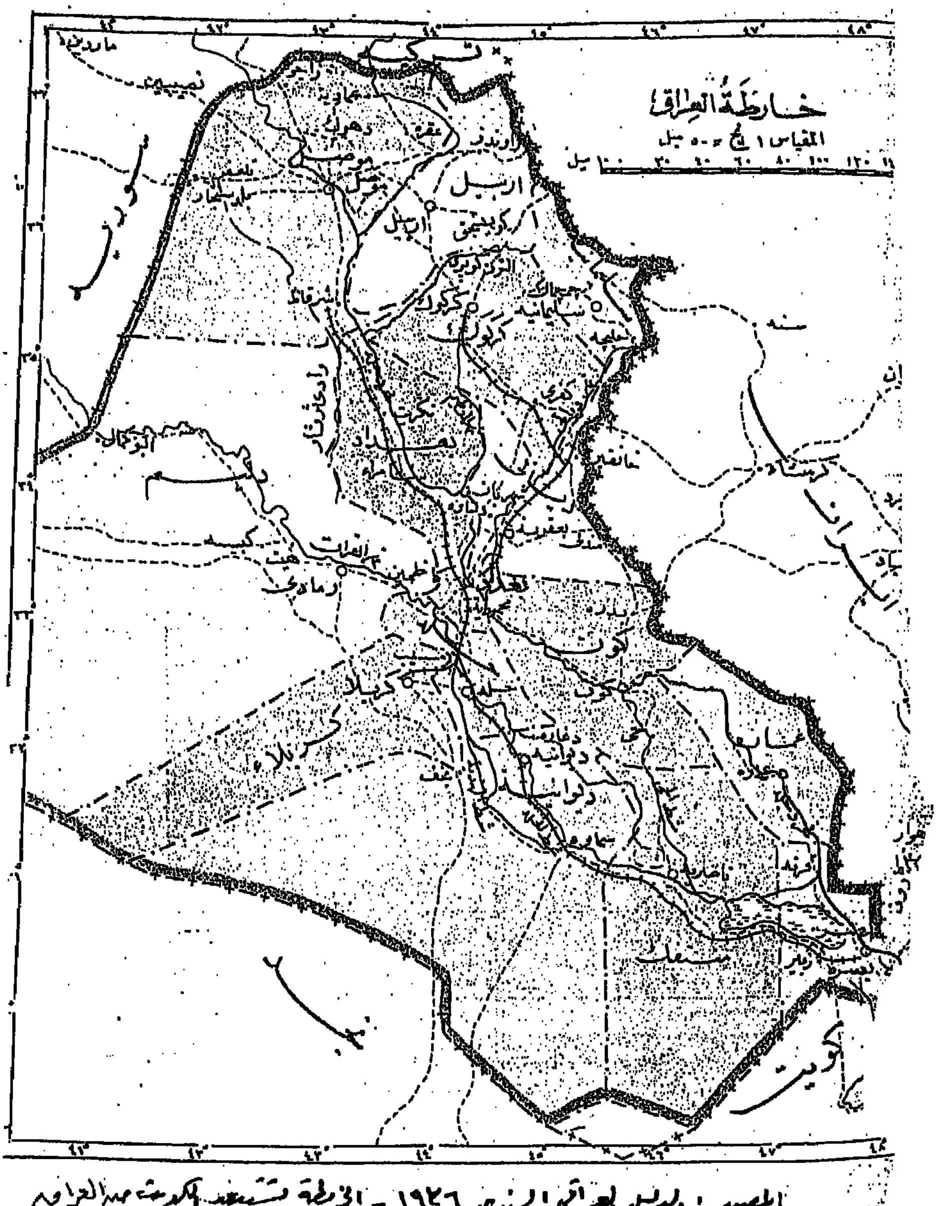
الى/ ش ا م ف ق ١١
الموضوع/ توجيهات

كتابكم السري للغاية وشخصي وعلى الفور ٨٥٢ في ١٩ ك١ ـ ١٩٩٠
لا يوجد من يرغب بالتطوع بالعمل كفدائي .
نرجو الاطلاع .

المقدم الركن
لؤي بشير عبد الله
ع/ قائد فرقة المشاة الحادية عشر
ك١ ـ ١٩٩٠ .

عبد الله/ عماد　　سري للغاية وشخصي وعلى الفور　　تقييم الوثائق آ ـ ب ـ ج

[ملحق (٣)]



المصدر: الدليل العراقي الرسمي ١٩٣٦ - الخارطة تستبعد الكويت من العراق

[ملحق (٤)]

مفرزة رقم - ٧ -

تتكون المفرزة من اثنين من المراتب

آمر المفرزة : م م أحمد حسين محل

بديله : م م سالم علي محمد

وتكون مسؤولة عن تخريب الآبار المدرجة

ارقامها أدناه في حالة صدور الأوامر

(٢٠٧ - ٢٠٤ - ٢٨ - ١٥٢ - ١٥٦ - ٤ - ٢٢)

وكذلك تكون مسؤولة عن فحص الآبار يومياً

صورة من صور أوامر تخريب آبار البترول في الكويت
الصادرة [illegible] لقوات الاحتلال العراقية

[ملحق (٥)]

بسم الله الرحمن الرحيم

قيادة الجيش الشعبي لمنطقة الكويت
قيادة قاطع مكتب الوسط للجيش الشعبي
العدد / ٩٦٦
التاريخ ٥ / ١١ / ١٩٩٠

الى / القواطع كافة
م / حلويات مخدرة ومسمومة

كتاب قيادة الجيش الشعبي لمنطقة الكويت الامن / ٦ س / ١١ / ٣٠٣١ في ٢٤/١١/١٩٩٠
وردت معلومات تفيد ان في نية العناصر المعادية القيام بتوزيع حلوى مخدرة ومسمومة على المواطنين وعلى حجج وذرائع عديدة .
يرجى الاطلاع والايعاز الى قواطعكم لملاحظة ذلك مع التقدير

اطلعت

ا/ ... المعاونين ... للاطلاع واعلام العناصر وتنبيه المواطنين كافة ...

الرفيق
عبد الرسول حامد الذهبي
معاون قائد الجيش الشعبي لمنطقة الكويت
لشؤون مكتب الوسط

المقاومة الكويتية

[ملحق (٦)]

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد/ ١٥٨٦

التاريخ/ ٢/ ١١/ ١٩٩٠

الى/ كافة المراكز

م/ معلومات

كتاب قيادة قوات الشرطة بالكويت ٣٥٢٨ في ٣٠/ ٠/ ١٩٩٠ توفرت معلومات مؤكده تفيد بان سياره من نوع نيسان كلوريا موديل قديم لونها ازرق كحلي قد جرى تفخيخها ٠ تم التحري عن مكان وجودها فاتضح بانها تحركت الى جهه مجهوله الحذر من التعامل معها عند ملاحظتها وفي الغالب طريقة التفخيخ تتم بالابواب وتحت المقاعد ٠ القاء القبض على من فيها ايلاء الموضوع الاهميه المناسبه واعلامنا

عقيد الشرطه

هاشم حمادي عيسى

مدير شرطة كاظمة

نسخه منه الى

قيادة قوات الشرطه بالكويت/ كتابكم اعلاه للتفضل بالعلم مع التقدير

[illegible]

ضابط مركز

١١/٢

[illegible]

[ملحق (٧)]

أمر إداري

بناءً لمقتضيات المصلحة العامة، ونظراً للظروف الحالية الراهنة التي يمر بها شعبنا الفلسطيني في الكويت بالذات، والتي تتطلب الدفاع عن تجمعات شعبنا الفلسطيني ومساعدة الأشقاء العراقيين في المعركة المصيرية ضد الجيوش الأجنبية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

١) يعين الملازم أول / خضر أحمد السالمي – قائداً لمنطقة النقرة وحولي وذلك اعتباراً من تاريخه.

٢) يعين الملازم / ابراهيم عبد العزيز والملازم ربيع عطا مساعدين له.

المقدم / [illegible]
مسؤول الشعبة العسكرية
١٩ / ٢ / ١٩٩١

[ملحق (٨)]

20/01 '91 20:57

بسم الله الرحمن الرحيم

منظمة التحرير الفلسطينية

الكويت

أرسلت

٢٩

نموذج برقية

الرقم المسلسل		الوقت والتاريخ	١٩٩١/١/٢٠
من	تونس	الى	بغداد / السفارة
للاطلاع		درجة الاسبقية	فوري
		درجة السرية	

يرجى العلم أن ثلاثة أسراب من طائرات إف ١٥ وسرب من طائرات إف ١٦ الإسرائيلية مجموعها ٤٨ طائرة تشارك الآن في قصف الأهداف العراقية وتحمل الأعلام الأمريكية من الجبهة التركية والسعودية ومن شمال البحر الأحمر حيث إحدى حاملات الطائرات الأمريكية وقد زود الطيارون الإسرائيليون ببطاقات هوية أمريكية إذ لدى سقوط إحدى الطائرات في العراق يكون الأسير الإسرائيلي بمثابة أسير أمريكي.

يمكن التعرف على الطيار الإسرائيلي أو اليهودي الأمريكي بفحص الطهور إذ أن اليهود يتطهرون كالمسلمين إذا كانت هذه إحدى القضايا التي أثيرت في وزارة الدفاع لكشف الطيار هويته وانتمائه ٥

وقت التسليم			رتبة واسم وتوقيع العامل		رتبة واسم المنشىء
وقت انتهاء الارسال					الوظيفة
وقت انتهاء الاستقبال					التوقيع

وثورة حتى النصر

of a serious scandal. In the late 1970s and early eighties, when huge flows of oil money created a get-rich-quick mentality, an unofficial stock market grew up in Kuwait. It was called Souk el-Manakh (literally: 'the market where camels kneel'). Instead of trading in shares in industrial, commercial and financial companies, the Souk was a shaky structure built on speculation in promissory notes. Like a balloon keeping company with a pin, it was always likely to end in a bang. The explosion came in 1982, with losses estimated by the Kuwaiti Central Bank at $80 to $90 billion, affecting some 6000 traders and their creditors. A government rescue package used sums equivalent to 8 per cent of Kuwait's financial reserves to stabilise the situation in the first year after the crash, but the economy suffered the after-effects for years.[1]

For all these reasons Kuwait was philosophically and economically out of step with OPEC, and began to regard its aims as misconceived. Iraq, on the other hand, needed the organisation more than ever The strength in unity which had given the producers so much power in 1973, 1974 and 1980 was now Baghdad's only hope of recovery. Kuwait's intransigence caused general outrage at an OPEC meeting in June 1989. Ali Khalifa al-Sabah, Kuwait's oil minister, demanded a 30 per cent increase in his country's quota and resisted all pressure to back down. When the other countries came to an agreement he wrote on the final document: 'Kuwait neither accepts nor is bound by its assigned quota.'

Kuwait was previously allocated 1,037,000 barrels a day, but oil industry reports estimated its actual production at 1,700,000 barrels. The new quota was 1,093,000 barrels, but the minister said this was inadequate to supply Kuwait's overseas marketing and refining network and declared that it would produce 1,350,000 barrels a day, which was what it had demanded all along.

Iran and Iraq were allotted 2,783,000 barrels a day each, while Saudi Arabia's quota increased to 4,769,000. The total production of the thirteen countries, assuming they respected their quotas, was to rise by one million barrels a day to 19,500,000.

Baghdad was astonished by Kuwait's arrogance and tried repeatedly in the following months to persuade or bully it back into

[1] *The Cloud Over Kuwait* by Marwan Iskandar, a Lebanese economist, is a well-documented study of the collapse of the Souk el-Manakh.

بسم الله الرحمن الرحيم

قيادة فرقة المشاة الثامنه عشر
الاركان العامه
الحركات
العدد / ح ٢ / ٤٩ /
التاريخ ٧ جمادى الاول ١٤١١ هـ
١ كانون الاول ١٩٩٠ م

[ملحق (١٠)]

الى / قيادة الفيلق الثالث

الموضوع / طلب مواد

يرجى اعلامنا ما تم بصدد كتابنا ٥٩٢٠ في ٢ ك١ / ١٩٩٠ والخاص بالموافقه على صرف (١٠٠٠٠٠) مائة الف لغم ضد / ش للحاجه الماسه اليها في اكمال منظومة الموانع امام قاطع فرقتنا .

العقيد الركن
حسين علي حميد العنبكي
ع/ قائد فرقة المشاة الثامنه عشر
كانون الاول ١٩٩٠ م

نسخه الى
كتيبة هندسة الميدان ١٨ / كتابكم ٣٢٠٨ في ١٠ ك١ / ١٩٩٠

تقييم الوثائق (١ ب ٠ ج)

[ملحق (١١)]

عدي صدام حسين

موافق على نقلها وتسجيل ملكيتها كذلك الى اللجنة الاولمبية

الرفيق

الصحفي علي الحسن المحترم :

تحية طيبة :

وبعد ،

في الوقت الذي ابعث به اليك بالتهاني بالذكرى القادسية العظيمة بحلول العيد من ابن شقاه مع آذار وشهد من آذار السعيد

١٩٩٠/١٠/٧

في مثل هذه الظروف الصعبة .

هنالك مطبعة تابعة الى نادي يعرف بالنادي العلمي ، ولما كانت اللجنة الاولمبية العراقية في امس الحاجة لكونها تصدر جريدة خاصة بها ، وابقيت هذه الجريدة بامر الرئيس القائد مع الاربعة صحف الاسبوعية والغاء الـ «85» صحيفة الغير اسبوعية ، فقد راسلت في طلب هذه المطبعة واعلمونا هنالك في مراسلتنا بانه ليس بالامكان سحبها الا بامر من شخص مسؤول فعند ذلك ارسلت مجموعة من المهندسين لتفكيكها وارسالها الى بغداد في المرة الثانية الا ان المسؤول عن مراسلتنا قال ان الاستاذ علي الحسن امر قبل اسبوع بعدم تفكيكها ظناً على العلاقة بك .

والرجاء موافقتكم على هذا الموضوع خدمة للحركة الرياضية علماً يا عمي العزيز انها ستكون ملكاً للجنة الاولمبية العراقية وليس لشخص مستقل في الممتلكات التابعة في وزارة المالية .

تقبل سلامي الخالص

90/10/5

[ملحق (١٢)]

مديرية امن محافظة الكويت

(الفنيه)

العدد / ٣٤٢

التاريخ ١٧ / ١٢/ ١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الى / كافة المديريات وشعب المقر

م/ مصادرة اجهزه

كتاب امنعام ـ العلاقات/ ٣٧٠٣ في ٣/ ١٢/ ١٩٩٠

حصلت موافقه السيد العام المحترم على مصادرة اجهزة الاستنساخ والطابعات واجهزة الفاكسملي التي ترد من الكويت بموجب وصولات او غيرها استنادا الى كتاب ديوان الرئاسه المرقم ١٥٩٧ في ١/ ٩/ ١٩٩٠ والمرفقه صوره طبق الاصل طيا ..

لا تخاذ ما يلزم وارسال الاجهزه المصادره الى مقر المديريه لغرض ارسالها من قبلنا الى مديرية الشؤون الفنيه .

للتنفيذ .

عقيد الامن

مدير امن محافظة الكويت

١٧/ ١٢/ ١٩٩٠

المرفقات /ـ

صورة طبق الاصل للكتاب اعلاه .

[ملحق (١٣)]

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العراقية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة الكويت
عمادة كلية العلوم

العدد : ٣٦٣
التاريخ : ٦/١٢/٩٠

السيد مساعد رئيس الجامعة المحترم

م/ تجاوز

تحية طيبة،

سبق وأن جرت عملية توزيع موجودات كلية العلوم من قبل اللجنة الوزارية المكلفة بذلك وتحديداً في يوم ١٩٩٠/١٠/٢٢ وقامت الفرق من قبل الجامعات كافة بنقل كل أو بعض حصصها من تلك الموجودات.

ومن الاجهزة والمعدات التي لم تستلم كان المختبر السيار الموجود ضمن قسم علم الحيوان وقد فوجئنا يوم ١٩٩٠/١٢/٢ بأنه قد أخذ دون علم عمادة الكلية أو رئاسة الجامعة وكما علمت ذلك من السيد مساعد رئيس الجامعة.

ولما كان هذا التصرف يعد مخالفة وتجاوز على المؤسسة التي نعمل فيها وابتعاد عن صيغ التعامل الصحيح في أي مجال رسمي ولما كانت عملية تسليم مثل هذه الموجودات من مسؤولية عمادة الكلية ورئاسة الجامعة لذلك أرجو الطلب من الوزارة التحقيق في هذا الموضوع ومعرفة مصير هذه المعدات ومحاسبة المتجاوز أو المتجاوزين.

مع التقدير

الدكتور عدنان ياسين محمد
عميد كلية العلوم بالوكالة

نسخة الى :
ملف الكتب الصادرة
الملف الخاص

[ملحق (١٤)]

MEPEP (CYPRUS)

10/04 '92 10:40 ☎357 2 474088

Dividing the Spoils

OPEC Peace May Be Short-Lived as Debate Looms on New Quotas

How Kuwaiti Minister Forced Cartel to Confront Issue That Could Lead to Split

Usurping Role of Saudi Arabia?

By JAMES TANNER and ALLANNA SULLIVAN
Staff Reporters of THE WALL STREET JOURNAL

VIENNA—On the seventh day, OPEC rested.

After six days of acrimonious debate last week, the Organization of Petroleum Exporting Countries, which supplies a third of the world's oil, finally declared how much it would produce over the next six months and who would do it. It had been rough week, as tiny Kuwait squared off against Saudi Arabia, the world's largest oil exporter, demanding a bigger share of the pie.

But in the end, numbers were worked out, everyone signed, and a beaming Kuwaiti oil minister and his Saudi Arabian counterpart strolled arm-in-arm from OPEC headquarters. By all appearances, OPEC had again fought the good fight, and a rest indeed seemed in order.



Ali Khalifa Al-Sabah

But this time, it won't be for long.

For what really happened here last week is that Ali Khalifa Al-Sabah, the dynamic 43-year-old oil minister from Kuwait, a city-state just over half the size of Belgium, effectively faced down the once-mighty oil cartel. And in doing so, he forced OPEC to agree to open a potentially more-wrenching debate that by autumn might have the $100 billion world oil market in spasms again.

Sheik Ali refused to accept OPEC's sacred quota system, in which each of OPEC's 13 members shares by percentage in whatever overall production total is set. Doggedly, he demanded a 35% increase in his nation's allotment. Finally, only a pledge by other ministers to begin work in September on a whole new set of rules ended the standoff. And even then, in ink, above his signature on the crisply typed document, is the Sheik's scrawl: Kuwait neither accepts nor is bound by its assigned quota; it will produce what it wants to. [illegible] tough and bold [illegible] Ali's [illegible] trader.

And bold. For Kuwait's successful declaration of independence from quotas while maintaining its standing within the organization poses a serious problem for OPEC. It must revamp its control system to get the maverick back into the corral, or soon other members could make similar escapes leading to a production free-for-all.

In the long run, some argue, oil con-

[illegible] it will produce what it wants to. [illegible] tough and bold [illegible] Ali's [illegible] trader.

And bold. For Kuwait's successful declaration of independence from quotas while maintaining its standing within the organization poses a serious problem for OPEC. It must revamp its control system to get the maverick back into the corral, or soon other members could make similar escapes leading to a production free-for-all.

In the long run, some argue, oil con-sumers could become the chief beneficiaries of last week's showdown if OPEC succeeds in restructuring. Though Sheik Ali's aim was first to lock in a bigger market now for Kuwait, a more equitable system within OPEC could reduce or even end the intramural squabbling that in the past has whipsawed oil markets—and prices.

Under this reasoning, oil production could predictably expand as demand rises, which would flatten out prices. For the first time since the U.S. oil giants ruled the markets, stability might reign, permitting everything from better control over inflation to better planning by companies and countries.

Sheik Ali is convinced that his lone-wolf role here last week will help lead to that. But getting agreement from 13 nations scattered around the globe, each with a huge financial self-interest, will be rough. OPEC has thought of overhauling its quotas for years and has always ducked on making a decision. Now it must try, and some people are worried.

More Acrimony Ahead

"I'm concerned that we can meet expectations. . . . We can't let OPEC collapse," says one oil minister. Even Sheik Ali is bracing himself: "I look forward to meetings that will be less acrimonious, but before we reach that we may have one or two" more acrimonious ones.

The trouble is that for many OPEC nations, oil is what pays the bills or buys the food. At current prices, a mere thousand-barrels-a-day change in output is worth $6.5 million a year. Yet inherent in the very idea of an OPEC ceiling is that for one share to grow, another must shrink. Otherwise, everyone would produce at will and drive prices down for all.

Even though under current quotas there is cheating of about two million barrels a day, talk of setting new quotas has always stalled on parameters—and politics. "You cannot assign production quotas scientifically," explains a senior OPEC official.

"We're going to confront it head-on," promises Ginandjar Kartasasmita, Indonesia's oil minister. "But it is a worry." It may take months or even years to settle on a permanent replacement. The oil ministers' September meeting in France is only a start.

Nonetheless, by forcing the issue by holding off Saudi Arabia—and eventually all the other OPEC ministers who sided with the giant oil kingdom—Sheik Ali has thrust Kuwait into an uncharacteristic position. It seems to be usurping Saudi Arabia's role as the advocate of moderation and as a

Please Turn to Page 10, Column 1

ورد في جريدة الوول ستريت جورنال يوم ٣١ يوليه ١٩٨٩

3

Dividing the Spoils: OPEC Peace May Be Short-Lived as Debate Looms Over Quotas

Continued From First Page

petroleum promoter by taking steps that imply lower prices. Saudi Arabia now wants higher prices to rebuild shrinking cash reserves.

"The Kuwaitis and Saudis are on a collision course, and the Kuwaitis aren't going to blink," maintains Lawrence Goldstein, an executive of the Petroleum Industry Research Foundation in New York. (The Saudi and Kuwaiti oil ministers vehemently deny that. Persian Gulf producers "have most of the extra capacity in the world, and they all need special attention," says Hisham Nazer, the Saudi oil minister.

Others are more blunt: "The disagreement is over when to split up the future spoils from increased demand for OPEC oil," argues Thomas R. Stauffer, a Georgetown University Arab studies specialist. Demand for OPEC oil, currently 20 million barrels a day, is expected to keep rising at a rate of one million barrels a day each year. Meanwhile, many of the world's oil-producing regions—even some within OPEC countries—are beginning to peak.

Kuwait Can't Wait

So, some ministers say, if OPEC members would only wait five years or so many would see their excess supply soaked up naturally, eliminating the need for internal disputes. But Kuwait can't wait.

On the north looms Iraq, a military power now rapidly resuming its climb toward world-class oil production. By next year, its export capacity could rise to more than 5.5 million barrels a day. Nearby Iran, in a manic spurt of reconstruction, is digging up major cities and installing natural gas pipelines. Reducing its internal use of oil could free an extra 750,000 barrels daily for export.

In the meantime, Saudi Arabia, Kuwait's traditional ally and the stabilizing force of the Persian Gulf region, is beset by financial problems and seems to be drifting. "I detect a serious lack of coordination," says Philip Verleger, visiting fellow at the Institute for International Economics, a Washington, D.C., research group. Saudi Arabia "is behaving like a corporation thrashing around to avoid Chapter 11."

In such a political environment, some oil experts say, Kuwait's standoff in OPEC with Saudi Arabia could help it establish a stronger identity in the changing Persian Gulf. They note that Sheik Ali, a member of Kuwait's royal family, was in Washington just before the OPEC session, seeking assurances that the U.S. under President George Bush was still committed to preserving peace in the Persian Gulf region. He got such assurances, a State Department official says.

Sheik Ali arrived here early and ready to be the spoiler. OPEC was clearly going to increase its overall output ceiling by one million or 1.5 million barrels daily from the existing 18.5 million. The question was how to divide it. Sheik Ali wanted Kuwait's quota to be increased to 1.35 million barrels a day from one million. Anything less would be unfair, he said, because Kuwait was being held far below its capabilities while others could pump much closer to their limits. (Indeed, Kuwait was already producing around 1.7 million.) Besides, he argues, Kuwait has huge refining and marketing networks in oil-consuming nations that require it to keep production no lower than 1.25 million barrels a day.

The London University-trained economist could also afford to be tough. The tiny sheikdom is the most sophisticated of the Persian Gulf countries, with more than half its income coming from equity investments. By refining crude oil into products itself, it is also shielded from oil price declines should an OPEC production war erupt. That would only cut the cost of its refineries' raw material, enhancing their profitability.

Other OPEC ministers tried to encourage him to compromise, but he dug in. Even when a fabled OPEC group—neutral oil ministers dubbed the "four wise men" for their past mediating successes—knocked at his Marriott Hotel suite at 7 p.m. the day before the first formal session.

How OPEC's Oil Production Is Shared

(In millions of barrels a day)

	NEW QUOTA	OLD QUOTA
Algeria	0.733	0.695
Ecuador[1]	0.242	0.230
Gabon	0.175	0.166
Indonesia	1.307	1.240
Iran	2.783	2.640
Iraq	2.783	2.640
Kuwait[2]	1.093	1.037
Libya	1.093	1.037
Nigeria	1.428	1.355
Qatar	0.329	0.312
Saudi Arabia	4.769	4.524
United Arab Emirates[3]	1.041	0.988
Venezuela	1.724	1.636
TOTAL	19.500	18.500

[1] Informal agreement allows it to overproduce.
[2] Refuses to be bound by new quota with reservation written in agreement.
[3] Refuses to abide by quota with reservation written in minutes of June meeting

They had a plan: OPEC's production ceiling would rise to around 20 million barrels a day. The first one million would go to the 13 members under the usual formula, as Saudi Arabia and most others wanted. A remaining 474,000 barrels would be spread among countries seeking special treatment. Kuwait would get 200,000 barrels, or about two-thirds of its demand. Every nation but Kuwait and Saudi Arabia had agreed. Would he?

No.

Then Saudi Arabia rejected the proposal, and the battle was joined. The Saudi led faction, which had grown to a majority of the members, hoped to isolate Sheik Ali, give him a take-it-or-leave-it proposition and blame him if the meeting—and oil prices—collapsed.

Sheik Ali waited.

In the expansive white-carpeted living room of his suite, he watched the news on television. He played cards, a two-deck Arab game of rummy, with his advisers and the Kuwaiti ambassador. (The idea of the game is to get rid of cards, not to acquire more—but in this, at least, the Sheik plays conservatively, holding them close to his chest.)

By Tuesday, the frustrated wise men retreated. Celestino Armas of Venezuela went to the Vienna Woods. Sadek Boussena of Algeria walked in the park. Rilwanu Lukman, Nigeria's oil minister and the OPEC president, retired to the Nigerian Embassy; Mr. Ginandjar of Indonesia flew to Geneva to consult his president, who was headed for New York.

Sympathetic but Firm

Gholamreza Aghazadeh, the Iranian oil minister, wanted to go home to attend the funeral of the Ayatollah Khomeini. He visited Sheik Ali three times, trying to persuade him to accept the wise men's offer or the usual formula. Sheik Ali was sympathetic but firm. Late Tuesday night, the wise men tried one last time but left shortly after midnight without success.

Then, as they regrouped in the morning, a Venezuelan delegate burst in to announce that Sheik Ali would sign. Actually, Sheik Ali had suggested that they simply leave him out and go ahead with a 12-member agreement. But if he must sign, he would so long as it was clear he wasn't accepting his assigned quota.

Suddenly it was all over. There would be a pact signed by all 13 members on a production ceiling of 19.5 million barrels a day, divided on the basis of existing quotas. Only as they arrived Wednesday evening, did the ministers fully grasp what Sheik Ali had meant. He penned his reservation that he wouldn't be bound to any quota. And added a goodwill gesture: He announced that Kuwait would limit itself to 1.35 million barrels a day—exactly what he had asked for.

الكشافات

١ ـ كشاف الاعلام
٢ ـ كشاف الهيئات
٣ ـ كشاف البلاد والاماكن
٤ ـ كشاف الحوادث
٥ ـ كشاف الدوريات

قام بعمل الكشافات كل من الباحثين بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر الآتية أسماؤهم :

١ ـ الأستاذ : سامى عزيز
٢ ـ الأستاذة : استيرة غالى
٣ ـ الأستاذة : ماجدة سليم

١ ـ كشاف الاعلام

٢ ـ كشاف الهيئات

- و -

٣ ـ كشاف البلاد والأماكن

٤ ـ كشاف الحوادث

- خ -

- د -

- ص -

- ض -

- ع -

- غ -

٥ ـ كشاف الدوريات

من أهم الأعمال العلمية المنشورة

١ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦) (القاهرة : دار الكاتب العربي ١٩٦٨) .

٢ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩٣٧ - ١٩٤٨) - مجلدات . (بيروت : دار الوطن العربي ١٩٧٣) .

٣ - الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر من ثورة يوليو إلى أزمة مارس ١٩٥٤ . (القاهرة : مكتبة مدبولي ١٩٧٥) .

٤ - عبد الناصر وأزمة مارس . (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .

٥ - الجيش المصري في السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦) (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) .

٦ - صراع الطبقات في مصر (١٨٣٧ - ١٩٥٢) . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .

٧ – الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ – ١٩٣٩) . (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .

٨ – الفكر الثورى فى مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو . (القاهرة: مكتبة مدبولى ١٩٨١) .

٩ – المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر (١٩٤٩ – ١٩٧٩) (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .

١٠ – الاخوان المسلمون والتنظيم السرى . (القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .

١١ – الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية . (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .

١٢ – حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٣ – مذكرات السياسيين ،الزعماء فى مصر . (القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) .

١٤ – تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) .

١٥ – الغزوة الاستعمارية للعالم العربى ؛ وحركات المقاومة . (القاهرة : دار المعارف) .

١٦ - مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .

١٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

١٨ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

١٩ - أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .

٢٠ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .

٢١ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .

٢٢ - مصر فى عصر السادات ، الجزء الثانى . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .

٢٣ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .

٢٤ - الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة : الزهراء - ١٩٩٠) .

٢٥ – حرب الخليج فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الزهراء– ١٩٩٠) .

٢٦ – العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ – ١٩٧٩) (القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .

٢٧ – مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢) .

٢٨ – الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

٢٩ – تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

٣٠ – تاريخ مصر والمزورون . (القاهرة : الزهراء – ١٩٩٣) .

مع آخرين :

١ – مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ – تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق و د. رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٣ - تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق و د. رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

كتب مترجمة :

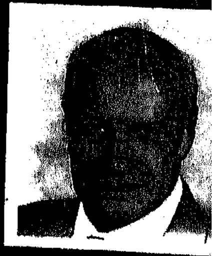
١ - تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ، (١٧٩٨ - ١٨٨٢) تأليف جون مارلو . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦) .

المحتويات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٣/٥٢١١ .

ISBN 977-01-3415-5



هــذا الكتــاب

عندما كتب الاستاذ هيكل كتابه عن حرب الخليج ، لم يكن يحمل رؤيته المصرية للحرب ، وإنما كان يحمل رؤية النظام البعثى العراقى المناقضة لرؤية الشعب المصرى .

ومن هنا كان من الضرورى تقديم هذه الرؤية المصرية لحرب الخليج من واقع الحقائق الثابتة ، والوقائع التاريخية المحققة ، والوثائق الرسمية التى صدرت عن مصر والدول المعنية الاخرى والولايات المتحدة ، فضلاً عن الوثائق التى تركتها القوات العراقية وراءها عند انسحابها بسرعة من الكويت ، والكتب والمجلات الاجنبية التى تعرضت لهذه الحرب .

ومن هنا فهذا الكتاب يخرج من إطار الكتب السياسية البحتة ، ويدخل فى إطار الكتب التاريخية ، التى تبحث عن الحقيقة التاريخية من خلال منهج البحث العلمى التاريخى .

وقد كتب هذه الرؤية الدكتور عبدالعظيم رمضان ، المؤرخ والكاتب السياسى المرموق ، وأستاذ التاريخ المعاصر ، وعضو المجلس الاعلى للثقافة ، وعضو المجلس الاعلى للصحافة ، وعضو مجلس الشورى ، ورئيس لجنة التاريخ والاثار ، ورئيس مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٩٩٠ قرشا